الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ٩، ص ٢

[الجزء التاسع]

بسم الله الرحمن الرحيم

[تتمة السفر الرابع]

القسم الثاني في علم النفس

الباب الثامن في إبطال تناسخ النفوس و الأرواح و دفع ما تشبث به أصحاب التناسخ و فيه فصول

فصل (١) في إبطاله بوجه عرشي

اعلم أن هذه المسألة من مزال الأقدام و مزالق الأفهام و منشأها أن الذي ورد في كلام السابقين الأولين من الأنبياء الكاملين و الأولياء الواصلين يدل بظاهره على ثبوت النقل و التناسخ و الذي يحكى عن الأوائل كأفلاطون و سقراط و غيرهما له محمل صحيح عندنا كما سنبين و نحن بفضل الله و إلهامه علمنا ببرهان قوي على نفي التناسخ مطلقا سواء كان بطريق النزول أو الصعود و هو أن النفس كما علمت مرارا لها تعلق ذاتي بالبدن و التركيب بينهما تركيب طبيعي اتحادي و أن لكل منهما مع الآخر حركة ذاتية جوهرية و النفس في أول حدوثها أمر بالقوة في كل ما لها من الأحوال و كذا البدن و لها في كل وقت شأن آخر من الشئون الذاتية بإزاء سن الصبا و الطفولية و الشباب و الشيخوخة و الهرم و غيرها و هما معا يخرجان من القوة إلى الفعل و درجات القوة و الفعل في كل نفس معينة بإزاء درجات القوة و الفعل في بدنها الخاص به ما دام تعلقها البدني و ما نفس إلا و تخرج من القوة إلى الفعل في مدة حياتها الجسمانية و لها بحسب الأفعال و الأعمال حسنة كانت أو سيئة ضرب من الفعلية و التحصل في الوجوب [الوجود] سواء كان في السعادة أو الشقاوة فإذا صارت بالفعل في نوع من الأنواع استحال صيرورتها تارة أخرى في حد القوة المحضة كما استحال صيرورة

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ٩، ص ٣

الحيوان بعد بلوغه إلى تمام الخلقة نطفة و علقة لأن هذه الحركة جوهرية ذاتية- لا يمكن خلافها بقسر أو طبع أو إرادة أو اتفاق فلو تعلقت نفس منسلخة ببدن آخر عند كونه جنينا أو غير ذلك يلزم كون أحدهما بالقوة و الآخر بالفعل و كون الشيء بما هو بالفعل بالقوة و ذلك ممتنع لأن التركيب بينهما طبيعي اتحادي و التركيب الطبيعي يستحيل بين أمرين أحدهما بالفعل و الآخر بالقوة.

هذا ما سنح لنا بالبال و بيانه على الوجه المقرر عند القوم أن الصورة في كل مركب طبيعي من مادة و صورة سواء كانت نفسا أو طبيعة بينها و بين مادتها سواء كانت بدنا حيوانيا أو جسما طبيعيا آخر أو أمرا آخر نوع اتحاد لا يمكن زوال إحداهما و بقاء الأخرى- بما هما مادة أو صورة فإن نسبة المادة إلى الصورة نسبة النقص كما برهن عليه بالبيانات الحكمية و التعليمات الإلهية فوجود كل مادة أنما هو بصورتها التي يخرج بها من القوة إلى الفعل و هذية كل صورة من

حيث ذاتها و ماهياتها بما هي تلك الصورة بمادتها التي هي حاملة تشخصها و مخصصة أحوالها و أفعالها الخاصة فإذا تكونت مادة من المواد فهي أنما تكونت بتكون صورتها معها التي من سنخها و إذا فسدت فسدت معها صورتها لما علمت أن صورة كل شيء تمامه و كماله فوجود الشيء الناقص من حيث هو ناقص مستحيل لأن تمام الشيء مقومه و علته و كذا كمال الشيء بما هو كماله إذا فسد فسد ذلك الشيء نعم ربما تكون الصورة لا بما هي صورة لشيء بل باعتبار كونها ذاتا مستقلة و صورة لذاتهما لها وجود آخر و حينئذ وجودها لا يستلزم وجود مادة معها و كذلك قد تكون لمادة الشيء لا بما هي مادة له تقوم بصورة أخرى غير تلك الصورة فتوجد معها و تتحد بها في نحو آخر من الوجود و ذلك لأن حقيقة المادة في ذاتها حقيقة مبهمة جنسية شأنها الاتحاد بمبادي فصول متخالفة هي صور نوعية فكما أن كل حصة من الجنس إذا عدمت عدم معها الفصل المحصل لها و كذا عدم ذلك الفصل عدمت تلك الحصة الجنسية التي يتحد معها و يتقوم بها نوعا فكذلك حال كل نفس نسبتها إلى البدن الخاص بها في الملازمة بينهما في الكون و الفساد فإن النفس من حيث هي نفس هو بعينها صورة نوعية للبدن- و علة صورية لماهية النوع المحصل النفساني و البدن بما هو بدن مادة للنفس المتعلقة به

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۴

و علة مادية للنوع و قد علمت غير مرة أن النفس ما دامت تكون ضعيفة الجوهر خسيسة الوجود تحتاج إلى مقارنة البدن الطبيعي كسائر الصور و الأعراض فإذا كان الأمر بينهما على هذا النحو كان التلازم في الوجود و المعية الذاتية بينهما على الوجه الذي تقدم ذكره في مبحث تلازم الهيولى ثابتا لا محالة فكان زوال كل منهما يوجب زوال الآخر- و لكن لما كان للنفوس البشرية نحو آخر من الوجود غير الوجود التعلقي الانفعالي الطبيعي- سواء كان عقليا محضا أو غيره ففسادها من حيث كونها نفسا أو صورة آخر طبيعية لا يوجب فساد ذاتها مطلقا لأن ذاتها قد تحصلت بوجود مفارقي و ذلك الوجود يستحيل تعلقه بمادة بدنية بعد انقطاعها فقد ثبت و تحقق أن انتقال نفس عن بدن إلى بدن آخر مستحيل- و هذا برهان عام يبطل به جميع أقسام التناسخ سواء كان من جهة النزول أو من جهة الصعود أو غير ذلك.

و ستعلم الفرق بين التناسخ و المعاد الجسماني بوجه مشرقي و كذا بينه و بين ما وقع في قوم موسى ع كما حكى الله تعالى عنه بقوله **وَ جَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنٰازِيرَ** فالتناسخ بمعنى انتقال النفس من بدن عنصري أو طبيعي إلى بدن آخر منفصل عن الأول محال سواء كان في النزول إنسانيا و هو النسخ أو حيوانيا و هو المسخ أو نباتيا و هو الفسخ أو جماديا و هو الرسخ أو في الصعود و هو بالعكس من الذي ذكرناه- و إن كان إلى الجرم الفلكي كما ذهب إليه بعض العلماء و حكى الشيخ الرئيس عنه و صوب ما قاله في نفوس البله و المتوسطين من أنها تتعلق بعد انقطاعها بالموت الطبيعي عن هذا البدن إلى جرم فلكي.

و أما تحول النفس من نشأة الطبيعة الدنيوية إلى النشأة الأخروية و صيرورتها بحسب ملكاتها و أحوالها مصورة بصورة أخروية حيوانية أو غيرها حسنة بهية نورية أو قبيحة ردية ظلمانية سبعية أو بهيمية متخالفة الأنواع حاصلة من أعمالها و أفعالها الدنيوية الكاسبة لتلك الصورة و الهيئات فليس ذلك مخالفا للتحقيق بل هو أمر ثابت بالبرهان محقق عند أئمة الكشف و العيان مستفاد من أرباب الشرائع الحقة و سائر الأديان دلت عليه ظواهر

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ٩، ص ۵

النصوص القرآنية و الأحاديث النبوية بل الكتاب و السنة مشحونة بذكر تجسم النفوس بصور أخلاقها و عاداتها و نياتها و اعتقاداتها تصريحا و تلويحا كما في قوله تعالى- **مٰا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لاٰ طٰائِرٍ يَطِيرُ بِجَنٰاحَيْهِ إِلاّٰ أُمَمٌ أَمْثٰالُكُمْ مٰا فَرَّطْنٰا فِي الْكِتٰابِ مِنْ شَيْءٍ** و قوله تعالى **وَ جَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنٰازِيرَ وَ عَبَدَ الطّٰاغُوتَ** و قوله تعالى **فَقُلْنٰا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خٰاسِئِينَ** و قوله تعالى **شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصٰارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ** و شهادة الأعضاء بحسب هيئاتها المناسبة لملكاتها الحاصلة من تكرر أفعالها في الدنيا و قوله تعالى **يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ- بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ** فصورة الكلب مثلا و لسانه أو صوته الذي بواسطة لسانه تشهد بعمله الذي هو الشر و على سوء باطنه و عادته و كذا غيره من الحيوانات الهالكة تشهد عليها أعضاؤها بأفعالها السيئة و كقوله تعالى **وَ نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ عَلىٰ وُجُوهِهِمْ** و كقوله تعالى **فِيهٰا زَفِيرٌ وَ شَهِيقٌ** و كقوله تعالى **قٰالَ اخْسَؤُا فِيهٰا وَ لاٰ تُكَلِّمُونِ** إلى غير ذلك من آيات النسخ.

و أما ما وقع في الحديث

فكقوله ص: يحشر الناس على وجوه مختلفة

أي على صور مناسبة لأعمالها المؤدية إلى ضمائرها و نياتها و ملكاتها المختلفة و

كقوله ص: كما تعيشون تموتون و كما تنامون تبعثون

و روي عنه أنه قال ص: يحشر بعض الناس على صورة يحسن عندها القردة و الخنازير

و في الحديث أيضا ما معناه

: من خالف الإمام في أفعال الصلاة- يحشر و رأسه رأس حمار

فإنه إذا عاش في المخالفة التي هي عين البلاهة تمكنت فيه- و لتمكن صفة الحماقة فيه يحشر على صورة الحمار و في حديث آخر في صفة المنافقين-

: يلبسون الناس جلود الضأن و قلوبهم كالذئاب

هذا كله بحسب تحول الباطن من حقيقة الإنسانية قوة أو فعلا إلى حقيقة أخرى بهيمية أو سبعية و بالجملة ثبوت النقل على هذا الوجه تحول بحسب الباطن ثم حشر الأرواح إلى صورة تناسبها في الآخرة أمر ورد

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ٩، ص ۶

في جميع الأديان و لذا قيل ما من مذهب إلا و للتناسخ فيه قدم راسخ و ظني أن ما هو منقول عن أساطين الحكمة كأفلاطون و من قبله من أعاظم الفلاسفة مثل سقراط و فيثاغورث و أغاثاذيمون و أنباذقلس من إصرارهم على مذهب التناسخ لم يكن معناه إلا الذي ورد في الشريعة بحسب النشأة الآخرة.

و كذا ما نقل عن المعلم الأول من رجوعه من إنكار التناسخ إلى رأي أستاذه أفلاطون- كان في هذا المعنى من انبعاث النفوس الإنسانية الردية الناقصة في العلم و العمل أو في العلم فقط إلى صور تناسب نفوسها أما المجرمة الشقية فإلى صور الحيوانات المختلفة مناسبة لأخلاقها و عاداتها الردية التي غلبت عليهم في الدنيا و أما السليمة المتوسطة فيهما أو الناقصة في العلم الكاملة في العمل فإلى صورة حسنة بهية مناسبة لأخلاقهم أيضا و ذلك لأن التناسخ على المعنى

المشهور الذي ذهب إليه التناسخية مبرهن البطلان محقق الفساد و أما النفوس المبالغة إلى حد العقل بالفعل أي الكاملون في العلم سواء كملوا في العمل أو توسطوا فيه- فالجميع متفقون على خلاصهم عن الأبدان طبيعية كانت أو أخروية و سواء كان النقل الذي قالوا به حقا أو باطلا لكونهم منخرطين في سلك العقول المقدسة عن الأجرام و الأبعاد كما عن الحركات و المواد

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۷

فصل (٣) في إبطال التناسخ بأقسامه و الإشارة إلى مذاهب أصحابه و هدم آرائهم

أما إبطال ما قاله بعض التناسخية-

و هو انتقال النفوس الإنسانية من أبدانهم إلى أبدان الحيوانات المناسبة لها في الأخلاق و الأعمال من غير خلاف كما ذهب إليه شرذمة قليلة من الحكماء المعروفين بالتناسخية و هم أقل الحكماء تحصيلا و أسخفهم رأيا حيث ذهبوا إلى امتناع تجرد شيء من النفوس بعد المفارقة من البدن المخصوص لأنها جرمية دائمة التردد في أبدان الحيوانات و غيرها فهو أخف مئونة و أسهل مأخذا و ذلك لأنا نقول لا يخلو إما أن تكون منطبعة في الأبدان أو مجردة و كلاهما محال أما الأول فلما عرفت من استحالة انطباع النفوس الإنسانية و مع استحالته مناف لمذهبهم أيضا لامتناع انتقال المنطبعات صورا كانت أو أعراضا من محل إلى محل آخر مباين للأول- و إنما قيدنا المحل الآخر بالمباين لأن للصور الطبيعية استحالات و انتقالات ذاتية و استكمالات جوهرية من طور إلى طور و الأبدان أيضا تتحول بحسب الكمية و الكيفية بل النوعية أيضا على وجه الاتصال و ذلك غير مستحيل كما مر في عدة مواضع من هذا الكتاب- و أما الثاني فلأن العناية الإلهية تأبى ذلك لأنها مقتضية لإيصال كل موجود إلى غايته و كماله و كمال النفس المجردة أما العلمي فبصيرورتها عقلا مستفادا فيها صور جميع الموجودات و أما العملي فبانقطاعها عن هذه التعلقات و تخليتها عن رذائل الأخلاق و مساوي الأعمال و صفاء مرآتها عن الكدورات فلو كانت دائمة التردد في الأجساد من غير خلاص إلى النشأة الأخرى و لا اتصال إلى ملكوت ربنا الأعلى كانت ممنوعة عن كمالها اللائق بها أبد الدهر و العناية تأبى ذلك.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۸

و أما إبطال ما ذهب إليه طائفة أخرى

غير هؤلاء في هذا الباب فنحن ذاكروه و هو ضربان آخران.

أحدهما ما نسب إلى المشرقيين

أن أول منزل للنور الأسفهبد الصيصية الإنسانية- و يسمونها باب الأبواب لحياة جميع الأبدان الحيوانية و النباتية و هذا هو رأي يوذاسف التناسخي القائل بالأكوار و الأدوار و هو الذي حكم بأن الطوفان النوحي يقع في أرضها و حذر بذلك قومه و قيل هو الذي شرع دين الصابئية لطهمورث الملك فقالوا إن الكاملين من السعداء تتصل نفوسهم بعد المفارقة بالعالم العقلي و الملإ الأعلى و تنال من السعادة ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر و أما غير الكاملين من السعداء كالمتوسطين منهم و الناقصين في الغاية و الأشقياء على طبقاتهم فتنتقل نفوسهم من هذا البدن إلى تدبير بدن آخر على اختلافهم في جهة النقل حيث اقتصر بعضهم على تجويز النقل إلى تدبير بدن آخر من النوع

الإنساني لا إلى غيره و بعضهم جوز ذلك و لكن اشترط أن يكون إلى بدن حيواني و بعضهم جوز النقل من البدن الإنساني إلى البدن النباتي أيضا و بعضهم إلى الجماد أيضا و إليه ميل إخوان الصفا.

و ثانيهما مذهب القائلين بالنقل من جهة الصعود

فزعموا أن الأولى بقبول الفيض الجديد هو النبات لا غير و أن المزاج الإنساني يستدعي نفسا أشرف و هي التي جاوزت الدرجات النباتية و الحيوانية فكل نفس إنما يفيض على النبات فتنتقل في أنواعه المتفاوتة المراتب من الأنقص إلى الأكمل حتى تنتهي إلى المرتبة المتاخمة لأدنى مرتبة من الحيوان كالنحل ثم ينتقل إلى المرتبة الأدنى من الحيوان كالدود مترقية منها إلى الأعلى فالأعلى حتى تصعد إلى رتبة الإنسان متخلصة إليها من المرتبة المتاخمة لها.

و لنذكر حججا على إبطال هذين المذهبين

بعضها عامة يبطل بها التناسخ مطلقا

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۹

و بعضها خاصة يبطل بها أحد الوجهين ليكون الناظر على بصيرة في طلب المذهب الحق في سلوك الآخرة.

أما الحجة العامة

فهي أن النفس إذا تركت تدبير البدن لفساد المزاج و خروجه عن قبول تصرفها فلا يخلو حالها إما أن تنتقل إلى عالم العقل أو إلى عالم الأشباح الأخروية- أو إلى بدن طبيعي آخر من هذا العالم أو تصير معطلة عن تدبير نفساني فالاحتمالات لا تزيد هذه الأربعة و الأخيران باطلان فبقي أحد الأولين أحدهما للمقربين و ثانيهما لأصحاب اليمين و أصحاب الشمال على طبقات لكل صنف فأما بطلان الأخيرين أما التعطيل فلما تقرر من أن التعطيل محال و أما التناسخ فلأنه إذا اشتغلت بتدبير بدن آخر فذلك البدن لا بد أن يحدث فيه استعداد خاص و قد مر فيما سبق أن النفوس بما هي نفوس حادثة و أن حدوث الأشياء سيما الجواهر لا بد و أن ينتهي إلى علل مفارقة غير جسمانية لامتناع كون جسم علة للنفس و لا كون صورة طبيعية علة لها- و لا أيضا كون نفس علة لها فإذا لم يكن جسم و لا صورة و لا نفس علة للنفس فالأعراض

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۱۰

كذلك على الوجه الأولى و لأنها تابعة للأمور المذكورة لكن هذه الكيفيات الاستعدادية من الأمزجة و غيرها مخصصات و ماهيات لتأثير المؤثر العقلي فحدوث كل صورة أو نفس من المبدإ الدائم الفيض لا يتوقف إلا على استعدادات القوابل و الذي يقبل النفس هو البدن- فإذن متى حصل في البدن مزاج صالح لقبولها فبالضرورة يفيض عليه من الواهب النفس المدبرة من غير مهلة و لا تراخ البتة كفيضان النور من الشمس على قابل مقابل لها فإذا حدث البدن و فرضنا أن نفسا تعلقت به على سبيل التناسخ فلا بد أن يفيض عليه نفس أخرى من المبدإ على الوجه الذي بيناه فيلزم أن يكون لبدن واحد نفسان و ذلك باطل لما مضى أن لكل بدن نفسا واحدة سيما على طريقتنا من كون كل نفس هي نحو وجود البدن الذي لها و تشخصه و لا يمكن أن يكون لوجود واحد ذاتان و وجودان- و ما من شخص إلا و يشعر بنفس و ذات واحدة له و ليس لأحد منهم أن يقول النفس المتناسخة منعت من حدوث النفس الأخرى إذ ليس إحداهما بالمنع

أولى من الأخرى- و قد أشرنا إلى أن استعداد المادة البدنية لقبول النفس من الواهب للصور يجري مجرى استعداد الجدار لقبول نور الشمس استقامة أو انعكاسا إذا رفع الحجاب من وجهه فإن كان عند ارتفاع الحجاب ثم جسم صقيل ينعكس منه نور الشمس الواقع عليه إلى ذلك الجدار أشرق عليه النوران الشمسيان الاستقامي و الانعكاسي و لا يمنع في وقوع النور الانعكاسي وقوع النور الاستقامي عليه فكذلك قياس ما نحن فيه لكن اجتماع النفسين ممتنع فالتناسخ ممتنع مطلقا سواء كان على وجه الصعود أو لا.

و أما منع كلية المقدمة المذكورة أي فيضان الأمر على القابل الإنساني من

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج٩، ص ١١

المبدإ ابتداء عند استعداده مستندا بأن نفوس النبات انتقلت إلى الحيوانات ثم صعدت ما تخلص منها إلى مرتبة الإنسان فساقط لأن ذلك الانتقال إن كانت على سبيل الاستكمال الجوهري المتصل في مادة واحدة لا في مواد منفصلة كاستكمالات الصورة الإنسانية من مبدإ تكونها إلى آخر تجردها فذلك ليس بتناسخ كما أشرنا إليه إنما الكلام في تعلق النفس من بدن إلى بدن آخر مباين و ذلك لأن مادة النبات إذا استدعى بحسب مزاجه و استعداده نفسا فاستدعاء المادة الإنسانية بمزاجه الأشرف الأعدل للنفس أولى.

لا يقال مثل هذه الأولويات في عالم الحركات و الاتفاقات غير مسموعة فإن لبعض الأشياء أسبابا قدرية غائبة عن شعورنا و لو اتفق الناس على أن يعرفوا أن المغناطيس- بأي مزاج استعد للقوة الجاذبة للحديد لم يمكنهم فليس لأحد أن يقول إذا استعد المغناطيس لجذب الحديد فمزاج الإنسان أولى بجذبه لأنه أشرف و ذلك لخفاء المرجع.

لأنا نقول المزاج الأشرف الأكمل يستدعي النوع الأشرف الأكمل و تفاوت الشرف في الوجود بحسب درجات القرب من المبدإ الأعلى و البعد من المادة الأولى فكلما كان أشد تجردا و أكثر براءة من عوارض الجسمية و اللواحق المادية فهو أكمل وجودا- و أقرب إلى منبع الوجود الخالي عن شوب النقص و الحاجة و جذب الحديد ليس من مراتب الشرف و الكمال يكون في الإنسان أكثر و أولى من الجماد.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج٩، ص ١٢

فإن قالوا إن المزاج الأشرف إذا استدعى النفس الأشرف الأتم و هي التي جاوزت الدرجات النباتية و الحيوانية فيجب أن النفس المتعلقة هي التي انتقلت عنها- قلنا هذا مجرد دعوى بلا بينة فإن نفوس الأفلاك شريفة في الغاية و لم تنتقل إليها من الحيوان و الإنسان نفس و لو سلم فالتجاوز و الانتقال لا يلزم أن يكون من بدن إلى بدن آخر بل باستكمالات ذاتية متصلة فالنفس الإنسانية الحادثة بحدوث مزاج الإنسان من لدن كونه منيا و جنينا إلى أن تبلغ إلى مرتبة الإنسانية قد صادفت الدرجات النباتية و الحيوانية على سبيل استكمال طبيعي حاصل في كلا طرفي المادة و الصورة و البدن و النفس و قد سبق أن استكمالات النطفة الإنسانية و تحولاتها في أطوار الخلقة- حيث كانت جمادا ثم نباتا ثم حيوانا ثم إنسانا يكون على هذا الوجه لا الذي زعمه الجمهور- من أن هاهنا كونا بعد فساد و فسادا بعد كون من صورة إلى صورة أخرى متباينة الوجود- فإن ذلك غير صحيح كما مر من بطلان تفويض فاعل طبيعي تدبيره في مادة إلى فاعل طبيعي آخر على قياس توارد الفواعل المختارين على موضع واحد في صنائعهم و كما استحال انتقال الفعل الطبيعي عن أحد

فاعلين طبيعيين إلى الآخر كذلك يستحيل انتقال الفاعل الواحد من فعل طبيعي إلى فعل طبيعي مباين للأول من غير جهة اتحاد بينهما و هو المعنى بالتناسخ فيكون محالا

حجة أخرى عامة

هي أن النفس إذا فارقت البدن كان آن مفارقتها عن البدن الأول- غير آن اتصالها بالبدن الثاني و بين كل آنين زمان فيلزم كونها بين البدنين معطلة عن التدبير و التعطيل محال و هذا تمام على طريقتنا من أن نفسية النفس نحو وجودها الخاص- ليست كإضافة عارضة لها.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۱۳

و أما الحجة الخاصة

على إبطال النقل في جهة النزول فهي أنها لو كان ما ذهبوا إليه حقا لزم أن يتصل وقت كل فساد لبدن إنساني بوقت كون بدن حيوان صامت- و اللازم باطل فالملزوم كذلك.

أما بيان الملازمة فلما ذهبوا إليه من أن أول منزل النور الأسفهبدي أي الجوهر المجرد النفسي هو الصيصية الإنسانية أي البدن الإنساني الذي خلق تام القوى و الآلات- و هو باب الأبواب عندهم لحياة جميع الأبدان العنصرية لأن حياة جميع الحيوانات الأرضية بانتقال النفوس الإنسانية إليه فلا حيوان عند هؤلاء و هم يوذاسف التناسخي و من قبله من حكماء بابل و فارس كما هو المشهور غير الإنسان إلا أنه نسخ البعض و بقي البعض و يستنسخ الباقي في عالم الغرور إن كان من الناقصين أو سيرفع إلى عالم النور إن كان من الكاملين فأي خلق يغلب على الجوهر النطقي و أية هيئة ظلمانية يتمكن فيها و يركن إليها فيوجب أن ينتقل بعد فساد بدنه إلى بدن مناسب لتلك الهيئة الظلمانية من الحيوانات

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۱۴

المنتكسة الرءوس فإن لكل خلق أبدان أنواع من حيوانات مناسبة لذلك الخلق و لكل باب منه جزء مقسوم أي لكل بدن من الحيوانات التي هي أبواب الجحيم و هي عالم العناصر عندهم قدر مخصوص من الخلق المتعلق بذلك النوع من الحيوان فإن نوعي الخنزير و النمل و إن اشتركا في خلق الحرص إلا أن حرص النمل ليس كحرص الخنزير- و كذا لا يكون حرص بعض أشخاص كل نوع منها كحرص الباقي و قس عليه سائر ذمائم الأخلاق- و اختلافها شدة و ضعفا و إفرادا و تركيبا كما سيجيء زيادة تفصيل فاختلاف الحيوانات في الحقائق أنما هو لأجل اختلاف الناس في الأخلاق المحمودة و المذمومة و في شدتها و ضعفها و اختلاف تركيبها فإن الأخلاق كلها واردة إليها من المنزل الأول باب الأبواب الذي هو الإنسان لأنها التي كانت موجودة فيه أولا و صارت منه إليها بانتقال جوهر نفسه الموصوفة بها إليها من غير تعطلها في البين.

و أما بطلان اللازم فلوجهين- أحدهما ظهور عدم العلاقة اللزومية الموجبة لاتصال وقت فساد البدن الإنساني بوقت كون البدن الحيواني الصامت و منع ذلك مستندا بأن هذه الأمور مضبوطة بهيئات فلكية غائبة عنا كما يجب في خسارة بعض ربح بعض بحيث لا يبقى المال بينهما معطلا مكابرة إذ مبناه على مجرد احتمال بعيد و مثل هذه الاحتمالات البعيدة لا يوقع اعتقادا و لا يصادم برهانا و مع تمكينها لا يبقى لأحد اعتماد على الحكم على أمرين بالملازمة و على

آخرين بعدمها.

و ثانيهما أنه يلزم على ذلك أن ينطبق دائما عدد الكائنات من الأبدان الحيوانية- على عدد الفاسدات من الأبدان الإنسانية و ذلك لأنه لو زادت النفوس على الأبدان- لازدحمت عدة منها على بدن واحد فإن لم تتمانع و تتدافع فيكون لبدن واحد عدة نفوس و قد بين بطلانه و إن تمانعت و تدافعت بقيت كلها أو بعضها معطلة و لا معطل في الوجود و إن زادت الأبدان على النفوس فإن تعلقت نفس واحدة بأكثر من بدن يلزم أن يكون الحيوان الواحد بعينه غيره و إن لم يتعلق فإن حدث لبعض تلك الأبدان نفوس جديدة و للبعض نفوس مستنسخة كان ترجيحا بلا مرجح و إن لم يحدث لبعضها نفوس بقي

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۱۵

بعض الأبدان المستعدة للنفس الجديدة بلا نفس و الكل محال.

و أما بطلان التالي فلأنه قد تكون الكائنات أكثر من الفاسدات إذ في يوم واحد قد يتولد من النمل ما يزيد عن أموات الإنسان في سنين شتى [بشيء] لا يتقايس فضلا عن أموات أهل الحرص منهم في ذلك اليوم و قد تكون الفاسدات أكثر كما في الوباء العام و الطوفان الشامل.

و أجيب عنه بأنه لا نسلم أن عدد الكائنات أكثر من الفاسدات و إنما يلزم ذلك- لو كان تولد كل نملة في يوم بانتقال نفس حريص مات في ذلك اليوم إليه و هو غير لازم- لجواز أن يكون بانتقال نفس حريص مات في ألوف من السنين و قد فارقت أبدانا كثيرة- إلى أن وصلت إلى هذه النملة فإن نفس الحريص لا تلحق البنية النملية عند الموتة الأولى بل بعد موتات كثيرة فإن من فيه هيئات ردية تتعلق بعد المفارقة بأعظم بدن حيوان يناسب أقوى تلك الهيئات ثم تنزل على الترتيب من الأكبر إلى الأوسط و منه إلى الأصغر إلى أن تزول تلك الهيئة الردية ثم تتعلق بأعظم بدن يناسب الهيئة التي تلي الهيئة الأولى في القوة متدرجا في النزول إلى أن يفنى كل تلك الهيئات و حينئذ تفارق عالم الكون و الفساد و تتعلق بأول منازل الجنان لزوال العلائق البدنية الظلمانية- و الهيئات الردية الجسمانية و لا نسلم أيضا أن الفاسدات تكون أكثر من الكائنات و إنما يلزم ذلك لو جاز أن يرتقي من أبدان الحيوانات إلى الإنسان شيء من نفوسها ليلزم صعوبة انطباق العدد الكثير من أبدان حيوانات كثيرة الأعداد قصيرة الأعمار كأبدان الذباب و البق و البعوض و الحشرات و أمثالها إذ بأقل حرارة أو برودة أو ريح يموت و ينفسد من كل واحد من هذه الحشرات في ساعة ما لا يتكون من الإنسان إلا في ألوف من السنين.

لا يقال قد يحصل وباء عام أو طوفان كلي يهلك كل ذي نفس فيلزم زيادة الفاسد

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۱۶

على الكائن ضرورة لأنا نقول هذا غير معلوم الوقوع فإن الوباء العام لجميع أصناف الحيوانات- الشامل لجميع النواحي بحيث لا يبقى حيوان أصلا غير متيقن و المتيقن وجود وباء في بعض نواحي الأرض دون غيرها و كذا الكلام في الطوفان إذ لا يلزم منه أيضا أن الفاسد من الإنسان أكثر من الكائن من الحيوان لجواز أن يكون بإزاء ما فسد منه كائنات من الحيوانات البحرية كالحيتان و نحوها أو الحشرات الأرضية كالدود و أمثالها و لا استبعاد في أن يكون لكل قوم من

أرباب الصناعات الدنيوية أمة من الصوامت البرية و البحرية يشبههم خلقا و خلقا و عيشة كالجند من الأتراك التي يشبه خلقهم و عيشهم أخلاق السباع و عيشها- فلا جرم بعد موت ذلك القوم ينتقل نفوسهم إلى أعظم نوع من السبع ثم إلى أوسطه على المراتب الكثيرة ثم إلى الأصغر في أحقاب كثيرة و أزمنة متطاولة إلى أن يزول عنها تلك الهيئات الردية فحينئذ يترقى إلى عالم الجنان كما مر.

أقول العمدة في بطلان التناسخ على جهة النزول ملاحظة أن الموجودات الصورية كالطبائع و النفوس متوجهة نحو غاياتها الوجودية خارجة عما لها من القوة الاستعدادية إلى الفعلية و النفس ما دامت في بدنها يزيد بجوهرها و فعليتها فيصير شيئا فشيئا أقوى وجودا و أشد تحصلا سواء كانت من السعداء في النشأة الأخرى أو من الأشقياء- و قوة الوجود يوجب الاستقلال في التجوهر و الاستغناء عن المحل أو المتعلق به حتى يصير المتصل منفصلا و المقارن مفارقا فكون النفس الإنسانية حين حدوثها في البدن مجردة الذات مادية الفعل و عند فساد البدن بحيث صارت مادية الذات و الفعل جميعا كما يلزم من كلامهم في نفوس الأشقياء حيث تصير بعد فساد البدن نفسا حيوانية غير مجردة ذاتا و فعلا كما رأوه مما يحكم البرهان على فساده و يصادمه القول بأن للأشياء غايات ذاتية- و أنها بحسب الغايات الزمانية طالبة لكمالاتها مشتاقة بغرائزها إلى غاياتها فهذه الحركة الرجوعية في الوجود من الأشد إلى الأنقص و من الأقوى إلى الأضعف بحسب الذات ممتنع جدا.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج‏٩، ص ١٧

فإن قلت صيرورة الإنسان بهيمة ناقصة لا يلزم أن يكون بحسب الحركة الذاتية- بل ربما يكون قسرا و إجبارا.

أقول هذا غير جائز بوجهين- الأول أن مثل هذه الأشياء لا يكون دائميا و لا أكثريا كما بين في موضعه- و الذي ذهبوا إليه من الانتقال النزولي إنما يكون في أكثر أفراد النفوس الإنسانية- و أهل الارتقاء الاستكمالية إلى الملكوت الأعلى قليل عندهم كما أن عدد المقربين الكاملين في العلم قليل عندنا أيضا.

و الثاني أن هذه الحركة الوجودية الاستكمالية لا يصادمها ما دام وجود الموضوع قسر قاسر و لا إجبار و لا اتفاق إلا القواطع التي يوجب العدم و الهلاك و الانقطاع- و عند ذلك لم يبق للشي‏ء حركة و استكمال غير ما حصل في مدة الكون لا الانحطاط و النزول عما كان سابقا.

فإن قلت فإذا كانت النفوس كلها مترقية متوجهة نحو الكمال الوجودي حتى الفسقة و الجهال و الأرذال فما وجه الشقاوة الأخروية.

أقول منشأ الشقاوة أيضا ضرب من الكمال لأن النفس و إن استقلت بضرب من الوجود لكن لما اعتادت في هذه النشأة بأفعال و أعمال قبيحة شهوية أو غضبية أو تمكنت فيه العقائد الفاسدة فعند خروجها عن الدنيا و رفع الغشاوة عن بصرها تتعذب بما يتبعها من سوء العادات و الشوق إلى المشتهيات الخسيسة الدنياوية و بالاعتقادات

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج‏٩، ص ١٨

الفاسدة و الجهالات الراسخة.

و توضيح ما ذكرناه أنه ما من نفس إنسانية إلا و لها وجود استقلالي بعد موتها الطبيعي- عن هذا البدن و لها بحسب ما

لها من الأفعال و الأعمال المؤدية إلى الأخلاق و الملكات- نوع تحصل في الوجود و الفعلية سواء كانت تلك الأخلاق فاضلة ملكية أو شيطانية أو سبعية أو بهيمية فإن خرجت النفس الإنسانية في مدة كونها العنصري و حياتها الطبيعية و نشأتها الدنيوية عن القوة الهيولانية التي كانت لها في أصل هذه الفطرة- و صارت بالفعل بحسب ما حصل لها من الملكات تصورت بصورة شيء من هذه الأجناس التي تحتها أنواع كثيرة تصورا غير طبيعي و لا مادي لأنها تصير عند انقطاعها عن الدنيا صورة بلا مادة و فعلا بلا قوة سواء كانت سعيدة أو شقية متنعمة بلوازم أخلاقها الشريفة- و نتائج أعمالها الحسنة أو معذبة بلوازم أخلاقها الردية و نتائج أعمالها السيئة.

فإن قلت كل صورة بلا مادة فهو عقل محض فيكون جوهرا كاملا في عالم القدس فكيف يكون من الأشقياء.

قلت المادة عبارة عن محل الانفعالات و الحركات للأمور الكائنة الفاسدة و للتجرد عنها لا يستلزم التجرد عن المقادير و الأبعاد مطلقا كما في الصور العقلية و أما الأبدان الأخروية المناسبة لأخلاق النفوس فهي ليست مواد لتلك النفوس حاملة لقوة كمالاتها و هيئاتها بل هي أشباح ظلية و قوالب مثالية وجودها للنفس كوجود الظل من

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج‏٩، ص ١٩

ذي الظل إذ هي حاصلة من تلك النفوس بمجرد جهات فاعلية و حيثيات إيجابية لا بحسب جهات قابلية و حركات مادية و كل ما يحصل من النفس بحسب الجهات الفاعلية و الهيئات النفسانية فذلك الشيء لا يكون مادة لها و لا بدنا كهذا البدن الذي يتعلق به النفس تعلق التدبير و التحريك بل يكون من اللازم لها و وجوده منها وجود الظل من ذي الظل- فإن ذي الظل لا يستكمل بظله و لا ينفعل منه و لا يتغير عن حاله بسببه بل و لا يلتفت إليه فهذه الأحكام التي زعمتها أصحاب التناسخ ثابتة للنفس موجبة لانتقالها إلى بدن آخر عنصري حاصلة لها بعد انتقالها منفسخة بما حققناه من صيرورة كل نفس في مدة حياتها الطبيعية ذاتا مستقلة بوجودها موجودة بوجود آخر غير هذا الوجود الطبيعي المادي- صائرة نوعا آخر متحصلة بالفعل بحسب الحقيقة الباطنية.

فإن قلت أ ليس الإنسان نوعا واحدا و أفراد النفوس البشرية كلها أفراد نوع واحد فكيف يصير أنواعا كثيرة من الحيوانات المختلفة و غيرها سواء كانت هاهنا أو في نشأة أخرى و هل هذا إلا قلب الماهية و هو محال.

قلنا الإنسان الطبيعي نوع واحد حقيقي و كذا النفوس البشرية من جهة هذا الوجود التعلقي نوع واحد لأنها مبدأ فصله المقوم لماهيته و هو مفهوم الناطق المحصل لجنسه الذي هو الجسم النامي الحساس و معنى الناطق ما له قوة إدراك الكليات و هو في جميع الأفراد على السواء فهذه النفس و إن كانت صورة هذا النوع الطبيعي و تمامه لكنها بعينها جوهر قابل لصور مختلفة النوع بحسب وجود آخر غير طبيعي كما أن

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج‏٩، ص ٢٠

الهيولى الأولى العنصرية واحدة في ذاتها كثيرة الأنواع بحسب ما يخرج من القوة إلى الفعل في هذا الوجود الطبيعي و لا منافات بين وحدتها و كثرتها من جهتين فكذا حال النفس و بالجملة الإنسان نوع طبيعي مركب من مادة عنصرية ذي مزاج معتدل بشري- و من صورة كمالية هي نفس متعلقة به حافظة لمزاجه و فاعلة لأفعال و أعمال يخصه- و له ماهية نوعية محصلة من جنس قريب مأخوذ من مادته و فصل قريب مأخوذ من صورته التي هي نفسه و هي كماله الأول

لجسمه الطبيعي من جهة ما يفعل الأفاعيل الخاصة به و يدرك أوائل الكليات فالنفوس الإنسانية بحسب هذا الوجود و هذه النشأة- مندرجة تحت نوع واحد حقيقي من هذه الجهة كلها متماثلة لكنها بحسب هذا الوجود- قابلة لهيئات و ملكات نفسانية يخرج لها من القوة إلى الفعل في وجود آخر من جهة أفعال و أعمال مختلفة تصدر منها في هذا الوجود كل صنف منها يناسب نوعا آخر من تلك الهيئات الباطنة فإذا تمكنت تلك الهيئات المختلفة في أفراد النفوس خرجت النفوس فيها من القوة إلى الفعل و اتحدت بها فتصورت بصورة أخرى و وجدت بها وجودا آخر غير هذا الوجود في نشأة ثانية و هي لا محالة تصير أنواعا مختلفة و حقائق متخالفة- و يتصور بصور ملكية أو شيطانية أو بهيمية أو سبعية متخالفة الأشكال و الهيئات في تلك النشأة لا في هذه النشأة الدنياوية لاستحالة التناسخ كما مر تقريره.

و هذا المذهب أي كون النفوس الإنسانية في أوائل فطرتها من نوع و صيرورتها في الفطرة الثانية أنواعا و أجناسا كثيرة و إن لم يكن مشهورا من أحد من الحكماء- لكنه ما ألهمنا الله تعالى و ساق إليه البرهان و يصدقه القرآن كقوله تعالى **وَ ما كانَ**

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۱

النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً واحِدَةً فَاخْتَلَفُوا و قوله تعالى **تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَ قُلُوبُهُمْ شَتَّى** و كقوله تعالى **اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ** و مما يدل على أن نوع العلماء من البشر- مباين لغيرهم قوله تعالى **وَ مِنَ النَّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ** كذلك **إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ** فالنفس ما دامت تكون بالقوة و في أول الفطرة يمكن لها اكتساب أي مرتبة و مقام شائت لمكان استعدادها الأصلي قبل صيرورتها بالفعل شيئا من الأشياء المتحصلة و أما إذا صارت مصورة بصورة باطنية و استحكمت فعليتها و رسخت و قوى تمكنها في النفس فاستقرت النفس على تلك المرتبة تبطل عنها استعداد الانتقال من نقص إلى كمال و تطور من حال إلى حال فإن هذا الرجوع إلى الفطرة الأولى- من الفطرة الثانية ممتنع كما مر و العود إلى مرتبة التراب و الهيولى مجرد تمني أمر مستحيل و المحال غير مقدور عليه

حكمة عرشية: إن للنفس الإنسانية نشآت ثلاثة إدراكية

النشأة الأولى

هي الصورة الحسية الطبيعية و مظهرها الحواس الخمس الظاهرة- و يقال لها الدنيا لدنوها و قربها لتقدمها على الأخيرتين و عالم الشهادة لكونها مشهودة بالحواس و شرورها و خيراتها معلومة لكل أحد لا يحتاج إلى البيان و في هذه النشأة لا يخلو موجود عن حركته و استحالته و وجود صورتها لا تنفك عن وجود مادتها-

و النشأة الثانية

هي الأشباح و الصور الغائبة عن هذه الحواس و مظهرها

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۲

الحواس الباطنة و يقال لها عالم الغيب و الآخرة لمقايستها إلى الأولى لأن الآخرة و الأولى من باب المضاف و لهذا لا يعرف إحداهما إلا مع الأخرى كالمتضايفين كما قال تعالى **وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولى‏ فَلَوْ لا تَذَكَّرُونَ** و هي تنقسم

إلى الجنة و هي دار السعداء و الجحيم و هي دار الأشقياء و مبادي السعادات و الشقاوات فيهما هي الملكات و الأخلاق الفاضلة و الرذيلة.

و النشأة الثالثة

هي العقلية و هي دار المقربين و دار العقل و المعقول و مظهرها القوة العاقلة من الإنسان إذا صارت عقلا بالفعل و هي لا تكون إلا خيرا محضا و نورا صرفا فالنشأة الأولى دار القوة و الاستعداد و المزرعة لبذور الأرواح و نبات النيات و الاعتقادات و أخريان كل منهما دار التمام و الفعلية و حصول الثمرات و حصاد المزروعات فإذا تقرر هذا و لم تكن النفس ذات قوة استعدادية ساذجة من الصور و الأوصاف و الملكات النفسانية إلا في أول كونها الدنياوي و مبدإ فطرتها الأصلية قبل أن تخرج قوتها الهيولانية النفسانية إلى فعلية الآراء و الملكات و الأخلاق فلا يمكن لها- بعد أن يخرج في شيء منها من القوة إلى الفعل أن يتكرر لها القوة الاستعدادية بحسب فطرة ثانية هي أيضا في هذا العالم و تكون آخر لأجل تعلق بمادة أخرى حيوانية- لأن عروض الحالة الهيولانية لا يمكن إلا بانخلاعها عن جملة الأوصاف و الملكات الباطنة- و هذا مع استحالتها ينافي مذهبهم من انتقال النفوس بواسطة هيئاتها الردية إلى أبدان حيوانات أخرى.

و أما الحجة الخاصة

بإبطال النقل من جهة الصعود فهي أن الحيوان الصامت إن لم يكن له نفس مجردة بل كانت نفسه منطبعة فيستحيل عليه الانتقال من بدن إلى بدن- لكونها جوهرا ناعتيا انطباعيا و البرهان قائم على استحالة الانتقال في المنطبعات- أعراضا كانت أو صورا و إن كانت نفسه مجردة فمن أين يحصل لها الكمال و الترقي إلى

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۳

رتبة الإنسان و ليست لها من الآلات و القوى إلا ما هي مبادي الآثار و الأفعال الهيولانية- و العلائق الأرضية من الشهوة و الانتقام و اللذين هما كمال نفوس الدواب و الأنعام- و هما أصلان عظيمان للتجرم و الإخلاد إلى الأجساد كيف و شيء منهما إذا غلب على الإنسان الذي هو أشرف أنواع العامرات من الكائنات يوجب أن ينحط درجته إلى نوع نازل من الحيوان المناسب لذلك الخلق سواء كان في هذه النشأة الدنياوية لو كان النقل حقا على ما زعمه الذاهبون إليه أو في النشأة الآخرة كما هو المحقق عند المكاشف و يراه أهل الحق من بطلان النقل فإذا كان مقتضى الشهوة الغالبة أو الغضب الغالب شقاوة النفس و هبوط نشأتها و نزولها إلى مراتب الحيوانات الصامتة التي كمالها في كمال إحدى هاتين القوتين فيمتنع أن يكون وجود هاتين القوتين و أفعالهما منشأ لارتفاع النفوس من درجتها البهيمية و السبعية إلى درجة الإنسان الذي كمال نفسه في كسر هاتين القوتين.

و أما ما قيل إن في الحيوان كالفرس مثلا شيئا ثابتا في تمام عمره و لا شيء من أعضاء بدنه إلا و للتحلل فيه سبيل لأجل الحرارة الغريزية و الغريبة الداخلة و الخارجة- من الهواء المحيط و لو يسيرا يسيرا و ليس لأحد أن يقول فرسية هذا الفرس و نفسه في الانتقال و التبدل على أن لنفسه إدراكات كلية لأنا قد نرى أنه إذا ضرب واحد منها بخشبة ثم بعد حين جررت له خشبة يهرب و لو لا أنه بقي في ذهنه معنى كلي مطابق- لضرب من ذلك النوع لم يهرب و لما امتنع إعادة عين الضرب الماضي بل العائد

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۴

مثله لا عينه فإدراكه ليس بالمعنى الجزئي ثم قد نرى هذه الحيوانات مع اشتراكها في الحيوانية مختلفة في قربها إلى العالم الإنساني و بعدها حتى أن بعضها في غاية القرب من أفق الإنسان كالقرد المحاكي له في الأفعال و الطوطي المحاكي له في الأقوال- ففي بعضها ضرب من القوة العملية القريبة من العقل العملي و في بعضها ضرب من القوة العملية القريبة من العقل النظري ثم إن عجائب أحوال بعض الحيوانات و ملكاتها- كتكبر الأسد و حقد الجمل و هندسة النحل و سماع الإبل المنسي له مشتهياته يشهد بأن لها نفوسا غير منطبعة ينبغي أن يرتقي إلى الإنسانية و بالجملة نراها بحسب غرائزها متوجهة نحو كمال مترقية إلى غاية فإن كان ارتفاعا إلى غاية فإلى الإنسانية ثم إلى الملكية و إن لم يكن لها في توجهها الغريزي غاية فغير لائق بالجود الإلهي منع المستحق عن كماله.

فالجواب أن لكل نوع من الحيوانات بل النباتات ملكا هاديا له إلى خصائص أفعاله و كماله متصلا به ضربا من الاتصال و هو الذي سماه الفرس رب الصنم و نحن قد أوضحنا سبيل إثبات الصور المفارقة للطبائع المادية و أن لكل نوع من أنواع الأجسام الطبيعية جوهرا مقوما لوجوده أصلا لأفراد ماهيته ذا عناية بها و اختلافها في الشرف و الخسة لأجل اختلاف مبادئها المفارقة النورية في شدة نوريتها و ضعفها و قربها و بعدها- من نور الأنوار و أما على طريقة المشائيين فغرائب إدراكات بعض الحيوانات و تفنن حركاتها أنما تكون بمعاونة قوى طبيعية فلكية و إلهامات سماوية و يجوز أن تصدر عن قوة جرمية بمناسبات مزاجية حركات إدراكية كحال الإبل في تلذذه بالسمعيات.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۵

و أقول على تقدير أن يكون لها نفوس غير منطبعة في مادة متوجهة نحو كمال فلا يلزم أن يكون كمالها كمالا عقليا حتى يلزم دخولها في باب الإنسانية و ارتقاء نفوسها بحسب هوياتها الشخصية إلى عالم العقل على أن كثيرا من الناس ليس لهم في النشأة الآخرة درجة عقلية و لهم مع ذلك لذات خيالية و ابتهاجات حيوانية و سعادات ظنية هي الغاية القصوى في حقهم إذ لا شوق لهم إلى العقليات و لا نصيب لهم من الملكوت الأعلى- و ليس لكل ذي نفس أن يتوجه إلى غاية عقلية و كمال مطلق و التوجه إلى كمال ما لا يوجب الدخول إلى باب الإنسان و لا يلزم منه منع عن الكمال إذ من المحال منع المستحق عما يستحقه بخصوصه و عن الكمال اللائق بحاله كالكمال المطلق و الخير المحض إذ ربما لا يناسبه و لا يستعده لا بشخصه و لا بنوعه كالإنسان ثم على تسليم أن لها استعدادا نحو الكمال العقلي فلا نسلم أن ذلك يستدعي اجتيازها إلى الدرجة الإنسانية- و تخطيها إياها فإن الطرق إلى الله و إلى دار ملكوته لا تنحصر في باب واحد كما قال تعالى **وَ لِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيها** و كقوله تعالى

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۶

ما مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها إِنَّ رَبِّي عَلى‏ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ و هو صراط الإنسان المؤدي بسالكه إلى رب محمد ع و جميع الأنبياء و آله ع و هو اسم الله الجامع لكل الأسماء الإلهية و مظاهرها دون سائر الصراط المنتهية إلى أرباب الأنواع و أسمائها كالمنتقم و المذل و الجبار و المضل و غيرها كما يعرفه أهل الحق العارفون بعلم الأسماء

فصل (۳) في دفع الشكوك الباقية لأصحاب النقل و حلها

اعلم أن لأصحاب النقل متشبثات أخرى ينبغي إيرادها و ردها ليكون السالك على بصيرة و رسوخ في تحقيق الحق و إبطال الباطل لأن مسألة النقل كثيرة الاشتباه- دقيقة المسلك و لذلك اشتهر بين الناس أن قدماء الفلاسفة مع عظم رتبتهم في الحكمة قائلون بالتناسخ و نسبة القول به إليهم افتراء محض عندنا مبناه الاشتباه بين حشر النفوس الإنسانية و تناسخها.

فمنها أن احتياج النفوس إلى الأبدان

لأنها أي النفوس ناقصة بالقوة بحسب أول الفطرة و لا شك أن العصاة من الأمم الشقية الجاهلة التي كفرت بأنعم الله صارت أنقص

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۷

و أبخس مما كانت في أوائل فطرها فهي أشد احتياجا و أقوى انجذابا إلى المواد البدنية مما كانت و هذه الشبهة مما أوردها بعض أهل الحكمة و لم يقدر على حلها و الذي أفادنا الله و ألقى في ذهني أن كل نفس و إن كانت في أول تكونها بالقوة في جميع ما لها من الكمالات و الصفات النفسانية الخيالية أو العقلية مع كونها بالفعل صورة و كمالا- لجسم طبيعي مادي و لذلك لم يقم بلا مادة كما قالوه إلا أنها بعد وجودها الطبيعي و في مدة تكونها البدني تكتسب أخلاقا و ملكات شريفة أو خسيسة و آراء و اعتقادات حقة أو باطلة فتصير بالفعل بعد كونها بالقوة في شيء من الحالات النفسانية أما في السعادة الأخروية و ذلك إذا اقتنت ملكات فاضلة و اعتقادات حقة فصارت من جنس الملائكة و الأخيار و انخرطت في سلكهم و أما في الشقاوة الأخروية و ذلك إذا اكتسبت ملكات رذيلة و اعتقادات باطلة فشبهت بالشياطين و الأشرار لأنها من أهل الشر و الفساد- و بالجملة النفوس التي كانت في أول تكونها قابلة محضة في الصفات النفسانية كلها- و متعلقة بالهيولى صارت بحسب اكتساب الصفات المستقرة التي هي الملكات خارجة من القوة إلى الفعل و تصورت بصورة نفسانية باطنية لها نحو آخر من الوجود في نشأة أخرى لأنها في هذه النشأة كاملة بالفعل لأنها صورة و كمال لجسم طبيعي و لا يمكن أن يكون شيء واحد بحسب نشأة واحدة صورة و مادة أو فعلا و قوة أو كمالا و نقصا معا- فحاجة النفس الإنسانية إلى البدن إنما هي من جهة كونها قابلة محضة فيما لها من الصفات الباطنة فإذا خرجت في شيء منها من القوة إلى الفعل و تصورت ذاتها بصورتها الباطنة- لأجل رسوخ تلك الصفة زالت عنها القوة الاستعدادية التي كانت لها فتنفصل عن البدن- و تنفرد بنحو آخر من الوجود الصوري من غير مادة و استعداد و أما النفوس التي غلبت عليها ملكة العلوم الحقة و الأخلاق الفاضلة فتصير محشورة إلى عالم القدس موطن الملائكة المقربين و أما التي غلبت عليها الصفات الشيطانية من الجهل و الغواية و الضلالة فحشرت مع الشياطين أو الشهوية و الغضبية فحشرت مع البهائم و السباع و إليه الإشارة بقوله تعالى **وَ جَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنٰازِيرَ وَ عَبَدَ الطّٰاغُوتَ** و قد أشرنا إلى أن خروج النفس من القوة إلى الفعل لا ينافي الشقاوة الأخروية فالنفوس المتمردة الكافرة و الشقية

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۸

و إن صارت في حياتها الدنيوية أبخس مما كانت و أشقى لكنها مع ذلك زالت عنها القوة و الإمكان و بطل عنها الاستعداد و بلغت حد الكمال في الشقاوة.

و منها أن الفسقة و الجهال ربما قلت شواغلهم الحسية

لنوم أو مرض كما للممرورين فيطلع نفوسهم أمورا غيبية و ذلك لاتصالها بعالم القدس فلما جاز للأشقياء بمفارقة البدن أدنى مفارقة الاتصال بالمبادي و الاستسعاد بها حين اقترافها بالمعاصي و الشهوات فعند فساد البدن و انقطاعها بالكلية عن شواغله و عدم اشتغالها بشيء من أفعاله الطبيعية و الحسية كان ذلك الاتصال أولى فأين يتحقق الشقاوة و النكال و العقوبات التي توعد عليها في لسان الشرائع الحقة و النبوات فلا محالة ينبغي أن لا ينقطع علاقة الأشقياء و العصاة عن الأجرام لحصول العقاب بسبب اقتراف الخطيئات فلا بد أن تنتقل نفوس العصاة و المذنبين إلى شيء من الحيوانات المعذبة في الدنيا على حسب أخلاقهم و عادتهم المناسبة لذلك الحيوان لتبقى معذبة جزاء لأعمالهم.

الجواب لا نسلم أن نفوس الأشقياء تتصل عند قلة شواغلهم البدنية بالمبادي العالية بل غاية ما يصل إليه نفوس الممرورين و النائمين و ما يجري مجراهم من الكهنة و المجانين بعض البرازخ المتوسطة بين هذا العالم و عالم القدس و لا نسلم أيضا أنه إذا جاز اتصال نفوس الأشقياء في هذه النشأة بذلك العالم لقلة الشواغل و تعطل الحواس

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۹

يجب أن يحصل لها ذلك أيضا في الآخرة لجواز أن تكون نفوسهم هناك أشد اشتغالا عنه- بما غشيهم من عظائم الأهوال و الشدائد و الدواهي التي لم يبق لهم التفات إلى شيء غيرها لأنهم المقيدون بالسلاسل و الأغلال المحجوبون عن مشاهدة عالم الأنوار كما أشير إلى أحوالهم في الكتاب الإلهي **وَ جَعَلْنٰا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا- فَأَغْشَيْنٰاهُمْ فَهُمْ لاٰ يُبْصِرُونَ كَلاّٰ بَلْ رٰانَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ مٰا كٰانُوا يَكْسِبُونَ كَلاّٰ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ** و قد حيل بينهم و بين ما يشتهون.

و منها أنهم تشبثوا بكلام الأوائل من الحكماء

كأفلاطون و من قبله من الأساطين- و بإشارات الأنبياء المعصومين من الخطاء و الكذب و بآيات الصحيفة الإلهية كقول القائل الحق **كُلَّمٰا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنٰاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهٰا لِيَذُوقُوا الْعَذٰابَ** و قوله تعالى **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسٰانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنٰاهُ أَسْفَلَ سٰافِلِينَ** و قوله تعالى- **رَبَّنٰا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنٰا بِذُنُوبِنٰا فَهَلْ إِلىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ** و قوله تعالى **رَبَّنٰا أَخْرِجْنٰا مِنْهٰا فَإِنْ عُدْنٰا فَإِنّٰا ظٰالِمُونَ** و قوله تعالى **قٰالَ اخْسَؤُا فِيهٰا وَ لاٰ تُكَلِّمُونِ**.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۰

و الجواب أن الذي ورد من الأقدمين في نقل النفوس الإنسانية إلى الأبدان الحيوانية وجهناه إلى غير ما وجهوه إليه و حملناه على غير ما حملوه من إثبات التناسخ- و كذا ما ورد في الرموز القرآنية و الكلمات النبوية لها محامل صحيحة غير ما فهمه أصحاب هذا المذهب فإن أكثر مواعيد النواميس الإلهية إنما يتحقق في دار أخرى غير هذه الدار و ليست الدار الآخرة منحصرة في عالم العقل المجرد عن المقادير و الأشكال و الصور بل عالم الآخرة عالمان عالم عقل نوري و عالم حسي منقسم إلى دار النعيم و دار الجحيم أحدهما نوراني و الآخر ظلماني فالأول للمقربين و الثاني للسعداء الصالحين و أصحاب اليمين و الثالث للأشقياء المردودين إلى أسفل السافلين و أصحاب الشمال و المغالطة في حمل

كلام الأنبياء و الحكماء على التناسخ أنما نشأت من الخلط بين معنى الحشر و النسخ و من الغفلة و الجهل بتحقق عالم آخر متوسط بين عالم الطبيعة و عالم العقل فيه يحشر الناس على هيئاتهم المناسبة لأخلاقهم على التفصيل المقرر بينهم المشهور منهم حيث قرروا أن لكل خلق من الأخلاق المذمومة و الهيئات الردية المتمكنة في النفس أبدان نوع يختص بذلك الخلق كخلق التكبر و التهور المناسب- لأبدان الأسود و الخبث و الروغان لأبدان الثعالب و أمثالها و المحاكاة و السخرية لأبدان القرود و أشباهها و العجب للطواويس و الحرص للخنازير إلى غير ذلك و كما أن لكل خلق رديء أنواع مخصوصة من الحيوانات مناسبة لأنواع ذلك الخلق فكذلك بإزاء كل مرتبة قوية أو ضعيفة منه بدن نوع خاص من تلك الحيوانات التي اشتركت في ذلك الخلق كعظيم الجثة لشديد الشهوة و صغير الجثة لضعيفها و ربما كان لشخص واحد من الإنسان أنواع كثيرة من الأخلاق الردية على مراتب متفاوتة فبحسب شدة كل خلق مذموم في نفسه و ضعف ذلك و ما ينظم إليه من باقي الأخلاق المذمومة القوية و الضعيفة و اختلاف تراكيبها الكبيرة التي لا يقدر على حصرها أحد إلا الله تعالى- يختلف تعلق نفسه المذمومة القوية و الضعيفة ببعض الأنواع من أشباح الحيوانات المذمومة دون غيرها و كذا يختلف تعلق بعضها ببعض أفراد نوع واحد دون الباقي ثم إذا زال ذلك الخلق رأسا أو زالت مرتبة شديدة منه انتقلت نفسه بحسب خلق آخر يليه

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۱

في الرداءة نوعا أو مرتبة إلى بدن نوع آخر من الحيوانات المناسبة له إلى أن يزول عن نفسه الهيئات الردية كلها إن كانت قابلة للزوال و إن لم تكن بقي فيها و الأبدان المناسبة منتقلة من بعضها إلى بعض أحقابا كثيرة إلى ما شاء الله و هذه كلها إنما يستصح و يستقيم عندنا في غير النشأة الدنياوية بل في عالم الآخرة فقوله تعالى **كُلَّمٰا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنٰاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهٰا لِيَذُوقُوا الْعَذٰابَ** إشارة إلى تبديل أبدانهم المثالية على الوجه المذكور لا كما زعمته التناسخية من انتقال النفوس في عالم الاستعدادات من مادة بدنية إلى أخرى لاستحالته كما بيناه و قررناه و ليس لقائل أن يقول ما قررتم في إبطال النقل بعينه جار في تعلق النفوس إلى الأبدان في النشأة الآخرة فإن البدن الأخروي إذا استعد لتعلق نفس به فلا بد أن يفيض عليه من الواهب نفس جديدة مدبرة إياه فإذا تعلقت هذه النفس المنتقلة عن الدنيا به لزم تعلق نفسين ببدن واحد و هذا ممتنع فما هو جوابك فهو بعينه جوابنا.

لأنا نقول الأبدان الأخروية ليست وجودها وجودا استعداديا و لا تكونها بسبب استعدادات المواد و حركاتها و تهيؤاتها و استكمالاتها المتدرجة الحاصلة لها عن أسباب غريبة- و لواحق مفارقة بل تلك الأبدان لوازم تلك النفوس كلزوم الظل لذي الظل حيث إنها فائضة بمجرد إبداع الحق الأول لها بحسب الجهات الفاعلية من غير مشاركة القوابل و جهاتها الاستعدادية فكل جوهر نفساني مفارق يلزم شبحا مثاليا ينشأ منه بحسب ملكاته و أخلاقه و هيئاته النفسانية بلا مدخلية الاستعدادات و حركات المواد كما في هذا العالم شيئا فشيئا و ليس وجود البدن الأخروي مقدما على وجود نفسه بل هما معا في الوجود من غير تخلل الجعل- بينهما كمعية اللازم و الملزوم و الظل و الشخص فكما أن الشخص و ظله لا يتقدم أحدهما على الآخر و لم يحصل لأحدهما استعداد من الآخر لوجوده بل على سبيل التبعية و اللزوم- فهكذا قياس الأبدان الأخروية مع نفوسها المتصلة بها.

فإن قلت النصوص القرآنية دالة على أن البدن الأخروي لكل إنسان هو بعينه هذا البدن الدنياوي له.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۲

قلنا نعم و لكن من حيث الصورة لا من حيث المادة و تمام كل شيء بصورته لا بمادته أ لا ترى أن البدن الشخصي للإنسان في هذا العالم باق من أول عمره إلى آخره بشخصه لكن لا من حيث مادته لأنها أبدا في التحول و الانتقال و التبدل و الزوال- بل من حيث صورته النفسانية التي بها تحفظ هويته و وجوده و تشخصه و كذا الكلام في كل عضو من أعضائه مع تبدل المقادير و الأشكال و الهيئات العارضة و الكيفيات اللاحقة فالعبرة في حشر بدن الإنسان بقاؤه بعينه من حيث صورته و ذاته مع مادة مبهمة- لا من حيث مادته المعينة لتبدلها في كل حين فكما أن جهة الوحدة و التشخص في بدن شخص واحد من حد الصبا إلى حد الشيخوخة مع تبدل كثير من الصفات بل كثير من الأعضاء و الآلات هي النفس و مرتبة مبهمة من المادة غاية الإبهام و لهذا لا يقال- لمن جنى في الشباب و عوقب في المشيب إنه غير الجاني فكذلك جهة الوحدة في البدن الدنياوي و البدن الأخروي هي النفس و ضرب من المادة المبهمة فلذلك تثاب النفس و تعاقب باللذات و الآلام لأجل ما صدر عنها من الأعمال و الأفعال البدنية بهذه الجوارح و الأعضاء مع تبديلها في الآخرة إلى نوع آخر.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۳

و الذي يؤيد ما ذكرناه من تبدل الأبدان ما ورد في صفة أهل الجنة أنهم جرد مرد أبناء ثلاثين سنة و أن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم كأشد كوكب دري في السماء إضاءة و في صفة أهل النار أن ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد و فخذه مثل البيضاء و مقعده من النار مسيرة ثلاث مثل البريدة الربذة و في رواية أن غلظ جلد الكافر اثنان و أربعون ذراعا و أن مجلسه في جهنم ما بين مكة و المدينة و في رواية أخرى أن الكافر يسحب لسانه الفرسخ و الفرسخين- يتوطاه الناس إلى غير ذلك من أوصاف الفريقين في الآخرة.

و منها أن العالم الذي فيه الآفات

و العاهات و العقوبات و الشرور و الآلام هو هذا العالم العنصري لما فيه من التضاد و التفاسد و التزاحم و الأمور الاتفاقية و القسرية- دون غيره من العوالم لأنه أكثفها و أكدرها و أظلمها فينبغي أن يكون هذا العالم جهنم الأشقياء و الكفار و الأشرار و جحيمهم هي نار الطبيعة التي قيل لها هل امتلأت فتقول هل من مزيد و دركاتها هي أبدان الحيوانات التي كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها لتراكم جهالاتهم و رداءة أخلاقهم بخلاف السعداء الذين قال الله فيهم- **لاٰ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الْأُولىٰ وَ وَقٰاهُمْ عَذٰابَ الْجَحِيمِ** و ذلك لاستحالة انتقال نفوسهم إلى الحيوانات المعذبة التي هي أبواب الجحيم و **لِكُلِّ بٰابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ** و ذلك لغلبة الأخلاق المرضية و الهيئات المحمودة لها و إذا لم تنتقل نفوسهم إلى الأبدان العنصرية الكائنة الفاسدة فلا يذوقون **إِلاَّ الْمَوْتَةَ الْأُولىٰ** التي هي مفارقتهم عن الأبدان الإنسانية.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۴

و الجواب أن اختصاص التعذيب التام و العقاب الشديد في نشأة لا يستلزم كونها أحسن النشئات فإن النشأة التي يقع

فيها العذاب الأليم للأشقياء و الثواب العظيم للسعداء نشأة إدراكية هي أصفى و ألطف من هذه النشأة الكثيفة و هي الدار الآخرة التي هي دار الحيوان و ذلك لأن الملذ و المؤذي في الحقيقة ليسا من الأمور الخارجة عن الصور الإدراكية الحاضرة عند النفس الواصلة إليها فكل مؤلم أو ملذ لنا ليس من المحسوسات الخارجة و لا يمكن إدراكه بهذا الحس الظاهري الدنيوي- بل بالحواس الباطنة الأخروية و تلك الحواس هي التي بها يسمع و يبصر و يذوق و يشم و يلمس ما لا وجود له و نقول أيضا إن سكر الطبيعة و خدر النفس في هذه الدار لأجل اشتغالها

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۵

بأعمال البدن يمنعها أن تدرك آفات النفس و آلامها الحاصلة لها المكتسبة من نتائج أعمالها و لوازم أخلاقها و ملكاتها الردية إدراكا حقا غير مشوب بما تورده الحواس عليها- و تشتغل به و تلهو و تنسى فإذا ارتفع الحجاب عن الإنسان بالموت و انكشف الغطاء وقع بصره يومئذ إلى تبعات أفعاله و لحقات أعماله فيقع لها حينئذ إن كان سيئ الأخلاق قبيح الأعمال رديء الاعتقاد الألم الشديد و الداهية العظيمة كما في قوله تعالى **فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ** فجحيم الآخرة و إن كانت ألطف من نعيم هذه الدنيا إلا أن عذاب الأشقياء و آلامها على الوجه اللائق إنما يتحقق فيها لا في هذه الدار لأن لطافتها توجب ذلك لكون الإدراك الذي هو ملاك العذاب و مبنى التألم فيها أصدق و أصفى و قوله تعالى **وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ*** يشير إلى أن باعث الألم و العذاب موجود بالفعل هاهنا للكفار و هم لا يدركونه لسكر طبيعتهم و تخدر أذواقهم و عمى بصيرتهم من إدراكه و من تأمل في الأهوال العظيمة التي قد يراها الإنسان في نومه أو يتوهمها من غير سبب خارجي و لا جهة محسوسة مع أنه لم يقصر إيلامها عن إيلام الخارجيات بل ربما زاد عليها بما لا يقاس ليعلم يقينا أن عذاب الآخرة- **أَشَدُّ وَ أَبْقى‏** من عذاب الدنيا لأنه أشد استقرارا و أوصل إلى النفس و أغرز فيها من هذه الحسيات.

و منها أن التعذيب بالجهل المركب و غيره

من الأحوال التي وعدها الشارع- إن كان يلحق الجوهر الروحاني مجردا عن علائق الأجسام فكيف يحصل من مثله هذا التصور المحدود و ليست معه قوة التخيل و الجهل المركب لا بد فيه من تصورات

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۶

و تصديقات خلاف ما ينبغي منشؤها المتخيلة و معلوم أن الفائض من المبادي ما لم يكن سوء استعداد جرمي لا يكون إلا ما طابق الواقع من الاعتقاديات و غيرها فإن جهات الشر و الآفة و الكذب و الجهل الذي هو ضرب من الصورة العلمية و غيرها راجع إلى هيئات مادية- فموضع التعذب بالآلام و الشدائد الأخروية إن كان هو الجوهر المفارق لعلاقة الأجرام- فلا تعذيب بالجهل المركب و غيره لعدم التخيل غاية ما في الباب أن يبقى فيه أخلاق و ملكات فإذا لم يبق فيه مدد إدراكي زالت بالكلية و لا شوق إلى ما لا تصور له بوجه- و لا تخصص و لا قوة شوقية فلا تألم بالشوق أيضا إلى مشتهياتها و لذاتها الدنياوية و قد ارتفعت المشوشات الحسية عنه فكان حاله حينئذ كحال من سكنت قواه فنال الغبطة العظمى من الرحمة الإلهية في عالم القدس و الرحمة و إن كان موضوع التخيل هو الدماغ الإنساني فهو يفسد حالة الموت و يفسد مع فساده التصور و الحفظ و الذكر و الفكر و إن كان جسما آخر فلكيا كما ظنه بعضهم فمعلوم أن علاقة

الجوهر الروحاني أنما هي لنسبة بين المادة البدنية و بين الجوهر الروحاني فأية نسبة حدثت بينهما بالموت حتى أوجب اختصاصه به و انجذابه من بين سائر الجواهر المفارقة لأبدانها إليه دون غيره من الأجرام بل إلى حيزه دون بقية الأحياز من نوع ذلك الحيز.

ثم إن الجسم الذي هو موضوع تخيلات النفس يجب أن تتصرف فيه النفس- و تحركه بحركات جرمية تابعة للحركات النفسانية و الانتقالات الفكرية كما يعرض لجوهر الدماغ من الانفعالات و التغيرات و إلا فلو لم ينفعل و لم يتغير الجسم الذي

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۷

تصرفت فيه النفس بانفعالاتها و تغيراتها لم تكن لها تصرف فيه بوجه من الوجوه فلا اختصاص له بها دون سائر الأجسام و ظاهر أن الجسم الفلكي يأبى عن تصرف متصرف فيه غير نفسه المحركة إياه حركة متشابهة متصلة على نعت الاستمرار على نهج واحد- و إن كان موضوع ذلك التخيل جرما مركبا دخانيا تحت كرة الأثير و تحت فلك القمر المائل كما زعمه قوم آخر فهو أيضا غير صحيح لعدم اعتدال فيه يصلح لقبول النفس المدبرة له فإنه إن قرب من النار أو من الفلك في حر النار فيحيله النار بسرعة إلى جوهرها أو تحيله سرعة حركة الفلك إلى جوهر النار و إن بعد منها و يكون في حيز الهواء فإما أن يتخلخل به فيصعد بحر أو يتكاثف فينزل ببرد و ليس فيه جرم محيط- يغلب عليه من اليبس و الصلابة ما يحفظه من التبرد و يحرسه عن ممازجة غيره به كما للجوهر الدماغي فينا ليتعين فيه محل التخيل متشكلا به و لا بد فيه من جوهر يابس لتنحفظ فيه الصور و جوهر رطب لتقبل.

ثم لما كانت النفوس المفارقة عن الأبدان الإنسانية غير متناهية لزم مما ذكروا- من اجتماع المفارقات كلها على جسم من أجسام العالم فيلزم إما نهاية تلك الجواهر أو عدم نهاية ذلك و كلاهما محال.

و الجواب أن التجرد الواقع في كلام المشكك إن أراد به التجرد عن الأجسام الحسية

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۸

و الأشباح البرزخية جميعا فليس الحال كذلك في النفوس الناقصين و المتوسطين لأنها و إن تجردت عن الحسية لم تتجرد عن المثالية و إن أراد به التجرد عن الحسية دون المثالية فهو صحيح و لا فساد فيه كما سيجيء بيانه في باب المعاد و أما قوله فكيف يحصل عن مثله هذا التصور المحدود و ليست معه قوة التخيل فهو ممنوع لأن الجوهر المفارق عن القوى الطبيعية دون المثالية و عن الحواس الظاهرة دون الباطنة له إدراكات جزئية تخيلية و له قوة متخيلة منبعثة عن ذاته لما أشرنا سابقا أن للنفس في ذاتها سمعا و بصرا- و قوة باطنية و تحريكية لكن قوة تحريكها و قوة إدراكها ترجع إلى أمر واحد و كذا ترجع بعض إدراكاتها إلى بعض في الوجود الجمعي فترجع قدرتها إلى إدراكها- و يرجع تخيلها إلى بصرها الباطني بل هذه القوى الظاهرة كلها ظلال لما في جوهر النفس من الجهات و الحيثيات الموجودة في ذاتها بوجود واحد جمعي و قد تفرقت و تكثرت و امتدت ظلالها في مادة البدن و تشكلت بأشكال الأعضاء و الأدوات فلها في ذاتها عين باصرة و أذن سامعة و ذوق و شم و لمس و قوة فعلية من شأنها تصوير الحقائق على الوجه الحضوري المشاهد لها على طبق ما يتصوره الآن في هذا العالم فإن المعرفة و التصور هاهنا بذر المشاهدة في العقبى و التفاوت

بين التصور هاهنا و المشاهدة هناك يرجع إلى

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج٩، ص ٣٩

القوة و الضعف فكل ما يتمنى المرء يدركه فإن كان تأملات الرجل و تصوراته في هذا العالم من باب الخيرات و الحسنات و النيات الصالحة صارت مادة لجنات و رضوان و روح و ريحان و ملائكة يسر بمنادمتها في الدنيا و يرتاح برؤيتها و معاشرتها في أخراه- و إن كانت من الشرور و القبائح و النيات الفاسدة و الأماني الكاذبة و المؤذيات الباطنة صارت مادة لحيات و عقارب و نيران في قبره و مالك غضبان و شياطين يتضرر بمنادمتها في أولاه- و يتأذى برؤيتها و مصاحبتها في أخراه و أما قوله لما كانت النفوس المفارقة عن الأبدان غير متناهية يلزم اجتماع المفارقات كلها إلخ.

فهو مدفوع أما أولا فلأن الكلام ليس في جميع المفارقات من النفوس بل إنما هو في نفوس الأشقياء و لا يلزم ما ذكره فإن النفوس بعضها مما لا يتعلق بالأجرام- و ما يتعلق منها بالأشباح المثالية و إن فرض كونها غير متناهية لم يلزم منه فساد لعدم التزاحم في الأشباح المثالية على محل واحد مادي فيجوز عدم تناهيها و على هذا لا يلزم نهاية تلك الجواهر و لا عدم نهاية الأجسام و أما باقي مقدماته فبعضها مما يحكم بصحتها و نعين عليها لموافقتها لما نحن فيه و بعضها مما لا يضرنا صحتها و لا فسادها

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج٩، ص ٤٠

فلا نتعرض لها نفيا و إثباتا و لا قدحا و تصويبا.

ثم إني لأتعجب من بعض الموصوفين بفقه المعارف الإلهية و الاستشراف للأنوار الملكوتية كصاحب التلويحات مع شدة توغله في الرياضيات الحكمية و فهم الأسرار و اعتنائه بوجود عالم آخر بين العالمين كيف صوب في التلويحات قول بعض العلماء من كون جرم سماوي موضوعا لتخيلات طوائف من السعداء و الأشقياء لأنهم

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج٩، ص ٤١

لم يتصور لهم العالم العقلي و لم ينقطع علاقتهم عن الأجرام و هم بعد في عقولهم بالقوة- التي لم تخرج نفوسهم منها إلى الفعل و احتاجت إلى علاقة البدن.

فقال إنه كلام حسن إلا أنه خالف ذلك القول في تعلق نفوس الأشقياء بتلك الأجرام الشريفة ذوات النفوس النورانية و قال و القوة تحوجهم إلى التخيل الجرمي- و ليس يمتنع أن يكون تحت فلك القمر و فوق كرة النار جرم كروي غير متخرق هو نوع بنفسه و يكون برزخا بين العالم الأثيري و العنصري موضوعا لتخيلاتهم فيتخيلون به من أعمالهم السيئة مثلا من نيران و عقارب تلذع و حيات تلسع و زقوم يشرب و غير ذلك.

و قال و بهذا يندفع ما بقي من شبه أهل التناسخ و لست أشك لما اشتغلت به من

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج٩، ص ٤٢

الرياضات أن الجهال و الفجرة لو تجردوا عن قوة جرمية مذكرة لأحوالهم مستتبعة لملكاتهم و جهالاتهم مخصصة

لتصوراتهم نجوا إلى الروح الأكبر انتهى و أنت قد دريت أن كون جسم من الأجسام فلكيا أو غير فلكي موضوعا لتخيل نفس لا تستتم إلا بأن يكون له معها علاقة علية و معلولية بالذات أو بتوسط ما له معها تلك العلاقة بالذات بأن تكون النفس صورة كمالية له بذاتها أو بحسب بعض قواها الذاتية أو العرضية و بالجملة لا بد أن يكون ذلك الجسم في تصرف النفس بوجه من الوجوه و أقل ذلك كما يكون لها بالنسبة إلى آلة وضعية كالمرائي أو الأشياء الصقيلة- التي قد تكون مظاهر بعض إدراكاتها بحسب علاقة وضعية لتلك الآلة إلى المادة البدنية- التي هي موضوعة لأفاعيل النفس و مادة لقواها و مطرح لأنوارها المنبعثة عن ذاتها النيرة إليه و ليس الجرم الفلكي أو ما يجري مجراه مما يؤثر فيه شيء مباين عن نفسه الفائضة عليه من مبدئه و قد أشرنا سابقا إلى أن الأجرام العلوية ليست متأثرة عن غير مبادئها العقلية لا منطبعة و لا قابلة لتأثيرات غريبة من العلل القسرية و الأسباب الاتفاقية و كذا ما يجري مجراها من كونه جرما علويا غير متخرق و لما لم يكن لتلك النفوس المفارقة أبدان عند هؤلاء الذاهبين إلى كون جرم سماوي موضوعا لتخيلاتهم- حتى يكون لأبدانهم علاقة وضعية إلى تلك الأجرام العالية لتصير تلك الأجرام كالمرآة لتلك النفوس يشاهد ما فيها من الصور بتوسط العلاقتين إحداهما طبيعية و الأخرى وضعية متوقفة على الطبيعة فمتى ارتفعت العلاقة الطبيعية للنفس بالنسبة إلى بدنها بالموت مثلا ارتفعت العلاقة الوضعية لها بالنسبة إلى جرم من الأجرام إذ الثانية متفرعة على الأولى فإذا بطل الأصل بطل الفرع فظهر بطلان ما ذهبوا إليه و أيضا على أن يكون الجرم الفلكي كالمرآة موضوعا لتخيلاتهم كان المتخيل لهم في الصور هي الموجودة فيه المتمثلة عند نفسه و ليست الصور المتمثلة في الأفلاك إلا ما هي من تخيلات الأفلاك لا ما هي من تخيلات تلك النفوس و محال أن يكون جرم علوي- نسبته إلى نفسه نسبة جوهر الدماغ إلينا ثم يتصور بنقوش و صور خيالية غير التي أنشأتها نفسه الشريفة العلوية و إذا كان الأمر كما ذكرناه فيمتنع أن يكون في الأجرام

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۴۳

العالية هيئات مؤلمة شريرة و أوهام مظلمة موحشة معذبة حتى يتعذب بها الأشقياء- و ما يتعذب به تلك النفوس على ما اعترفوا ليس إلا هيئاتها الردية و تخيلاتها الكاذبة و عقائدهم الباطلة و آرائهم الخبيثة دون الصور المطابقة لما في الواقع لأن الكائن في القابل الذي في غاية الخلوص و الصفاء كالأجرام العالية من الفاعل الذي في غاية الشرف و التقدس كالمبادي العقلية لا يكون إلا صورا حقة و مثلا عينية مطابقة للأمور الواقعة في نفس الأمر فلا يستتم ما قالوه و لا يستقيم ما تصوروه من كون تلك الصور مما يتعذب به الأشقياء كما أن هذا الرأي في الجرم الفلكي غير صحيح فكذلك في الجرم الإبداعي- المنحصر نوعه في شخصه غير صحيح لأن هذا الجرم أيضا طبيعة خامسة فلكية على ما صوره و إن كان حيزه تحت كرة القمر للزوم كونه عديم الحركة الغير المستديرة دائما- و سائر ما يلزمه من صفات الأفلاك و لعل عدد نفوس الأشقياء غير متناه فكيف يكون جرم موضوعا لتخيلاتهم أي لتصرفات نفوسهم فيه و في صورها الإدراكية الغير المتناهية- المنقوشة فيه كما هو رأي هؤلاء القوم و لا أقل من أن يكون ذا قوة غير متناهية إذ لا بد أن يكون بإزاء كل ارتسام بصورة في جسم قوة استعدادية أو انفكاك في ذلك الجسم- و هو معلوم الفساد بل الحق ما حققناه من أن الصور الملذة للسعداء أو المؤلمة للأشقياء في النشأة الثانية كما وعدها صاحب الشريعة الإلهية و أوعد عليها هي واقعة في نشأة أخرى و في صقع آخر غير حالة في جرم من الأجرام و لا قائمة في قوة جرمية بل قائمة بذواتها إنما مظاهرها نفوس هاتين الطائفتين بضرب من الفعل و التأثير كما أن الصور و الأشباح التي في المرآة ليست

قائمة بها بل مظهرها تلك المرآة بضرب من القبول- و لا منافاة بين صدور الفعل عن قوة بجهة و انفعالها إلذاذا و إيلاما بجهة أخرى كما أن الصحة و المرض البدنيين ينشئان من نفسه في بدنه في هذه الدار ثم تنفعل

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۴۴

النفس عنهما و يكون من أحدهما في لذة و راحة و من الآخر في ألم و مشقة و ذلك لكون النفس ذات جهتين جهة عقلية فعلية و جهة طبيعية انفعالية فهكذا يكون حالها بحسب فعل الطاعات و المعاصي المؤدية للصور الحسنة و القبيحة في الدار الآخرة عند تجسم الأعمال فيتنعم بإحداهما و يتعذب بالأخرى و تانك الجهتان المصححتان لكون النفس فاعلة لشيء و منفعلة عنه هما موجودتان في النفس قبل أن تصير عقلا محضا- و حينئذ يكون فعالا و دراكا بجهة واحدة كما أشير عليه سابقا من أن فيه و عنه في العقل البسيط و هو العقل الفعال شيء واحد فقد ثبت أن جميع ما يلحق النفس في الآخرة هو ما ينشأ منها و النفوس الغير الكاملة علما و عملا أو علما فقط أي نفوس السعداء المتوسطين أو الناقصين في العلم و العمل أو الناقصين في العلم أو الأشقياء الناقصين فيهما و إن تجردوا عن المواد و الأجرام الدنياوية الطبيعية لكنها متعلقة بعد بالأشباح الأخروية التي هي في باب الإلذاذ و الإيلام أشد و أدوم من هذه الأجرام المستحيلة كما في قوله تعالى **وَ لَعَذٰابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَ أَبْقىٰ** بل هذه النار و إيلامها- من جملة آثار النار الآخرة و عذابها أو عينها لكنها تنزلت و تكدرت و ضعفت قوتها و تأثيرها

كما روي عنه ص: أن ناركم هذه من نار جهنم غسلت بسبعين ماء ثم نزلت

و قس النور على النار حتى تعلم أن نعيم الدنيا بالنسبة إلى نعيم الآخرة شيء حقير.

تأييد و تذكرة

و مما يؤيد ما ذكرناه من بطلان تعلق النفوس بعد الموت بجرم فلكي أو عنصري و ينور ما قررناه من أن الصور الأخروية

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۴۵

التي بها نعيم السعداء و جحيم الأشقياء ليست هي التي انطبعت في جرم فلكي أو غير فلكي بل هي صور معلقة موجودة للنفس من النفس في صقع آخر مرتبة بأعمال و أفعال- حدث عنها في دار الدنيا و أثمرت في ذاتها أخلاقا و ملكات مستتبعة لتلك الصور المعلقة- هو ما قاله قدوة المكاشفين محي الدين العربي عليك أن تعلم أن البرزخ الذي تكون الأرواح فيه بعد المفارقة من النشأة الدنياوية هو غير البرزخ الذي بين الأرواح المجردة و الأجسام لأن تنزلات الوجود و معارجه دورية و المرتبة التي قبل النشأة الدنياوية- هي من مراتب التنزلات و لها الأولية التي بعدها من مراتب المعارج و لها الآخرية.

و أيضا التي تلحق الأرواح في البرزخ الأخير إنما هي صور الأعمال.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۴۶

و نتيجة الأفعال السابقة في الدنيا بخلاف صور البرزخ الأول فلا يكون أحدهما عين الآخر لكنهما يشتركان في كونهما

عالما روحانيا و جوهرا نورانيا غير مادي انتهى.
و يؤيدها أيضا ما قد صرح به في الفتوحات أيضا في الباب الحادي و العشرين و ثلاثمائة من أن هذا البرزخ غير الأول و يسمى الأول بالغيب الإمكاني و الثاني بالغيب المحالي لإمكان ظهور ما في الأول في الشهادة و امتناع رجوع ما في الثاني إليها إلا في الآخرة و قليل من يكاشفه بخلاف الأول و لذلك يشاهد كثير منها و يكاشف بالبرزخ الأول فيعلم ما يريد أن يقع في العالم الدنياوي من الحوادث و لا يقدر على مكاشفة أحوال الموتى و كذا قوله في الباب الثالث و الستين منها بعد تبيين ما يراه الإنسان في المرآة و إلى مثل هذه الحقيقة يصل الإنسان في نومه و بعد موته- فيرى الإعراض صورا قائمة بأنفسها تخاطبه و يخاطبها أجسادا حاملة أرواحا لا يشك فيها- و المكاشف يرى في يقظته ما يراه النائم في حال نومه و الميت بعد موته كما يرى في الآخرة صور الأعمال مع كونها أعراضا و يرى الموت كبشا أملح مع أن الموت نسبة مفارقة عن

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج‏۹، ص ۴۷

اجتماع و من الناس من يدرك هذا المتخيل بعين الحس و منهم من يدركه بعين الخيال أعني في حال اليقظة و أما في النوم فبعين الخيال قطعا و قوله أيضا فجميع ما يدركه الإنسان بعد الموت في البرزخ من الأمور بعين الصور التي هي بها في الدنيا و قوله أيضا في آخر هذا الباب و كل إنسان في البرزخ مرهون بكسبه محبوس في صور أعماله- إلى أن يبعث يوم القيامة في النشأة الآخرة

فصل (٤) في تتمة الاستبصار لهذا الباب من جهة كيفية نسبة النفس إلى البدن و الإشارات إلى الموت الطبيعي و أجله و الفرق بينه و بين الأجل الاخترامي

اعلم أن النفس حاملة للبدن لا البدن حامل لها

كما ظنه أكثر الخلق حيث قرع أسماعهم من أنها زبدة العناصر و صفوة الطبائع و ظنوا أيضا أن النفس تحصل من الجسم و أنها تقوى بقوة الغذاء و تضعف بضعفه و ليس كما توهموه إنما النفس تحصل الجسم و تكونه- و هي الذاهبة به إلى الجهات المختلفة و هي معه و مع قواه و أعضاه تدبره حيث ما أرادت و تذهب به حيث ما شاءت من هبوط إلى أسفل أو صعود إلى فوق بحيث يمكنه مع كثافة البدن و ثقله فمتى أرادت صعوده تصير صاعدا و يتبدل ثقله خفة و إذا أرادت

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج‏۹، ص ۴۸

هبوطه يهبط و يتبدل خفته ثقلا و أما الطلوع إلى عالم السماء و جنة الأرواح و السعداء و المنزل الأعلى فلا يمكنها أن ترقي إلى هناك بهذه الجثة الكثيفة بل ببدن نوري من جنس تلك الدار إذا تخلصت من هذه البنية المظلمة كما أن الطلوع إلى جنة المقربين و صقع الكاملين من الصور المفارقة العقلية و مثل الأفلاطونية النورية لا يتيسر

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج‏۹، ص ۴۹

لها إلا إذا انفصلت عن علوق الأبعاد و الأجرام و انقطعت عن الأمثال و الأشباح- و تجردت عن الكونين و رفضت العالمين و الغرض من هذا الكلام أن النفس لترقيها- إلى هذه المعارج أجل من أن تتبع البدن في وجودها بل البدن من

توابع وجودها في بعض المراتب السفلية و بهذا الأصل ينفسخ مذهب التناسخ و مذهب من يرى أن

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۵۰

منشأ انقطاع النفس عن هذا البدن بالموت الطبيعي هو انتهاء قوة البدن و نفاد حرارته الغريزية و كلال آلاته و تعطل نظامه و تزلزل أركانه كما ظنه الجمهور من الأطباء و الطبيعيين أن انقطاعها من البدن لاختلال البنية و فساد المزاج بل الحق أن النفس

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۵۱

تنفصل عن البدن بسبب استقلالها في الوجود على التدريج و تنقطع شيئا فشيئا من هذه النشأة الطبيعية إلى نشأة ثانية لما مر من إثبات الحركة الذاتية للوجود في الجواهر المتعلقة بالمواد الهيولانية فالنفس تتحول في ذاتها من طور إلى طور و تشتد في تجوهرها من ضعف

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۵۲

إلى قوة و كلما قويت النفس و قلت إفاضة القوة منها على البدن لانصرافها عنه إلى جانب آخر ضعف البدن و قواه و نقص و ذبل ذبولا طبيعيا حتى إذا بلغت غايتها في الجوهر و مبلغها من الاستقلال ينقطع تعلقها عن البدن بالكلية و تدبيرها إياه و إفاضتها عليه فعرض موت البدن و هذا هو الأجل الطبيعي دون الأجل الاخترامي الذي بسبب القواطع الاتفاقية فمنشأ ذبول البدن بعد سن الوقوف إلى أن يهرم ثم يعرض الموت هو تحولات النفس بحسب مراتبها و قربها إلى النشأة الثانية التي هي نشأة توحدها و انفرادها عن هذا البدن الطبيعي و انفصالها عن هذه الدار و استقلالها في الوجود و هذه الحالات البدنية المشاهدة من الإنسان من الطفولية و الشباب و الشيب و الهرم و الموت كلها تابعة لما بحذائها من حالات النفس في القوة و الفعل و الشدة و الضعف على التعاكس- فكلما حصلت للنفس قوة و تحصل حصل للبدن وهن و عجز إلى أن تقوم النفس بذاتها و يهلك البدن فارتحالها يوجب خراب البيت لا أن خراب البيت يوجب ارتحالها فما قيل في الفرس نظما-

جان قصد رحيل كرد گفتم كه مرو　　　گفتا چه كنم خانه فرو مى‌آيد

أنما يصدق في الموت الاخترامي لا الطبيعي و بالجملة أكثر القوم لما لم يتفطنوا في النفس بهذه الحركة الرجوعية و هي السفر إلى الله الذي أثبتناه في أكثر

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۵۳

الموجودات ذكروا وجوها غير سديدة في حكمة الموت و في ما بيناه يظهر المناسبة في إطلاق لفظ الطبيعي على هذا الموت دون ما ذكروه و قد سبق أيضا أن الذي بيناه- لا ينافي الشقاوة الثابتة لطائفة من النفوس و تعذبهم في الآخرة بالجحيم و النيران و غضب الرحمن و سائر ما سيجري عليهم جزاء لأعمالهم و تبعات لأفعالهم و نتائج لأخلاقهم- و ملكاتهم السيئة و اعتقاداتهم الردية الفاسدة كما سينكشف لك زيادة الانكشاف- و إذا تحقق ما ذكرناه في الموت

الطبيعي و أن منشأه توجه جبلي إلى جانب الآخرة- و القرب من الله تعالى ظهر و تبين بطلان التناسخ مطلقا بجميع أقسامه و استحالة تعلق النفس بعد موت بدنها العنصري سواء كان بالأجل الطبيعي أو بغيره ببدن طبيعي آخر و انتقالها من بدن إلى آخر إذ لو انتقلت من بدن و تعلقت بآخر لكان تعلقها به عند أول تكونه حين كونه نطفة حيوان أو جنين في رحم كما اعترفوا به فيلزم على ما أصلناه من البيان الخلف من عدم التطابق التعاكسي بين مراتب استكمالات النفس و البدن- على الوجه المذكور

تذكرة فيها تبصرة:

اعلم أيها السالك إلى الله الراغب إلى دار كرامته بقوة الحدس أنك قاصد إلى ربك صاعد إليه منذ يوم خلقت نطفة في قرار مكين و ربطت بها نفسك تنقل من أدون حال إلى حال أكمل و من مرتبة هي أنقص إلى مرتبة هي أعلى و أحكم و إلى درجة هي أرفع و أشرف إلى أن تلقى ربك و تشاهده- و يوفيك حسابك و يوزن حسناتك أو سيئاتك فتبقى عنده إما فرحانة مسرورة مخلدة أبدا سرمدا مع النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقا و إما محزونة متألمة خاسرة معذبة بنار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة مع الكفرة و الشياطين- و الفجرة و المنافقين فبئس القرين و نحن قد بينا من قبل أن جميع الموجودات التي في هذا العالم في السلوك إلى الله تعالى و هم لا يشعرون لغلظة حجابهم و تراكم ظلماتهم- لكن هذه الحركة الذاتية و هذا السير إلى الله تعالى في الإنسان أبين و أظهر سيما في الإنسان الكامل الذي يقطع تمام هذه القوس الصعودية التي كنصف دائرة من الخلق إلى الحق كما يعرفه أهل الكشف و الشهود من العلماء الذين لم تعم أبصارهم الباطنية

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج‏۹، ص ۵۴

عن إدراك حقائق الأشياء كما هي عليها بغشاوة التقليد و الامتراء و حجب الهوى و الدنيا- و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

تمثيل:

مثال البنية الإنسانية في هذا العالم مثال السفينة المحكمة الآلة في البحر بما فيها من القوى النفسانية و الجنود العمالة فيها المسخرة بإذن الله المرتبة في أمر هذه السفينة المصلحة بحالها فإن سفينة البدن لا يتيسر السير بها إلى الجهات إلا بهبوب رياح الإرادات فإذا سكنت الريح وقفت السفينة عن السير و الجريان و بسم الله مجراها و مرساها فكما أنه إذا سكنت الريح التي نسبتها إلى السفينة نسبة النفس إلى البدن وقفت السفينة قبل أن يتعطل شيء من أركانها- و يختل واحدة من آلاتها كذلك جسد الإنسان و آلاته إذا فارقتها النفس لا يتهيأ له الحس و الحياة التي في مثالنا بمنزلة حركة السفينة و إن لم يعدم بعد شيء من مواد البدن و آلاته و أعضائه إلا ذهاب نفخ الروح الذي بمنزلة ريح السفينة و البرهان حقق أن الريح ليس من جوهر السفينة بل حركتها تابعة لحركته و لا السفينة حاملة للريح بل الريح حاملها و محركها بإذن الله و مجراها باسم الله و لا تقدر السفينة و من عليها من

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج‏۹، ص ۵۵

الجنود و القوى المختلفة الراكبة عليها على استرجاع الريح بعد ذهابها بحيلة تعملونها أو صنعة يصنعونها كذلك الروح و

نفخة ليس من جوهر الجسد و لا الجسد حامل الروح و لا يقدر أحد من القوى و الكيفيات المزاجية على استرجاع النفس إذا فارقت الجسد فهذا مثال أن حياة البدن و حركته تابعتان للنفس لا النفس تابعة لهما و لهذا بطل مذهب التناسخ الذي عبارة عن استرجاع النفس و نقلها إلى البدن بعد ذهابها عنه تارة أخرى من جهة صلوح مزاجه و استعداد مادته لأن المزاج تابع للنفس كما سبق- من أنها الحافظة للمزاج الجامعة لأجزاء البدن الجابرة لعناصره على الالتيام لا النفس تابعة له و لعناصره.

و أما الفرق بين الأجل الطبيعي و الاخترامي في مثال السفينة هو أنك إذا علمت- أن هلاك السفينة بما هي سفينة من جهتين إما بفساد من جهة جرمها أو انحلال تركيبها- فيدخلها الماء و يغرق و يهلك من فيها إن غفلوا عنها و لم يتداركوا بإصلاح حالها- كهلاك الجسد و قواه من جهة غلبة إحدى الطبائع من تهاون صاحبه به و غفلته عنه- فلا تبقى النفس معه إذا فسد مزاجه و تعطل نظامه و تعوجت نسبته و انحرفت عن الاعتدال و ضعفت آلته كما لا يبقى الريح للسفينة بسب اختلال آلتها و الريح موجودة في هبوبها غير معدومة في الموضع الذي كانت قبل هلاك السفينة فتلك النفس باقية في معدنها كبقاء الريح في أفقها و عالمها بعد تلف الجسم و أما الجهة الثانية و هي بأن يكون هلاك السفينة بقوة الريح العاصفة الهابة الواردة منها على السفينة ما ليس في وسعها و وسع آلاتها حمله فتضعف الآلة و تكسر الأداة لضيق طاعتها عن حمل ما يرد عليها- كذلك النفس إذا قويت جوهرها و اشتدت حرارتها الغريزية المنبعثة عنها إلى البدن ضعف البدن عن حملها و انحل تركيبه و جفت آلاته و فنيت رطوباته لاستيلاء الحرارة- فإن التحقيق عندنا أن الحرارة الغريزية في المشايخ أكثر و أشد من حرارة الشبان- و إنما لم يظهر أثرها فيهم لقلة الحامل و ذبول المادة عكس ما هو المشهور من أن حرارتهم- أقل من حرارة الشبان و كذا منشأ عروض الموت الطبيعي غلبة الحرارة بالذات الموجبة لإفناء الرطوبة المؤدي إلى فناء الحرارة عن البدن بالعرض فيقع الموت ضرورة فعروض

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۵۶

الموت الطبيعي من باب الضرورات اللازمة لبعض الغايات الذاتية كما علمت في مباحث أقسام العلل و الغاية الذاتية هاهنا هي قوة النفس و كمالها و اشتداد جوهر الروح و قوة نفخ الصور التي نظيرها في مثال السفينة شدة الريح العاصفة عليها ثم لا يخفى عليك أن أحوال سكان هذه السفينة عند هذه العاصفة الشديدة لا تخلو عن أمرين فإن كان من فيها عارفين بموجب التقدير الرباني اطمأنت نفوسهم و سلموا إلى ربهم قبل أن ينكشف الغطاء و ارتحلوا من الدنيا و وعظ بعضهم بعضا بالصبر و قلة الجزع و شوق الارتحال إلى دار المعاد فإذا تم لهم العلم بهذه السياسة القدرية و الحكمة القضائية و العمل بموجب العقل و الإيمان فقد استراحوا من الغم و الحزن و وصلوا إلى النعيم الدائم و إن كانوا غير عارفين بموجب التقدير الإلهي و أن كل ما يفعله الحكيم خير و صواب- و لا مستمعين لحديث الانقياد و التسليم فجزاؤهم الجحيم و الحرمان عن النعيم و البعد عن رضوان الله العليم الحكيم

فصل (۵) في أن لكل شخص إنساني ذاتا واحدة هي نفسه و هي بعينها الحي المدرك السميع البصير العاقل و هي أيضا الغاذي و المنمي و المولد بل الجسم الطبيعي المتحرك النامي الحساس بوجه

اعلم أنا قد بينا هذا المعنى بوجه من البرهان فيما سبق إلا أنا نريد أن نوضح ذلك- زيادة إيضاح لما فيه من عظيم الجدوى في باب معرفة التوحيد الأفعالي للحق الأول- فنقول إن كل أحد منا يعلم بالوجدان قبل المراجعة إلى البرهان

أن ذاته و حقيقته أمر واحد لا أمور كثيرة و مع ذلك يعلم أنه العاقل المدرك الحساس المشتهي و الغضبان و المتحيز و المتحرك و الساكن الموصوف بمجموع صفات و أسماء بعضها من باب العقل و أحواله و بعضها من باب الحس و التخيل و أحوالهما و بعضها من باب الجسم و عوارضه و انفعالاته و هذا و إن كان أمرا وجدانيا لكن أكثر الناس لا يمكنهم معرفته- من باب الصناعة العلمية بل أنكروا هذا التوحيد إذا جاءوا إلى البحث و التفتيش إلا من

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۵۷

أيده الله بنور منه و من عجز عن توحيد نفسه كيف يقدر على توحيد ربه و الذي وصل إلينا من القدماء في هذه المسألة أنهم لما فرقوا أصناف الأفعال على أصناف القوى و نسبوا كل واحد منها إلى قوة أخرى احتاجوا إلى بيان أن في جملتها شيء كالأصل و المبدأ- و أن سائر القوى كالتوابع و الفروع.

و لنذكر المذاهب المنقولة في هذا الباب

و دليل كل فريق فذهب بعضهم إلى أن النفس واحدة و هم على قسمين.

فمنهم من قال إن النفس تفعل الأفاعيل بذاتها لكن بواسطة آلات مختلفة- يصدر عن كل قوة خاصة فعل خاص منها و هو مذهب الشيخ الرئيس و من في طبقته.

و منهم من قال إن النفس ليست بواحدة و لكن في البدن نفوس عدة بعضها حساسة و بعضها مفكرة و بعضها شهوانية و بعضها غضبية.

أما المنكرون لوحدة النفس

فقد احتجوا بما سبق ذكره من أنا نجد النبات و لها النفس الغذائية و الحيوانات و لها النفس الغذائية و الحساسة دون المفكرة و العقلية- فلما رأينا النفس النباتية موجودة مع عدم النفس الحساسة و الحساسة موجودة مع عدم النفس الناطقة علمنا أنها متغايرة إذ لو كانت واحدة لامتنع حصول واحد منها إلا عند حصول كلها بالاسم و لما ثبت تغايرها و استغناء بعضها عن بعض ثم رأيناها مجتمعة في الإنسان علمنا أنها نفوس متغايرة متعلقة ببدن واحد.

و هذا الاحتجاج ردي فإن كثيرا من الأنواع البسيطة كالسواد قد يوجد

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۵۸

بعض مقوماتها الموجودة بوجود واحد فيه كاللون موجودا في موضع مع عدم المقوم الآخر كقابض البصر و لا يلزم من ذلك أن وجود اللون غير وجود قابض البصر في حقيقة السواد.

و أيضا ليست القوة الغذائية الموجودة في النبات مثلا هي القوة الغذائية الموجودة في الحيوان متحدة بالنوع و كذا ليست الحساسة الموجودة في الحيوان الغير الناطق مع الحساسة الموجودة في الإنسان متحدة في الحقيقة النوعية بل إنهما متحدان في المعنى الجنسي أعني إذا أخذ معناهما مطلقا بلا شرط الخلط و التجريد مع غيره فالحساس مثلا معنى واحد جنسي و إن كان هو فصلا للحيوان المأخوذ جنسا فإذا أخذ هذا المعنى أي الحساس بحيث يكون تام التحصل الوجودي فهو مما قد تم وجوده من غير استعداد و استدعاء لأن يكون له تمام آخر و هذا كما في سائر الحيوانات و إذا أخذ على أنه غير مستقل الوجود بل لا يتحصل وجوده و حقيقته إلا بأن يكون له تمام آخر به يتم حقيقته و يكمل وجوده فهذا

المعنى مغاير للمعنى الأول بالنوع و إن كان واحدا معه بالجنس فالحكم بأن الحساس مغاير للناطق أنما يصح في القسم الأول منه دون القسم الثاني فالنفس الحساسة في سائر الحيوانات مغايرة للنفس المتفكرة و لكنها شيء واحد في الإنسان و هكذا القول في النفس الغاذية التي في النبات و التي في الحيوان و الإنسان بالنسبة إلى النفس الحساسة أو الناطقة فاعلم هذه القاعدة فإنها تنفعك جدا-

و أما الموحدون

فقد احتجوا على مذهبهم بأن قالوا قد دللنا على أن الأفعال

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۵۹

المتخالفة للنفس مستندة إلى قوى متخالفة و أن كل قوة من حيث هي هي لا يصدر عنه إلا فعل مخصوص فالغضبية لا تنفعل عن اللذات و الشهوية لا تتأثر عن المؤذيات و لا تكون القوة المدركة متأثرة مما تأثر عنه هاتان القوتان و إذا ثبت ذلك فنقول إن هذه القوى تارة تكون متعاونة على الفعل و تارة تكون متدافعة أما المتعاونة فلأنا نقول متى أحسسنا الشيء الفلاني اشتهينا أو غضبنا و أما المتدافعة فلأنا إذا توجهنا إلى الفكر اختل الحس أو إلى الحس اختل الغضب أو الشهوة و إذا ثبت ذلك فنقول لو لا وجود شيء مشترك لهذه القوى يكون كالمدبر لها بأسرها و إلا لامتنع وجود المعاونة و المدافعة لأن فعل كل قوة إذا لم يكن مرتبطا بالقوة الأخرى و ليست الآلة مشتركة بل لكل منها آلة مخصوصة وجب أن لا تحصل بينها هذه المعاونة و إذا ثبت وجود شيء مشترك فذلك المشترك إما أن يكون جسما أو حالا في الجسم أو لا جسما و لا حالا فيه و القسمان الأولان باطلان بما سبق في الفصول الماضية فبقي القسم الثالث و هو أن يكون مجمع هذه القوى كلها شيئا واحدا لا يكون جسما و لا جسمانيا و هو النفس.

أقول هذا كلام غير مجد في هذا الباب و لا واف بحل الإشكال فإن لأحد أن يقول ما دريتم بكون النفس رباطا لهذه القوى فإن عنيتم به أن النفس علة لوجودها- فهذا القدر لا يكفي في كون النفس هي بعينها الحساس الغاذي الساكن الكاتب الضاحك بل كونها علة لوجود هذه القوى لا يكفي في كون البعض معاونا للآخر على فعله أو معاوقا له فإن العلة إذا أوجدت قوى مخصوصة في محال متباينة و أعطت لكل واحدة منها آلة مخصوصة كان كل واحدة منها منفصلة عن الأخرى غنية عنها متعلقة بها بوجه من الوجوه فشروع بعضها في فعله الخاص كيف يمنع الآخر عن فعله أ ليس أن العقل الفعال عندكم مبدأ لوجود جميع القوى الموجودة في الأبدان فيلزم من كونها بأسرها معلولة لمبدإ واحد و علة واحدة أن يعوق البعض عن البعض أو يعينه على ذلك.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۶۰

و إن عنيتم به أن النفس مدبرة لهذه القوى و محركة لها فهذا يحتمل وجهين- أحدهما أن يقال إن النفس تبصر المرئيات و تسمع المسموعات و تشتهي المشتهيات- و تكون ذاتها محلا لهذه القوى و مبدأ لهذه الأفعال و متصفة بصفاتها و هذا هو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه و لكن من الذي أحكمه و أتقنه و دفع الشكوك و أزاح العلل المانعة لإدراكه فإن الأمر إذا كان كذلك فكيف يقع و يسوغ القول بتعدد القوى و يحصل التدافع تارة في فعلها إذا كان الكل جوهرا واحدا له هوية واحدة و بالجملة القول به يوجب القول ببطلان القوى التي أثبتها الشيخ و غيره من

الحكماء في الأعضاء المخصوصة المختلفة المواضع فإن النفس إذا كانت هي الباصرة و السامعة و المشتهية فأي حاجة إلى إثبات قوة باصرة في الروح التي في ملتقى العصبتين و إلى إثبات قوة سامعة في الروح التي في العصب المفروش الصماخي.

و أيضا يلزم أن يكون الإنسان إنما أبصر و سمع لا بإبصار و سماع قائم بذاته بل بإبصار و سماع قائم بغيره و الوجه الثاني أن يقال إن المعنى بكون النفس رباطا أن القوة الباصرة إذا أدركت صورة شخص معين أدركت النفس الناطقة أن في الوجود شخصا موصوفا بلون كذا و شكل كذا و وضع كذا و كل على وجه كلي لا يخرج انضمام بعضه إلى بعض في شيء من ذلك الشيء عن الكلية فإنك قد عرفت أن الكلي إذا قيد بصفات كلية

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۶۱

و إن كانت ألف صفة لا يصير بذلك جزئيا شخصيا و بالجملة فالإحساس بذلك الجزئي- سبب لاستعداد النفس لأن تدرك ذلك الجزئي على وجه كلي ثم يكون ذلك الإدراك سببا باعثا لطلب كلي لتحصيل ذلك الشيء فعند ذلك يتخصص ذلك الطلب و يصير جزئيا لتخصص القابل و ذلك الطلب الجزئي هو الشهوة و كذا قياس الغضب و سائر الأحوال الجزئية المنسوبة إلى النفس الإنسانية فهذا غاية ما يمكن أن يقرر في كون النفس رباطا للقوى الجسمانية و مجمعا على مذهب الشيخ و أتباعه.

و أقول ليس هذا بسديد لأن نسبة الشهوة و الغضب و الحس و الحركة و سائر الأفعال الجزئية و الانفعالات الشخصية إلى النفس ليست كنسبة فعل أمر مباين إلى أمر آخر من شأنه أن يدرك على وجه كلي كل ما يدركه الآخر على وجه جزئي و إلا لكان العقل الفعال أيضا ذا شهوة و غضب و حس و حركة كما أن الإنسان كذلك مع أنا نعلم ضرورة أنه بريء من هذه الآثار و الشواغل و الانفعالات و أنا نجد من أنفسنا أن لنا ذاتا واحدة تعقل و تحس و تدرك و تتحرك و تعتريه الشهوة و الغضب و غيرهما من الانفعالات و نعلم أن الذي يدرك الكليات منا هو بعينه يدرك الشخصيات و أن الذي يشتهي منا هو بعينه الذي يغضب و كذا الكلام في سائر الصفات المتقابلة و لا يكفي في هذه الجمعية وحدة النسبة التأليفية كالنسبة بين الملك و جنوده و صاحب البيت و أولاده و عبيده و إمائه بل لا بد من وحدة طبيعية ذات شئون عديدة كما يعرفه الراسخون في علم النفس و منازلها و في معرفة الوجود الحق و شئونه الإلهية المستفادة من علم الأسماء الذي علم الله به آدم ع المشار إليه في قوله تعالى **وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمٰاءَ كُلَّهٰا** و قد أشرنا إلى تحقيق ذلك في مواضع من هذا الكتاب لمن كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد حيث بينا أن الوجود كلما كان أشد قوة و بساطة كان أكثر جمعا للمعاني و أكثر آثارا و أن العوالم ثلاثة عالم العقل و عالم النفس الحيواني و عالم الطبيعة و الأول مصون عن الكثرة بالكلية و الثاني مصون عن الكثرة

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۶۲

الوضعية و الانقسام المادي و الثالث مناط الكثرة و التضاد و الانقسام إلى المواد.

و إذا تقرر هذا فنقول إن النفس الإنسانية من بين سائر النفوس الحيوانية لها مقامات ثلاثة مقام العقل و القدس و مقام النفس و الخيال و مقام الحس و الطبيعة- و كلما يوجد لها من الصفات و الأفعال في شيء من هذه المقامات يوجد في

مقام آخر- لكن كل بحسبه من الوحدة و الكثرة و الشرف و الخسة و البراءة و التجسم- فهذه الحواس و القوى الإدراكية و التحريكية موجودة في مادة البدن بوجودات متفرقة- لأن المادة موضوع للاختلاف و الانقسام و محل للتضاد و التباين فلا يمكن أن يكون موضع البصر موضع السمع و لا محل الشهوة هو محل الغضب و لا آلة البطش آلة المشي كذا يقوم بعضو من الإنسان ألم حسي لمسي كتفرق الاتصال و بعضو آخر راحة لمسية كالالتيام ثم نجد هذه القوى كلها موجودة في مقام الخيال و عالم النفس الحيواني بوجودات متميزة متكثرة في الخيال متحدة في الوضع بل لا وضع لها كما مر فلها حس واحد مشترك يسمع و يرى و يشم و يذوق و يلمس سمعا جزئيا و بصرا جزئيا و شما و ذوقا و لمسا جزئيا من غير أن ينقسم و يفترق مواضعها كما في الحواس الظاهرة و كذا يشتهي و يغضب و يتألم و يسر من غير تفرق اتصال و لا التيام تفرق

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۶۳

كل ذلك متكثر في عالم الحس الظاهر غير متكثر في عالم الحس الباطن ثم نجد الجميع موجودة في مقام العقل على وجه مقدس عن شوب كثرة و تفصيل معرى عن شوب تفرقة و قسمة وضعية جسمية أو خيالية جزئية لكنها مع ذلك كثيرة بالمعنى و الحقيقة غير مفقود منها شيء فالإنسان العقلي روحاني و جميع أعضائه عقلية موجودة في ذلك الإنسان- بوجود واحد الذات كثيرة المعنى و الحقيقة فله وجه عقلي و بصر عقلي و سمع عقلي- و جوارح عقلية كلها في موضع واحد لا اختلاف فيه كما أفاده أرسطاطاليس في أثولوجيا.

فإن قلت إذا كانت النفس هي بعينها المدركة لجميع الإدراكات العمالة لجميع الأعمال فما الحاجة إلى إثبات هذه القوى الكثيرة التي بعضها من باب الإدراك كالسمع و البصر و غيرهما و بعضها من باب التحريك كالجاذبة و الدافعة و الشهوة و الغضب.

قلنا هي و إن كانت كل هذه القوى إلا أن وجود هذه القوى و ظهورها في

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۶۴

عالم المواد لا يمكن إلا بآلات جسمانية متباينة متخالفة الوضع لأن عالم الجسم عالم التفرقة و الانقسام لا يمكن أن يكون جسم واحد مع طبيعة واحدة عنصرية مبدأ لصفات كثيرة كالسمع و البصر و غيرهما من صفات الإدراك و هيئات التحريك فعضو واحد لا يمكن أن يكون سمعا و بصرا و جاذبة و دافعة لنقصان وجوده عن جامعية المعاني- بخلاف جوهر روحاني بحسب وجوده الجمعي النفساني الروحاني فالذات الواحدة النفسية مبدأ لجميع الأفاعيل الصادرة عن قواها المتفرقة المتشتتة في مواضع مختلفة على نعت الاتحاد و الجمعية و كذا الذات العقلية بصرافة وحدتها جامعة لجميع الكمالات- و المعاني الموجودة في سائر القوى النفسانية و الحسية و الطبيعية لكن على وجه أشرف و أعلى و على وجه يليق بوجودها العقلي كما بيناه مرارا.

فإن قلت ما الفرق بين العقل المفارق و بين النفس في هذه الجمعية حيث إن النفس احتاجت في الاتصاف بمعاني القوى من وجود آلات و أعضاء مختلفة و لم يقع الاكتفاء بوجود ذاتها من غير تعدد هذه القوى و موادها المختلفة و أعضائها و أما العقل

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج٩، ص ٦٥

فلم يقع له في صدور أفعاله و ظهور معانيه و حالاته حاجة إلى مواد و آلات عديدة.

قلنا صفات العقل و كمالاته تنزل منه إلى المواد الخارجية على سبيل الإفاضة و الإيجاد من غير أن يتأثر منها أو ينفعل و يستكمل بسببها و أما النفس فليس لها أن تستقل بذاتها و تتبرأ عن التغير و الانفعال من خوادمها و آلاتها إلا بعد أن تصير عقلا محضا ليس له جهة نقص و لا كمال منتظر و أما قبل ذلك فهي ذات أطوار مختلفة- تحتاج إلى كلها فتارة في مقام الحس و الطبيعة و تارة في مقام النفس و التخيل و طورا في مقام العقل و المعقول و هذا حالها ما دامت متعلقة الذات بهذا البدن الطبيعي فإذا انقطعت عن هذا العالم كان مقامها إما المقام العقلي المجرد إن كانت من الكاملين في العلم و العمل و إما المقام الثاني المثالي الأخروي إن لم يكن كذلك على اختلاف أنواعها بحسب غلبة الملكات و الأحوال و تصورها بصورة ما يناسبها من الأنواع الأخروية

فصل (٦) في ضعف ما قاله صاحب المطارحات في هذا المقام دفعا لما قيل في تكثر القوى من غير أن يرجع إلى ذات واحدة كما بزغ نور الحق عليك من أفق تباينه حسب ما نبهناك عليه مرارا

اعلم أن بعض المكثرين لمبادي الأفعال الصادرة عن الإنسان التي بعضها جسمانية و بعضها روحانية

قال بما حاصله أن النفس و قواها لو كانت شيئا واحدا لوجب أن يكون من شأنها- مخالطة المادة تارة و ذلك عند ما يتصرف في الغذاء و ينمي و يولد و يدرك إدراك الجسمانيات و التجرد عنها تارة أخرى و ذلك عند إدراك المعقولات و هو ممتنع- و أيضا كان يجب أن يكون جميع الأشياء المحفوظة في خزانتها مشاهدة لها أبدا- كما هو حال القوة العقلية بالفعل.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج٩، ص ٦٦

فأجاب عنه في المطارحات أما أن الخيال جسماني فالقدماء يعترفون به و إن كان فيه ضروب من التحقيق لا يلائم هذا الموضع و إن كان فيه للحواس الظاهرة مدخل- و هذه إلى البيان أقرب و أما أن النفس تحتاج إلى مخالطة المادة عند ما تتصرف في الغذاء و غيره فلعله لا يتمشى و ربما يجوز أن يكون غير المخالط يتصرف تصرفا ما في الغذاء و نحوه و ربما يعتمد على بقاء أثر قوة مع انتفاء قوة أخرى و بطلان التوليد و النمو ربما يعلل في بعض الأشخاص أو الأوقات ببطلان استعداد مزاجي يناسب ذلك الفعل و كما أن الروح الذي في التجاويف مع قرب الأمكنة اختلف مزاجه للاختلاف الذي أوجب استعداد القوى المختلفة على ما ذكر فيجوز أن يكون أمزجة الأوقات من العمر تختلف بها استعداد التأثر عن مبدإ واحد بآثار كثيرة أو أثر واحد مطلقا أو أثر واحد من جهة واحدة بقول الخصم كما أن مزاج السن اقتضى بطلان النامية نفسها مع بقاء واهب النامية من النفس أو العقل على ما جوزت فأجوز أن يكون مبدأ النمو شيئا واحدا هو مبدأ أفاعيل أخرى و بطلان النمو في وقت لبطلان الاستعداد المتعلق بالقابل ثم كثير من القوى أضيف إليها أفعال لا يصح حصولها إلا من واهب الصور فإذا كانت الهيئات كلها منه و القوة معدة فيجوز أن يحصل الاستعداد- من أمور هي قوى غير جوهرية فعالة انتهى قوله بألفاظه.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۶۷

و فيه أبحاث تحقيقية.

منها أن تسليمه لكون الخيال قوة جسمانية

على طريقة القدماء غير صحيح لما علمت من أنها مجردة عن البدن الطبيعي عندهم حسبما أقمنا البراهين عليه.

و منها أن تجويزه لكون قوة غير جسمانية متصرفة

في الغذاء على وجه الافتقار- في بقائه إليه شخصا ليس بحق فإن الجوهر المفارق و إن جاز تدبيره للأمور السفلية- لكن ليس ذلك على الوجه الذي ينفعل عنها أو يستكمل بها بوجه من الوجوه.

و منها أن إسناده بطلان التولد و النمو في بعض الأوقات

إلى بطلان الاستعداد

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۶۸

في ذلك الوقت نشأ من الخلط بين أحوال النوع و لوازمه و أحوال الشخص و عوارضه- و أن الأولى لا يمكن أن تكون مستندة إلى استعداد المادة و أحوالها الاتفاقية- فإن الذي يحصل بمجرد حال المادة و عوارضها لا يكون دائميا و لا أكثريا أيضا بخلاف الذي يقتضيه المبادي الفاعلية من الأمور المطردة في أشخاص النوع كلها أو أكثرها- و من هذا القبيل وقوف النامية و المولدة مطلقا و عروض الموت الطبيعي كما بيناه فإنها أحوال منشؤها أسباب فاعلية مقتضية لأحوال مطردة إما بالذات كالاستكمالات و الانتقالات إلى الغايات الذاتية و إما بالعرض كالنقصانات اللازمة لبعض القوى بواسطة استكمالات تعرض لبعض أخرى أو انصراف القوة عن فعل لأجل توجهها إلى فعل آخر كالنفس إذا انتقلت إلى نشأة أخرى انصرفت قوتها عن هذه النشأة البدنية- فيعرض الموت بالتبع فقوله مزاج السن اقتضى بطلان النامية ليس عندنا كلاما حكميا بل العكس أولى فإن اختلاف أحوال الأسنان كالشباب و الشيب و الموت الطبيعي- تابعة لاختلاف أحوال النفس في تقلباتها في الأطوار الذاتية و انتقالاتها في نشئات الطبيعة من بعضها إلى بعض ثم في نشئات الحياة من بعضها إلى بعض ثم في نشئات العقل فللنفس في كل وقت تجوهر آخر يقتضي فعلا آخر يناسبه و استعدادات أيضا كما علمت تابعة لمبادئها و القوة تابعة للفعل فالقول بأن المبدأ بصفة المبدئية باق- و الأثر غير موجود إنما يصح لأجل عائق خارجي على سبيل الندرة و الاتفاق في بعض أشخاص النوع لا في كلها فيمتنع أن تكون النامية موجودة و النمو غير حاصل إلا لمانع اتفاقي يقع عن الشذوذ و الواقع خلافه فإن وقوف النمو و التوليد في سن الشيخوخة- أمر مطرد في جميع الأشخاص كلها-

و منها أن قوله القوى أضيف إليها أفعال

لا يصح صدورها إلا من واهب الصور إلخ بناء على ما ذهب إليه من إنكار الصور الجوهرية و قد علمت وهن قاعدته و بطلان

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۶۹

إنكاره للصور و القوى حيث ذهب إلى أن الغاذي و المنمي و المولد في الأجسام النباتية- و الحيوانية ليست نفوسها و

قواها و لا في الإنسان نفسه بل جوهر مفارق فإنا قد بينا في مواضع أن مباشر التحريكات و الإحالات هي الطبائع المتعلقة بالأجسام و قواها- و كون المفارق العقلي مبدأ للكل و إن كان صحيحا لكن ليست مبدئيته على سبيل المباشرة و المزاولة و الفرق بين المعد و المقتضي مما لا يخفى على من أمعن في الأبحاث الحكمية فالقوة النارية في التسخين و الماء في التبريد و غيرهما في بابه ليست معدات لما يصدر عنها دائما بل مقتضيات و موجبات و أسباب فاعلية بلا شبهة سيما في ما ينشأ في موادها المنفعلة عنها دائما و كذلك القوى النباتية و الحيوانية على ما مر مستقصى في مباحث الصور فالمرجع في توحيد النفس إلى ما ذكرناه

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۷۰

فصل (۷) في أن هذه القوى البدنية كلها ظل لما في النفس من الهيئات النفسانية

و اعلم أن القوى القائمة بالبدن و أعضائه و هو الإنسان الطبيعي ظلال و مثل للنفس المدبرة و قواها و هي الإنسان النفسي الأخروي و ذلك الإنسان البرزخي بقواه و أعضائه النفسانية ظلال و مثل للإنسان العقلي و جهاته و اعتباراته العقلية فهذا البدن الطبيعي و أعضاؤه و هيأته ظلال ظلال و مثل مثل لما في العقل الإنساني أما أن قوى الإنسان الطبيعي الذي بمنزلة قشر و غلاف للإنسان الحيواني المحشور في الآخرة التي هي دار الحياة لقوله تعالى **وَ إِنَّ الدّٰارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوٰانُ لَوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ** فالدليل عليه أن الإنسان إذا ركدت قواه الظاهرة و حواسه البدنية بالنوم أو الأعمال [الإغماء] أو

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۷۱

غيرهما كثيرا ما يجد من نفسه أنه يسمع و يرى و يشم و يلمس و يبطش و يمشي- فله في ذاته هذه المشاعر و القوى و الآلات من غير نقصان و عوز لشيء منها لكنها ليست ثابتة في هذا العالم أي عالم الحس و الشهادة و إلا لشاهدها كل سليم الحس و ليس كذلك فعلم أن موطنها عالم آخر هو عالم الغيب و الباطن و أما أن تلك القوى و الآلات الباطنية ظلال و أشباح لما في العقل الإنساني فلأن العقل بسيط و هو منشأ هذه القوى في النفس و بتوسطها في البدن و لو لم يكن فيه من الاعتبارات و الجهات ما يليق بذاته لم يكن منشأ صدور هذه الأمور الكثيرة عن الأمر البسيط و ذلك لأن كل جوهر عال في الشرف مبدأ لجميع الكلمات الموجودة فيما دونه من الجوهر النازلة على وجه الجمعية.

و قد نقلنا عن المعلم الأول صريح القول بأن الإنسان العقلي فيه جميع الأعضاء- التي في الإنسان الحسي على وجه لائق به.

و قال أيضا في مواضع أخر من كتابه أن في الإنسان الجسماني الإنسان النفساني و الإنسان العقلي و لست أعني هو هما لكن أعني به أنه يتصل بهما لأنه صنم لهما و ذلك أنه يفعل بعض أفاعيل الإنسان العقلي و بعض أفاعيل الإنسان النفساني- و ذلك أن في الإنسان الحسي كلمات الإنسان النفساني و كلمات الإنسان العقلي فقد جمع الحسي كلتا الكلمتين إلا أنها فيه ضعيفة قليلة نزرة لأنه صنم الصنم فقد بان أن الإنسان الأول العالي حساس إلا أنه بنوع أعلى و أفضل من الحس الكائن في الإنسان السفلي و أنه إنما ينال الحس من الإنسان الكائن في العالم الأعلى العقلي كما بيناه انتهى كلامه- فما أشد نور عقله و قوة عرفانه و ما أشمخ مقامه في الحكمة الإلهية و أعلى مرتبته حيث حقق هذه المسألة على

وجه وقف أفكار من لحقه من المتفكرين دون بلوغ شأوه- و جمهور الحكماء الإسلاميين كالشيخ أبي علي و من في طبقته لفي ذهول عما ذكره- فإن الشيخ استضعف في الشفاء القول المنسوب إلى أفلاطون و معلمه سقراط بأن في الوجود إنسانين إنسان فاسد و إنسان مفارق أبدي فكيف لو سمع أن في كل

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۷۲

إنسان ثلاثة أناس متفاوتة في الوجود حسي فاسد و عقلي دائم و نفساني بينهما فقد ظهر أن هذا الهيكل الحسي الإنسي بجميع أعضائه طلسم و صنم للإنسان النفسي و هو أيضا صنم للإنسان العقلي و مثال له و هو المحشور إما في زمرة السعداء و أهل الجنة- أو في زمرة الأشقياء و أهل الجحيم و أما الإنسان العقلي فهو في مقعد صدق عند مليك مقتدر و الإنسان النفسي له الإحساس بذاته للأشياء و الحكم بذاته عليها لا بآلة طبيعية يحتاج إليها في إدراكه و فعله فإدراكه للخارجيات من المحسوسات و إن كان بصورة زائدة حاضرة عنده أو حاصلة فيه إلا أن إدراكه لها بعين تلك الصور لا بصورة أخرى و إلا لزم التسلسل في تضاعف الصور الإدراكية فذاته بذاته لإدراك المبصرات بصر و لإدراك المسموعات سمع و هكذا في كل نوع من المحسوسات فهو في ذاته لذاته سمع و بصر و شم و ذوق و لمس و قد علمت فيما سبق اتحاد الحس بالمحسوس فهو حس جميع الحواس و أيضا له الحكم بذاته في القضايا الوهمية و غيرها لا بأمر زائد من صور القضايا و هو الشهوة لذاته للمشتهيات و الغضب لذاته على المنافرات من غير شهوة زائدة و غضب زائد و كذا قياس الإنسان العقلي البسيط في نظائر ما ذكرناه.

قال الفيلسوف الأعظم إن هذه الحسائس عقول ضعيفة و تلك العقول حسائس قوية.

ثم لقائل أن يقول إن الإنسان إذا كان في العالم الأعلى يكون حساسا و الحساس فصل جنسه و الحس ليس إلا انفعالا من صورة طبيعية جسمانية فكيف يمكن أن يكون- في الجوهر الكريم العالي حس و هو موجود في الجوهر الدني السافل.

فالجواب عنه كما يستفاد من كلام الفيلسوف أن نسبة هذا الحس إلى الحس العقلي كنسبة هذا الحيوان اللحمي إلى الحيوان العقلي و كذا نسبة المحسوس هاهنا

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۷۳

إلى الأمر المحسوس هناك و لذا قيل الحس الذي في هذا العالم الأدنى لا يشبه الحس الذي في العالم الأعلى فإن الحس هناك على المحسوسات التي هناك فلذلك صار بصر هذا الحيوان السفلي متعلقا ببصر الحيوان الأعلى و متصلا به.

أقول و كذا سمعه بسمعه و شمه بشمه و ذوقه بذوقه و لمسه بلمسه كاتصال هذه الأنواع الطبيعية المادية بصورها العقلية الموجودة في العالم الأعلى و في علم الله الأزلي-

كما ورد في الحديث النبوي: على قائله و آله الصلاة و السلام أن هذه النار غسلت بسبعين ماء ثم أنزلت

إشارة إلى أن هذه النار من مراتب تنزلات النار العقلية و كان رسول الله ص بهذه الحواس الباطنية الأخروية يدرك الأمور الغائبة عن هذه الحواس الداثرة- حيث قال في الذوق

: أبيت عند ربي يطعمني و يسقيني

و في الشم

: إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن

و في البصر

: زويت لي الأرض فأريت مشارقها و مغاربها

و في اللمس

: وضع الله بكتفي يده فأحس الجلد بردها بين ثديي

و في السمع

: أطت السماء و حق لها أن تأط ليس فيها موضع قدم إلا و فيه ملك ساجد و راكع

و بالجملة الإنسان العقلي يفيض بنوره على هذا الإنسان الطبيعي السفلي بواسطة الإنسان النفسي المتوسط بين العقلي و الطبيعي.

و اعلم أيضا أن إشراق النفس على الصورة الموجودة فيها كإشراق الشمس على الأجسام و غيره بوجه فإن مقتضى الأول إفادة ذات المرئي الإشراقي و مقتضى الثاني

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۷۴

إفادة ظهوره فالنفس عند تخيلها للأشياء تفيد صورها الخيالية الموجودة في عالمها لا في هذا العالم و يدركها بذاتها لا بصورة أخرى و أما إدراكها للمبصرات الخارجية فهو أيضا كما حققناه سابقا في مباحث الإبصار من أن المادة و وضعها بالنسبة إلى آلة الإبصار- مخصص لأن يفيض من النفس صورة مساوية للصورة المادية و هي مجردة عنها و عن غواشيها موجودة في صقع النفس كالصور الخيالية و الفرق بينهما باشتراط المادة و عوارضها الخارجية في المبصرة و عدم الاشتراط بها في المتخيلة

فصل (۸) في المتعلق الأول للنفس

إن النفس لا تتصرف في الأعضاء الكثيفة العنصرية إلا بوسط مناسب للطرفين- و ذلك الوسط هو الجسم اللطيف النوراني المسمى بالروح النافذ في الأعضاء بواسطة الأعصاب الدماغية و هذه الدعوى أي كون النفس غير متصرف أولا إلا لذلك الروح الذي قيل إنه مخلوق من لطافة الأخلاط و بخاريتها كما أن البدن مخلوق من كثافة الأخلاط و رديئها قريبة من الوضوح غير محتاجة إلى البرهان إذ درجات الوجود متتالية مترتبة في اللطافة و الكثافة فيما يتصف بهما كما أنها مترتبة في الشرف و الخسة ففي الحيوان الواحد جزء هو ألطف أجزائه و هو الروح المحوي بالشرايين و جزء

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۷۵

هو أكثف أجزائه هو كالمقيم في الورك و ما بين ألطف لطيفه و أكثف كثيفه وسائط مناسبة قد نضد بعضها بالبعض كما في طبقات الأجرام الفلكية و العنصرية على تدبير المحكم الإلهي و النظم البديع العلوي و لا شك أن ألطفها أبين فعلا و أقل انفعالا- و أكثفها بعكس ذلك مثاله أن الروح الغريزي مؤثر بالجبلة في الدم الطبيعي إذ هو في أفق الدم ثم لا ينعكس الأمر و الدم الطبيعي مؤثر في الرطوبة الدماغية إذ هو في أفقها و لا ينعكس و تلك الرطوبة مؤثرة في اللحمان العضلية من غير عكس و هكذا في كل جزء بعد جزء إلى أن ينتهي إلى أصلب الأجزاء و هو القابل المتأثر على الإطلاق

من غير أن يؤثر في شيء مما عداه و كذلك يجب أن يتصور النضد و الترتيب في الروحانيات- كما تصورت في الجسمانيات و كذلك الحال في أجسام العالم الكبير كما علمت في العالم الصغير فإن في جسمياته جزء هو ألطف أجزائه و هو الفلك الأعلى الجسماني- و جزء هو أكثف أجزائه و هو الأرض السفلي و بين ألطف لطيفه و أكثف كثيفه وسائط متناسقة منضدة بعضها على بعض على التقدير الإلهي و النظم الحكمي و قد دلت الأدلة على أن ألطفها ذاتا أبينها تفعيلا و أكثفها ذاتا أبينها انفعالا و لهذا ما ورد في الأدعية- التوجه إلى جانب السماء عند طلب الحاجات و استجلاب الخيرات و استجابة الدعوات- و هذا معنى ما ورد في لسان بعض العرفاء أن النور الإلهي معنى أحدي إنما يكون افتنانه بحسب المعادن المجعولة و المراد أن الوجود الفائض من الحق المسمى عند بعضهم بالنفس الرحماني أمر واحد حقيقة مختلف المراتب بحسب القرب و البعد من الأول تعالى.

إذا تقرر هذا فاعلم أن جوهر النفس لكونه من سنخ الملكوت و عالم الضياء المحض العقلي لا يتصرف في البدن الكثيف المظلم العنصري بحيث يحصل منهما نوع طبيعي وحداني إلا بمتوسط و المتوسط بينهما و بين البدن الكثيف هو الجوهر اللطيف المسمى

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۷۶

بالروح عند الأطباء و المتوسط بين كل واحد من الطرفين و لذلك المتوسط أيضا متوسط آخر مناسب لطرفيه كالبرزخ المثالي بين الناطقة و الروح الحيواني و الدم الصافي اللطيف بينه و بين البدن ثم الدليل على وجود هذا الجوهر المسمى بالروح أن سد الأعصاب يوجب إبطال قوة الحس و الحركة عما وراء موضع السد مما يلي جهة الدماغ- و السد لا يمنع إلا نفوذ الأجسام و التجارب الطبية أيضا شاهده بوجوده فإن كثرته يوجب الفرح و النشاط و القوة و الشجاعة و الشهوة و قلته يوجب الصرع و السكتة- و الغم و الحزن و الماليخوليا و عند انقطاعه عن القلب يعرض الموت فجأة و كما أن تعلق النفس بالبدن لأجله فلا بد أيضا من تعلقها لكونها واحدة من عضو واحد هو المتعلق به النفس بواسطة هذا الروح البخاري و سائر الأعضاء يكون متعلقا بها بواسطة ذلك العضو الذي هو الرئيس.

و قد اختلفوا أن ذلك العضو الرئيسي المعطي لقوة سائر الأعضاء و روحها هو القلب أو الدماغ و عند الأكثرين من الأطباء و الطبيعيين أنه هو القلب لكونه أحر ما في البدن و الدماغ ليس هو كذلك فهو المناسب لتكون الروح الحار الغريزي.

و أيضا الحركات الفكرية يسخن الدماغ تسخينا شديدا فلو لم يكن باردا في أصله- لزم احتراقه عند اجتماع التسخينين تسخين الروح و تسخين الحركة الفكرية.

و أيضا أول ما يتخلق في البدن هو القلب و هو أول ما يتحرك من الأعضاء و آخر

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۷۷

ما يسكن فهو المتعلق الأول للنفس ثم بواسطته بالدماغ و الكبد و بسائر الأعضاء على الترتيب.

فإن قيل لو كان القلب عضوا رئيسيا معطيا و كانت الأرواح النفسانية فائضة منه إلى الدماغ لكان القلب منبت الأعصاب دون الدماغ لأن منبت الآلة يكون من المبدأ لا من الأخذ و لما لم يكن كذلك بطل ما قلتموه.

قلنا قد قال بعض شراح القانون إنه لم يقم دليل قطعي على أن منبت الأعصاب هو الدماغ البتة و مع قطع النظر عن ذلك

القول لمانع أن يمنع كون منبت الآلة واجبا- أن يكون هو المبدأ لم لا يجوز أن يكون العضو المستفيد منبتا لآلة و كانت استفادته القوة من المبدأ بعد أن وصلت الآلة إلى العضو المفيد فحينئذ يتأدى فيه الأرواح الحاملة- للقوى الأحساسية و التحريكية و الاستقصاء في هذا المبحث يناسب الكتب الطبية

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج٩، ص ٧٨

الباب التاسع في شرح بعض ملكات النفس الإنسانية

و أفعالها و انفعالاتها و منازل الإنسان و مقاماته و أن قواه بعضها أرفع وجودا و أقل قبولا للتجزي من بعض و فيه فصول

فصل (١) في خواص الإنسان

فمنها النطق

اعلم أن من عظيم حكمة الله في خلق الإنسان من العناصر و الأركان- إحداثه الموضوعات اللغوية فيه و الداعي إلى ذلك أن الإنسان مفتقر في معيشته الدنياوية- إلى مشاركة ما و معاونة من بني نوعه فإن الواحد من الإنسان لو تفرد في وجوده عن أفراد نوعه و جنسه و لم يكن في الوجود إلا هو و الأمور الموجودة في الطبيعة لهلك سريعا أو ساءت معيشته لحاجته في معيشته إلى أمور زائدة على ما في الطبيعة مثل الغذاء المعمول و الملبوس المصنوع فإن الأغذية الطبيعية غير صالحة لاغتذائه و الملابس الطبيعية أيضا لا تصلح له إلا بعد صيرورتها صناعية بأعمال إرادية فلذلك يحتاج إلى تعلم بعض الصناعات حتى تحسن معيشته و الشخص الواحد لا يمكنه القيام بمجموع تلك الصناعات- بل لا بد من مشاركة و معاونة بين جماعة حتى يخبز هذا لذاك و ذاك ينسج لهذا و هذا ينقل لذاك و ذاك يعطيه بإزاء عمله أجرة فلهذه الأسباب و أمثالها احتاج الإنسان في المعاملات و غيرها أن يكون له قوة على أن يعلم الآخر الذي هو شريكه بما في نفسه بعلامة وضعية و أصلح الأشياء لذلك هو الصوت لأنه ينشعب إلى حروف يتركب منها تراكيب كثيرة من غيره مئونة يلحق البدن و الصوت من الأمور الضرورية للإنسان لتنفسه المضطر إليه في ترويح حرارة القلب و أيضا الهيئات الصوتية لا يثبت و لا يدوم عدده فيؤمن

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج٩، ص ٧٩

وقوف من لا يحتاج إلى شعوره عليه و بعد الصوت في صلاحية أمر الإعلام هي الإشارة إلا أنه أدل منها لأنها لا ترشد إلا من حيث يقع عليه البصر و ذلك أيضا من جهة مخصوصة- و يحتاج المعلم أن يحرك حدقته إلى جهة مخصوصة حركات كثيرة يراعي بها الإشارة- ففائدة الإشارة أقل و مئونتها أكثر و أما الصوت فليس كذلك فلا جرم قد تقرر الاصطلاح على التعريف لما في النفس بالعبارة فجعلت الطبيعة للنفس أن يؤلف من الأصوات ما يتوصل به إلى تعريف الغير و أما الحيوانات الأخرى فإن أغذيتها طبيعية أو قريب منها و ملابسها مخلوقة معها كالإهاب و الشعر و الثقب و الكهوف فما كان لها حاجة إلى الكلام و مع ذلك فإن لها أصواتا مناسبة لما في بعضها من شوب روية و إعلام يقف بها غيرها على ما في نفوسها و ضمائرها و لكن دلالة تلك الأصوات دلالة إجمالية يكفي لأغراضها من طلب ملائم أو دفع منافر و أما الأصوات الإنسانية فلها دلالة تفصيلية- و لعل الأمور التي يحتاج إلى أن يعبر عنها الإنسان في أغراضه يكاد أن

لا يتناهى- فما كان يمكن أن يطبع بإزائها أصوات بلا نهاية فلأجل ذلك و لضرورات أخرى يحتاج إلى وضع الألفاظ و الاصطلاح عليها.

و من خواصه العجيبة استنباط الصنائع العملية الغريبة

و أما الحيوانات الأخرى- و خصوصا الطير في صنائع بيوتها و مساكنها سيما النحل في بنائه البيوت المسدسة- فإن المسدس أوسع الأشكال بعد الدائرة و أشبهها بالدائرة من جهة أن مساحته يحصل- من ضرب نصف قطره في نصف محيطه كالدائرة و إنما ترك الاستدارة لأن لا يقع خارج البيوت من الفرج فضلا مهملا و كذا المربع لئلا يبقى زوايا ضائعة داخل البيوت فوضعت البيوت على هيأة أشكال متراصة شبيهة بشكل صاحب البيت فإن النحل مستدير مستطيل- و لو كانت مستديرة لم تتراص و لو كانت مضلعة غير المسدسة فإما أن يتراص أيضا كالمخمس و المسبع و غيرهما أو يقع لها الفرج داخلا كحاد الزوايا مثل المثلث و المربع و مع ذلك

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۸۰

كله ليس صدور مثل هذه الصنعة العجيبة عن تلك الحيوانات من تدبير نفسها الشخصية الجزئية عن استنباط و إلا لم يكن على وتيرة واحدة بل صدورها عن إلهام و تسخير من مدبرات أمرها و ملائكة نوعها و أكثر فائدة تلك الصنائع يرجع إلى صلاح نوعها أو صلاح غيرها كالإنسان الذي كأنه الصفوة و الغاية في فعلها و وجودها و وجود صنائعها- و ما يرجع إلى صلاح شخصها فهو قليل بخلاف الإنسان بما هو إنسان سيما الفرد الكامل منه فإن جميع ما يقصده و يكسبه إنما ترجع فائدته إلى ذاته الشخصية و العلة في ذلك أن حكم الهوية الشخصية منه كالحقيقة النوعية من غيره في أن لها الديمومة الأخروية بشخصها و البقاء العقلي بذاتها و الحيوانات الأخرى لا يبقى إلا بالنوع لا بالعدد.

و من خواصه أيضا أنه يتبع إدراكه الأشياء النادرة حالة انفعالية

يسمى بالتعجب و يتبعه الضحك و يتبع إدراكه للأشياء المؤذية انفعال يسمى الضجرة و يتبعه البكاء.

و منها أن المشاركة المصلحية تقتضي المنع من بعض الأفعال

و الحث على بعضها ثم إن الإنسان يعتقد ذلك من حين صغره و يستمر نشوه عليه فحينئذ يتأكد فيه اعتقاد وجوب الامتناع من أحدهما و الإقدام على الآخر و ركز في نفسه ذلك عناية من الله لأجل النظام فيسمى الأول قبيحا و الثاني حسنا جميلا و أما سائر الحيوانات- فإنها إن تركت بعض الأمور مثل الأسد المعلم لا يأكل صاحبه و مثل الفرس العتيق النجيب لا يسافح أمه فليس ذلك من جهة اعتقاد في النفس بل لهيأة نفسانية أخرى و هو أن كل حيوان يحب بالطبع ما يلائمه و يلذه و الشخص الذي يطعمه محبوب عنده- فيصير ذلك مانعا عن أكله لذلك الشخص و كذا نشوه عند أمه من أول صغره ألفه بها ضربا آخر من الألفة يزجره عن الشهوة إلى إتيانها و ربما تقع هذه العوارض عن إلهام إلهي مثل حب كل حيوان ولده.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۸۱

و منها أن الإنسان إذا حصل له شعور بأن غيره اطلع على أنه ارتكب فعلا قبيحا

فإنه يتبع ذلك الشعور حالة انفعالية في نفسه يسمى بالخجالة.

و منها أنه قد ظن أن أمرا يحدث في المستقبل يضره

فيعرض له الخوف أو ينفعه فيعرض له الرجاء و لا يكون للحيوانات الأخرى هاتان الحالتان إلا بحسب الآن في غالب الأمر و ما يتصل به و الذي تفعله من استظهار ليس لأجل شعور بالزمان المستقبل- و ما يكون فيه بل ذلك أيضا بضرب من الإلهام من الملك المدبر لنوعها كالذي يفعله النمل في نقل البر بالسرعة إلى جحرها منذرة بالمطر فإنها إما أن يتخيل أن هناك مؤذ يكون أو مطر ينزل كما أن الحيوان يهرب عن الضد لما يتخيل أن ذا يضربه و يؤذيه أو أن يقع لها ضرب من الإلهام و بالجملة أن الأفعال الحكمية و العقلية- أنما تصدر من الإنسان من جهة نفسه الشخصية و من سائر الحيوانات من جهة عقلها النوعية تدبيرا كليا.

و منها ما يتصل بما ذكر

من أن الإنسان له أن يروي في أمور مستقبلة هل ينبغي أن يفعلها أو لا ينبغي فحينئذ يفعل وقتا ما حكمت به رويته و تدبيره أن يفعله و لا يفعل هذا وقتا آخر بحسب ما يقتضي رويته أن لا يفعله ما كان يصح أن يفعله في الوقت الأول و كذا العكس و أما الحيوانات الأخرى فليس لها ذلك و إنما لها من الإعدادات ما يكون على ضرب واحد مطبوع فيها وافقت عاقبتها أو خالفت.

و منها تذكر الأمور التي غابت عن الذهن

فإن سائر الحيوانات لا يقوى على ذلك أعني الاسترجاع و التدبر.

و منها و هو أخص الخواص بالإنسان تصور المعاني الكلية

المجردة عن المادة كل التجريد كما مر بيانه في باب العقل و المعقول و غيره من المواضع و التوصل إلى معرفة المجهولات تصديقا و تصورا من المعلومات الحاضرة و أخص من هذا كله هو اتصال بعض

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۸۲

النفوس الإنسانية بالعالم الإلهي بحيث يفنى عن ذاته و يبقى ببقائه و حينئذ يكون الحق سمعه و بصره و يده و رجله و هناك التخلق بأخلاق الله تعالى.

فهذه جملة من خواص الإنسان و صفاته

بعضها بدنية و لكنها موجودة لبدن الإنسان بواسطة نفسه كالضحك و البكاء و أمثالهما و بعضها نفسية تعرض من جهة البدن- كالخوف و الرجاء و الخجلة و الحزن و غير ذلك و بعضها عقلية صرفة كالحكمة النظرية و العملية و الإنسان يختص من بين سائر الموجودات فضلا على الحيوانات بجامعية هذه الصفات التي بعضها طبيعة و بعضها نفسانية و بعضها عقلية.

قال الشيخ الرئيس للإنسان تصرف في أمور جزئية و تصرف في أمور كلية- و الأمور الكلية أنما يكون فيها اعتقاد فقط و لو كان أيضا في عمل فإن من اعتقد اعتقادا كليا- أن البيت كيف ينبغي أن يبنى فإنه لا يصدر عن هذا الاعتقاد وحده فعل بيت مخصوص صدورا أوليا فإن الأفعال تتناول لأمور جزئية و تصدر عن أجزاء جزئية و ذلك لأن الكلي من حيث هو كلي ليس يختص بهذا دون ذاك فيكون للإنسان إذن قوة تختص بالآراء الكلية و قوة أخرى تختص بالروية في الأمور الجزئية فيما ينبغي أن يفعل و يترك بما ينفع و يضر و مما هو جميل و قبيح و مما هو خير و شر و يكون ذلك بضرب

من القياس و التأمل صحيح أو سقيم غايته أنه يوقع رأيا في أمر جزوي مستقبل من الأمور الممكنة لأن الواجبات و الممتنعات لا يروى فيها ليوجد أو يعدم و ما مضى

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۸۳

أيضا لا يروى في إيجاده على أنه ماض فإذا أحكمت هذه القوة تبعت حكمها حركة القوة الإجماعية إلى تحريك البدن كما كانت تتبع أحكام قوة أخرى في الحيوان- أو تكون هذه القوة استمدادها من القوة التي على الكليات فمن هناك تأخذ المقدمات الكلية الكبروية فيما يروي و ينتج في الجزويات فالقوة الأولى للنفس الإنسانية قوة تنسب إلى النظر فيقال عقل نظري و هذه الثانية قوة تنسب إلى العمل فيقال عقل عملي- و تلك للصدق و الكذب و هذه للخير و الشر في الجزئيات و تلك للواجب و الممكن و الممتنع و هذه للجميل و القبيح و المباح و مبادي تلك من المقدمات الأولية و مبادي هذه من المشهورات و المقبولات و التجربيات الواهنة دون الوثيقة و لكل واحدة من هاتين القوتين رأي و ظن فالرأي هو الاعتقاد المجزوم به و الظن هو الاعتقاد المميل إليه مع تجويز الطرف الآخر و ليس كل من ظن فقد اعتقد كما ليس كل من أحس فقد عقل أو تخيل فقد ظن أو اعتقد أو رأى فيكون في الإنسان حاكم حسي- و حاكم من باب التخيل وهمي و حاكم نظري و حاكم عملي و تكون المبادي الباعثة

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۸۴

لقوته الإجماعية على تحريك الأعضاء وهم خيالي و عقلي عملي و شهوة أو غضب و تكون للحيوانات ثلاثة من هذه و العقل العملي يحتاج في أفعاله كلها إلى البدن و إلى القوة البدنية و أما العقل النظري فله حاجة إلى البدن و إلى قواه و لكن لا دائما من كل وجه بل قد يستغني بذاته و ليس واحد منها هو النفس الإنسانية بل النفس هو الشيء الذي له هذه القوى و هو كما يتبين جوهر مفرد له استعداد نحو أفعال بعضها لا يتم إلا بالآلات و بالإقبال عليها بالكلية و بعضها لا يحتاج فيه إلى الآلات البتة و هذا كله سنشرحه في موضعه انتهى كلامه.

و فيه موضع أنظار كثيرة لو لا مخافة الإطناب لأوردتها و لكن فيما ذكرناه من معرفة النفس و شرح أطوارها و كيفية وحدتها الجامعة لمقاماتها و درجاتها كفاية للطالب المهتدي و السامع الذكي و لو تأمل أحد في قوله فيكون في الإنسان حاكم حسي- و حاكم من باب التخيل وهمي و حاكم نظري و حاكم عملي إلى قوله بل قد يستغني بذاته تأملا شافيا يستنبط منه أن النفس الإنسانية تمام هذه القوى كلها لا كما ذكره أنه ليس و لا واحد منها هو النفس الإنسانية بل الشيء الذي له هذه القوى إلا على وجه دقيق يعرفه العارفون بحقيقة الوجود و أطوارها فإن هذه القوى و إن تكثرت و تعددت بحسب تعدد آلاتها و أفعالها و انفعالاتها في عالم الطبيعة و الحس لأنه عالم التفرقة و التزاحم و الانقسام إلا أنها مجتمعة في ذات النفس على نعت الوحدة إذ لا شبهة

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۸۵

لأحد في أن كل شخص من الإنسان له هوية واحدة و نفس واحدة منها تصدر جميع الأفعال المنسوبة إليه و مع ذلك لا شبهة أيضا لمن له تدرب في الصناعة أن الحاكم الحسي لا بد أن يكون من باب الحس و المحسوس و الحاكم الخيالي

لا بد أن يكون مرتبته مرتبة القوة الخيالية و الحاكم العقلي العملي لا بد أن يكون مرتبته مرتبة المجرد ذاتا المتعلق نسبة و إضافة إلى الصور الجزئية كما ذكرناه في باب الوهم و الموهومات أنه عقل مضاف إلى الحس و كذا الحاكم العقلي النظري مرتبته مرتبة العقل المفارق المحض- فثبت من هذا أن النفس تنتقل انتقالا جوهريا من طور إلى طور حسبما ادعيناه و كذا يستفاد من قوله فله حاجة إلى البدن لكن لا دائما من كل وجه بل قد يستغني بذاته أن النفس جسمانية الحدوث روحانية البقاء مع أنه غير قائل بهذه الاستحالة الجوهرية فإن حاجة النفس إلى البدن كما مر ليس كحاجة الصانع إلى الدكان في أمر عارض له لا فيما يقوم وجوده بل حاجتها إليه في ابتداء الأمر حاجة جوهري طبيعي لعدم استقلالها بالوجود دون البدن و قواه الحسية و الطبيعية و قد مر أيضا أن نفسية النفس هي نحو وجودها لا إضافة عارضة لذاتها بعد تمام هويتها فإذا كان الحال كذلك ثم صارت عقلا بالفعل غير محتاجة إلى البدن خارجة من حد كونها عقلا بالقوة إلى حد كونها عقلا بالفعل- صارت أحد سكان عالم العقل كالصور المعقولة التي هي بعينها عاقلة لذاتها و أين صورة البدن العنصري المادي و الصورة التي هي بذاتها معقولة بالفعل سواء عقلها غيرها أو لم يعقلها فهل ذلك إلا بتقلبها في الوجود و استحالتها في الجوهرية و اشتدادها في الكون و ترقيها من أدون المنازل إلى أشرف المقامات و المعارج كما يشير إليه حكاية معراج النبي ص و ترقيه إلى كل مقام و استحالتها حتى بلغ المنتهى و رأى من آيات ربه الكبرى و كذا ما حكى الله عن الخليل ع **وَ كَذٰلِكَ نُرِي إِبْرٰاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ** و قوله حكاية عنه **إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ** فأين مرتبته البشرية كما قال تعالى **قُلْ إِنَّمٰا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ*** و هذه المرتبة الإلهية التي أشار إليه

بقوله ص: لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب و لا نبي مرسل

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۸۶

فصل (۳) في أوصاف النفس الإنسانية و مجامع أخلاقها و اختلافها في الشرف و الرداءة

أكثر الاختلاف الواقع في الصفات الإنسانية راجع إلى قوة النفس و شرفها

و مقابلها أعني الضعف و الخسة و هذا شيء يستفاد من تضاعيف ما ذكرناه في أحوال الوجود و إن شدته و ضعفه مما يوجب اختلاف الأشياء ذاتا و صفة فنقول إن النفوس الإنسانية لها تفاوت عظيم في الكمال و النقص و الشرف و الخسة فالنفس القوية منها هي الوافية بصدور الأفعال العظيمة منها و الشديدة في أبواب كثيرة لما مر من جامعيتها للنشئات الوجودية و النفس الضعيفة في مقابلها.

مثال ذلك إنا نشاهد نفوسا ضعيفة يشغلها فعل عن فعل فإذا انصبت إلى الفكر اختل إحساسها أو إلى الإحساس اختل فكرها و إذا اشتغلت بالتحريكات الإرادية اختل أمر إدراكها و ترى نفوسا قوية تجمع بين أوصاف من الإدراكات و التحريكات سيما

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۸۷

ما يتعلق بالفضائل الباطنية فالقسم الأول هو صاحب النفس الضعيفة و الثاني صاحب النفس القوية.

ثم هذه القوة و هذا الضعف قد يكون للنفس بما هي نفس حساسة و قد يكون لها بما هي عقل فالأول كما لأصحاب

التخيلات القوية كالكاهن و كصاحب العين- و الثاني كما لأصحاب العلوم الكثيرة و أما النفس الشريفة بحسب الغريزة فهي الشبيهة بالمبادي المفارقة في الحكمة و الحرية أما الحكمة فهي إما أن تكون غريزية أو مكتسبة فالحكمة الغريزية هي كون النفس صادقة الآراء في القضايا و الأحكام- و هذه الحكمة الغريزية هي الاستعداد الأول لاكتساب الحكمة المكتسبة و النفوس الإنسانية متفاوت فيها حتى أن البالغ منها إلى الدرجة العالية هي النفس القدسية النبوية المشار إليه بقوله تعالى **يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ** إشارة إلى عدم احتياجه في اكتساب العلم إلى معلم بشري و يقابلها النفس البليدة التي لا تنتفع بتعليم معلم أما الحرية فشرحها أن النفس إما أن لا تكون مطيعة بغريزتها إلى الأمور البدنية و مستلذات القوى الحيوانية و إما أن تكون مطيعة لها فالتي لا تكون كذلك هي الحرة و إنما سميت بها لأن الحرية في اللغة تطلق على ما يقابل العبودية- و معلوم أن الشهوات مستعبدة قاهرة على استخدام النفوس الناقصة فهي عبدة الشهوة غير حرة عن طاعة الأمور البدنية سواء تركها أم لم تتركها بل الشائق التارك أسوأ حالا

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج‏۹، ص ۸۸

و أدنى درجة من الشائق الواجد في الحال و إن كان أحسن حالا منه في المال لأن عدم وجدانه في الحال و اشتغاله بغيرها ربما يزيل عنه ذلك التوقان في ثاني الحال فظهر من هذا أن الحرية الحقيقية ما تكون غريزية للنفس لا التي تكون بالتعويد و التعليم- و إن كانت أيضا فاضلة و هو معنى قول الفيلسوف أرسطاطاليس الحرية ملكة نفسانية حارسة للنفس حراسة جوهرية لا صناعية و بالجملة فكل ما كانت علاقته البدنية أضعف و علاقته العقلية أقوى كان أكثر حرية و من كان بالعكس كان أكثر عبودية للشهوات و إلى هذا أشار أفلاطون بقوله الأنفس المرذولة في أفق الطبيعة و ظلها و الأنفس الفاضلة في أفق العقل و إذا علمت معنى الحكمة و الحرية- و حاصلهما قوة الإحاطة بالمعلومات و التجرد عن الماديات فاعلم أن جميع الفضائل النفسانية يرجع إلى هاتين الفضيلتين و كذا الأخلاق الذميمة مع كثرتها ترجع كلها إلى أضداد هاتين و لا تكفيك تزكية النفس عن بعضها حتى تزكي عن جميعها و لو تركت البعض غالبا عليك فيوشك أن يدعوك إلى البقية و لا ينجو من عذابها إلا من أتى الله بقلب سليم و قال تعالى أيضا **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها وَ قَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها**

و قال النبي ص: بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

و كما أن للإنسان صورة ظاهرة حسنها بحسن الجميع و اعتداله و قبحها بقبح البعض فضلا عن الجميع فكذلك الصورة الباطنة لها أركان لا بد من حسن جميعها حتى يحسن الخلق و تحصل الحكمة و الحرية و هي أربعة معان قوة العلم و قوة الغضب و قوة الشهوة و قوة العقل و العدل بين هذه

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج‏۹، ص ۸۹

الأمور فإذا استوت هذه الأركان الأربعة التي هي مجامع الأخلاق التي تتشعب منها أخلاق غير محصورة اعتدلت و تناسقت و حصل حسن الخلق أما قوة العلم فأعدلها و أحسنها أن تصير بحيث تدرك الفرق بين الصدق و الكذب في الأقوال و بين الحق و الباطل في الاعتقادات و بين الجميل و القبيح في الأعمال فإذا انصلحت هذه القوة و اعتدلت من غير غلو و تقصير حصلت منها ثمرة هي بالحقيقة أصل الخيرات و رأس الفضائل و روحها قال الله تعالى **وَ مَنْ يُؤْتَ**

الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً و قال أيضا ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشٰاءُ وَ اللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ بعد قوله وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰابَ وَ الْحِكْمَةَ فهذه

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۹۰

الحكمة ثمرة الحكمة بالمعنى الأول و هي كلما كانت أكثر و أشد فهي أفضل بخلاف المعنى الأول و أما قوة الغضب فاعتدالها أن يصير انقباضها و انبساطها على موجب إشارة الحكمة و الشريعة و كذلك قوة الشهوة و أما قوة العدالة فهي في ضبط قوة الغضب و الشهوة تحت إشارة الدين و العقل فالعقل النظري منزلته منزلة المشير الناصح و قوة العدل و هي القدرة التامة منزلتها منزلة المنفذ و الممضي لأحكامه و إشاراته و قوتا الغضب و الشهوة هما اللذان تنفذ فيهما الحكم و الإشارة و هما كالكلب و الفرس للصياد حيث ينبغي أن يكونا في الحركة و السكون و القبض و البسط و الأخذ و الترك مطيعين له منقادين لحكمه و أما قوة الغضب فيعبر عن اعتدالها بالشجاعة و الله تعالى يحب الشجاع فإن مالت إلى طرف الإفراط سمي تهورا و إن مالت إلى النقصان سمي جبنا و يتشعب من اعتدالها و هو الشجاعة خلق الكرم و النجدة و الشهامة و الحلم و الثبات- و كظم الغيظ و الوقار و غير ذلك و أما إفراطها فيحصل منه خلق التهور و الصلف- و البذخ و الاستشاظة و الكبر و العجب و أما تفريطها فيحصل منه الجبن و المهانة و الذلة و الخساسة و ضعف الحمية على الأهل و عدم الغيرة و صغر النفس و أما الشهوة فيعبر عن اعتدالها بالعفة و عن إفراطها بالشره و عن تفريطها بالخمود فيصدر من العفة السخاء و الحياء و الصبر و المسامحة و القناعة و الورع و قلة الطمع و المساعدة- و يصدر عن إفراطها الحرص و الوقاحة و التبذير و الرياء و الهتك و المجافة و الملق

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۹۱

و الحسد و الشماتة و التذلل للأغنياء و استحقار الفقراء و غير ذلك و أما قوة العقل و الحكمة فيصدر عن اعتدالها حسن العدل و التدبير و جودة الذهن و ثقابة الرأي- و إصابة الظن و التفطن لدقائق الأعمال و خبايا آفات النفوس و أما إفراطها فتحصل منه الجربزة و المكر و الخدع و الدهاء و يحصل من ضعفها البله و الحمق و الغباوة و الانخداع فهذه هي رءوس الأخلاق الحسنة و الأخلاق السيئة المعبر عنها في حديث عذاب القبر للمنافق برءوس التنين و معنى حسن الخلق في جميع أنواعها الأربعة- و فروعها هو التوسط بين الإفراط و التفريط و الغلو و التقصير فخير الأمور أوسطها- و كلا طرفي قصد الأمور ذميم قال تعالى وَ لاٰ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلىٰ عُنُقِكَ- وَ لاٰ تَبْسُطْهٰا كُلَّ الْبَسْطِ و قال وَ الَّذِينَ إِذٰا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كٰانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قَوٰاماً و قال أَشِدّٰاءُ عَلَى الْكُفّٰارِ رُحَمٰاءُ بَيْنَهُمْ و مهما انحرف بعض هذه الأمور- عن الاستقامة إلى أحد الجانبين فبعد لم تتم مكارم الأخلاق

و مما يجب أن يعلم في هذا المقام

أن قوة النفس غير شرفها كما أشير إليه- و كل منهما قد يزيد في الآخر و قد يتفق لوازمها أما أن كلا من شرف النفس و قوته قد يزيد على الآخر فلأن الشجاعة مثلا قد يصدر لكبر النفس و احتقار الخصم و استشعار الظفر به و قد يصدر لشرف النفس و الترفع عن المهانة و الذلة كما قال الفيلسوف النفوس الشريفة تأبى مقارنة الذلة و ترى حياتها في ذلك موتها و موتها

الحکمة المتعالیة فی الاسفار العقلیة الاربعة، ج۹، ص ۹۲

فيها حياتها فإن كانت من قوة النفس فلا بد فيها من الحكمة لأن الشجاعة من هذا الوجه عبارة عن مطاوعة النفس غريزتها العقلية الحكمية في الإقدام و الإحجام و الجبن و هو أن تطاوع في الإحجام و لا تطاوع في الإقدام و ذلك إما للجهل أو للتضعيف- و التهور هو أن تطاوع في الإقدام و لا تطاوع في الإحجام و هو لازم لقوة النفس مع جهلها و أما أن القوة و الشرف قد يتفقان في اللوازم فتلك مثل حب الرئاسة في النفس الشريفة و في النفس القوية الجاهلة فإن الجاهل القوي لجهله يظن بنفسه كونه أهلا لما ليس أهلا له و لقوة نفسه يقدم على طلبها و غنى النفس قد يكون لقوتها و علمها بالقدرة على رفع الحاجات في أوقاتها و قد يكون لشرفها و قلة التفاتها إلى الموجود و اهتمامها بالمفقود و فقر النفس كذلك قد يكون لضعفها و ظنها الفقد عند الحاجة و قد يكون لخستها و احتكارها و العدالة لازمة لشرف النفس خصوصا مع القوة و الجور لخستها في الخسيسة المشتاقة إلى جمع المال و الصدق قد يلزم شرف النفس و الكذب خستها و الكرم للقوة مع الشرف و السفه للضعف مع الخسة و كبر الهمة لقوة النفس الشريفة أيضا و الفشل و صغر الهمة لضعف النفس الخسيسة

الحکمة المتعالیة فی الاسفار العقلیة الاربعة، ج۹، ص ۹۳

فصل (۳) في منازل الإنسان و درجاته بحسب قوى نفسه

إن كل إنسان بشري باطنه كأنه معجون من صفات قوى بعضها بهيمية و بعضها سبعية و بعضها شيطانية و بعضها ملكية حتى يصدر من البهيمية الشهوة و الشره و الحرص و الفجور و من السبعية الحسد و العداوة و البغضاء و من الشيطانية المكر و الخديعة و الحيلة و التكبر و العز و حب الجاه و الافتخار و الاستيلاء و من الملكية العلم و التنزه أو الطهارة و أصول جميع الأخلاق هذه الأربعة و قد عجنت في باطنه عجنا محكما لا يكاد يتخلص منها و إنما يخلص من ظلمات الثلاثة الأول بنور الهداية المستفاد من الشرع و العقل و أول ما تحدث في نفس الآدمي البهيمية فتغلب عليه الشهوة و الشره في الصبي ثم تخلق فيه السبعية فتغلب عليه المعاداة و المناقشة ثم تخلق فيه الشيطانية- فيغلب عليه المكر و الخديعة أولا إذ تدعوه البهيمية و الغضبية إلى أن يستعمل كياسته في طلب الدنيا و قضاء الشهوة و الغضب ثم تظهر فيه صفات الكبر و العجب و الافتخار و طلب العلو ثم بعد ذلك يخلق فيه العقل الذي به يظهر نور الإيمان و هو من حزب الله تعالى و جنود الملائكة و تلك الصفات من جنود الشيطان و جند العقل يكمل عند الأربعين و يبدو أصله عند البلوغ و أما سائر جنود الشياطين يكون قد سبق إلى القلب قبل البلوغ و استولى عليه و ألفته النفس و استرسل في الشهوات متابعا لها إلى أن يرد نور العقل فيقوم القتال و التطارد في معركة القلب فإن ضعف العقل استولى عليه الشيطان و سخره و صار في العاقبة جنود الشيطان مستقرة كما سبقت إلى النزول في البداية فيحشر الإنسان حينئذ مع إبليس و جنوده أجمعين و إن قوي العقل بنور العلم و الإيمان صارت القوى مسخرة و انخرطت في سلك الملائكة محشورة إليها **وَ مٰا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ**

الحکمة المتعالیة فی الاسفار العقلیة الاربعة، ج۹، ص ۹۴

فصل (٤) في كيفية ارتقاء المدركات من أدنى المنازل إلى أعلاها و الكلام في مراتب التجرد

اعلم أن لكل معنى معقول ماهية كلية لا تأبى الاشتراك و العموم كالإنسان مثلا- فإن الماهية الإنسانية من حيث هي إنسان طبيعة مطلقة لا يمنع تصورها عن وقوع الشركة بين كثيرين و هي من حيث هي لا تقتضي التوحيد و التكثير و لا المعقولية و لا المحسوسية و لا الكلية و لا الشخصية و إلا لم تكن مقولة على ما يقابل مقتضاها كما عرفت في مباحث الماهية.

ثم إن هذه الطبيعة إذا حصلت في مادة خارجية يقارنها بعض من الكيف و الكم و الأين و الوضع و متى و جميع هذه الأمور زائدة على ماهيتها كما عرفت إلا أنها داخلة في التشخصات و أنحاء الوجودات و ليس كما زعمه الجمهور أن للماهية وجودا في الخارج و لأحوالها الشخصية وجودا آخر و ذلك لعدم معرفتهم بأحوال الوجود و أنحائه بل وجود الإنسان بما هو إنسان في الخارج هو بعينه تشخصه الخارجي المستلزم لقدر من الكم و الكيف و غيرهما لا أن هذه أمور زائدة على وجوده المادي لكن لما رأوا أن

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج‌۹، ص ۹۵

هذه الأمور متبدلة و الإنسانية باقية زعموا أن وجودها غير وجود الماهية و لم يتفطنوا أنه كما يجوز للماهية الواحدة أعداد من الوجود و أشخاص من الكون بحيث لا ينافي ذلك وحدتها النوعية و لا وحدتها العقلية التجردية كذلك لا ينافي وحدتها العددية- استحالتها في الوجود الشخصي من طور إلى طور مع انحفاظ الهوية الشخصية على نعت الاتصال التدريجي كما مر بيانه.

ثم إن هؤلاء القوم لما رأوا في كتب أسلافهم من الحكماء الأقدمين أن أنواع الإدراكات كالحس و التخيل و الوهم و العقل أنما تحصل بضرب من التجريد زعموا أن التجريد المذكور عبارة عن حذف بعض الصفات و الأجزاء و إبقاء البعض بل كل إدراك إنما يحصل بضرب من الوجود و يتبدل الوجود إلى وجود آخر مع اتحاد الماهية و العين و الثابت فالوجود المادي يلزمه وضع خاص و مادة معينة ذات كم و كيف خاص و أين معين و الوجود الحسي وجود صوري غير ذي وضع و لا قابل لهذه الإشارات الحسية إلا أنه مشروط بوجود المادة الخارجية و صورتها المماثلة لهذه الصور المحسوسة- ضربا من المماثلة حتى أنه لو عدمت تلك المادة الخارجية لم تكن الصورة الحسية مفاضة على قوة الحس و أما الوجود الخيالي فهو وجود صوري غير مشروط بحضور المادة و لا الإدراك الحسي إلا عند الحدوث و هو مع ذلك صورة شخصية غير محتملة للصدق- و الحمل على الكثرة و أما الوجود العقلي فهو صورة غير ممتنعة عن الاشتراك بين الكثرة و الحمل [و الصدق] عليها إذا أخذت مطلقة لا بشرط التعيين كالإنسان

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج‌۹، ص ۹۶

العقلي المشترك بين كثيرين و كذا أجزاؤه العقلية كالسمع العقلي و البصر العقلي و اليد العقلية و جميع الأعضاء العقلية على وجه لا ينافي كثرتها في بساطه تلك الصور العقلية بحسب الوجود فإن الواحد العقلي قد يكون ذا معان كثيرة متخالفة المفهوم متحدة الوجود.

ثم إنك قد علمت مما ذكرناه مرارا أن الأشياء ذوات الطبائع متوجهة إلى كمالاتها و غاياتها فاعلم أن الإنسان من جملة

الأكوان الطبيعية مختص بأن واحدا شخصيا من نوعه قد يكون مترقيا من أدنى المراتب إلى أعلاها مع انحفاظ هويته الشخصية المستمرة على نعت الاتصال و ليس سائر الطبائع النوعية على هذا المنهاج- لأن المادة الحاملة لصورتها تنفصل عنها إلى صورة أخرى من نوع آخر منقطعة عن الأولى فلا تنحفظ في سائر التوجهات الطبيعية هوياتها الشخصية بل و لا النوعية أيضا بخلاف الشخص الإنساني إذ ربما يكون له أكوان متعددة بعضها طبيعي و بعضها نفساني و بعضها عقلي و لكل من هذه الأكوان الثلاثة أيضا مراتب غير متناهية بحسب الوهم و الفرض لا بحسب الانفصال الخارجي ينتقل من بعضها إلى بعض أي من الأدون

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج‏۹، ص ۹۷

إلى الأرفع و من الأخس إلى الأشرف فما لم يستوف جميع المراتب التي يكون للنشأة الأولى من هذه النشئات الثلاث أعني الطبيعية و النفسية و العقلية لم ينحط إلى النشأة الثانية و هكذا من الثانية إلى الثالثة فالإنسان من مبدإ طفوليته إلى أوان أشده الصوري إنسان بشري طبيعي و هو الإنسان الأول فيتدرج في هذا الوجود و يتصفى و يتلطف حتى يحصل له كون أخروي نفساني و هو بحسبه إنسان نفساني و هو الإنسان الثاني و له أعضاء نفسانية لا تحتاج في وجودها النفساني إلى مواضع متفرقة- كما إذ ظهرت في المادة البدنية حين وجودها الطبيعي فإن الحواس في هذا الوجود متفرقة تحتاج إلى مواضع مختلفة ليس موضع البصر موضع السمع و لا موضع الذوق موضع الشم و بعضها أكثر تجزيا من البعض و أشد تعلقا بالمادة كالقوة اللامسة و هي أول درجات الحيوانية و لذا لا يخلو منها حيوان و إن كان في غاية الخسة و الدناءه قريبا من أفق النباتية كالأصداف و الخراطين و هذا بخلاف وجودها النفساني فإنه أشد جمعية من هذا الوجود فتصير الحواس كلها هناك حسا واحدا مشتركا و هكذا قياس القوى المحركة ففي هذا العالم بعضها في الكبد و بعضها في الدماغ و بعضها في القلب و بعضها في الأنثيين و بعضها في غير ذلك من الأعضاء و في العالم النفساني مجتمعة ثم إذا انتقل من الوجود النفساني إلى الوجود العقلي و صار عقلا بالفعل و ذلك في قليل من أفراد الناس فهو بحسب ذلك الوجود إنسان عقلي و له أعضاء عقلية كما أومأنا إليه و هو الإنسان الثالث هذا إذا أخذ الترتيب من هذا العالم و أما إذا أخذ من عالم العقل فالإنسان الأول هو العقلي و بعده النفساني و الثالث هو الطبيعي كما فعله إمام المشائيين و معلمهم و لا مشاحة في الاصطلاحات فقد قال في كتاب أثولوجيا الإنسان العقلي يفيض بنوره على الإنسان الثاني الذي في العالم النفساني و الإنسان الثاني يشرق بنوره

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج‏۹، ص ۹۸

على الإنسان الثالث و هو الذي في العالم الجسماني الأسفل فإن كان هذا على ما وصفناه قلنا إن في الإنسان الجسماني الإنسان النفساني و الإنسان العقلي و لست أعني هو هما لكنه أعني أنه متصل بهما و أنه صنم لهما و ذلك أنه يفعل بعض أفاعيل الإنسان العقلي و بعض أفاعيل الإنسان النفساني و ذلك أن في الإنسان الجسماني- كلمات الإنسان النفساني و كلمات الإنسان العقلي فقد جمع الإنسان الجسماني كلتا الكلمتين أعني النفساني و العقلي إلا أنهما فيه قليلة ندرة لأنه صنم الصنم انتهى كلامه.

و لا منافاة بين ما ذكرناه من أن بعض أفراد الناس إنسان طبيعي ثم يصير إنسانا نفسانيا- ثم يصير على سبيل الندرة و

الشذوذ إنسانا عقليا و بين ما ذكره من أن في الإنسان الجسماني كلتا الكلمتين إن نظرنا فيما خرج من القوة إلى الفعل و صار مقامه ذلك المقام يعني مرتبة هويته الوجودية لا الذي هو بعد بالقوة و من جهة مجرد الارتباط و الاتصال و قبول الآثار و حكاية الأفعال و مما يجب أن يعلم أن الإنسان هاهنا مجموع النفس و البدن و هما مع اختلافهما في المنزلة موجودان بوجود واحد فكأنهما شيء واحد ذو طرفين أحدهما متبدل داثر فان و هو كالفرع و الآخر ثابت باق و هو كالأصل و كلما كملت النفس في وجودها صار البدن أصفى و ألطف و صار أشد اتصالا بالنفس و صار الاتحاد بينهما أقوى و أشد حتى إذا وقع الوجود العقلي صارا شيئا واحدا بلا مغايرة و ليس الأمر كما

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۹۹

ظنه الجمهور أن النفس عند تبدل وجودها الدنيوي إلى وجودها الأخروي تنسلخ عن بدنها و تصير كعريان يطرح ثوبه و ذلك لظنهم أن البدن الطبيعي الذي تدبره و تتصرف فيه تدبيرا ذاتيا و تصرفا أوليا هذه الجثة الجمادية التي يطرح بعد الموت و ليس كذلك بل هذه الجثة الميتة خارجة عن موضوع التصرف و التدبير و إنما هو كثفل و دردي يقع مدفوعا عن فعل الطبيعة كالأوساخ و ما يجري مجراها أو كالأشعار و الأوبار و القرون و الأظلاف مما تحصله الطبيعة خارجا عن ذاتها لأغراض خارجية كالدار يبنيها الإنسان لا لأجل الوجود بل لدفع الحر و البرد و سائر ما لا يمكن التعيش بدونها في هذا العالم مع أنها لا تسري فيها الحياة الإنسانية فالبدن الحقيقي هو الذي يكون سريان نور الحس و الحياة فيه بالذات لا بالعرض و نسبته إلى النفس نسبة الضوء إلى الشمس- و لو كانت هذه الجثة الساقطة مما سرت فيه قوة الحياة بالذات لا كالظرف و الوعاء لما بقيت مطروحة منهدمة كالدار التي خربت لارتحال صاحبها منها و بالجملة حال النفس في مراتب تجردها كحال المدرك الخارجي إذا صارت محسوسا ثم متخيلا ثم معقولا فكما أن قولهم لكل إدراك ضرب من التجريد و إن تفاوت مراتب الإدراكات بحسب مراتب التجريدات معناه هو الذي ذكرناه من أن التجريد للمدرك ليس عبارة عن إسقاط بعض صفاته و إبقاء البعض بل عبارة عن تبديل الوجود الأدنى الأنقص إلى الوجود الأعلى الأشرف فكذلك تجرد الإنسان و انتقاله من الدنيا إلى الأخرى ليس إلا تبديل نشأته الأولى إلى

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۱۰۰

نشأة ثانية و كذا النفس إذا استكملت و صارت عقلا بالفعل ليس بأن يسلب عنها بعض قواها كالحساسة و يبقى البعض كالعاقلة بل كلما تستكمل و ترتفع ذاتها كذلك تستكمل و ترتفع سائر القوى معها إلا أنه كلما ارتفع الوجود للشيء صارت الكثرة و التفرقة فيه أقل و أضعف و الوحدة و الجمعية فيه أشد و أقوى.

و يؤيد ما ذكرناه قول هذا الفيلسوف بعد الكلام الذي نقلناه فقد بان أن الإنسان الأول حساس إلا أنه بنوع أعلى و أفضل من الحس الكائن في الإنسان السفلي- و أن الإنسان السفلي إنما ينال الحس من الإنسان الكائن في العالم الأعلى العقلي كما بيناه و أوضحناه فإنا بينا كيف يكون الحس في الإنسان و كيف لا تستفيد الأشياء العالية من الأشياء السفلية بل هي المستفيدة من الأشياء العالية لأنها متعلقة بها فلذلك صارت هذه الأشياء متشبثة بتلك الأشياء في جميع حالاتها و أن قوى هذا الإنسان أنما هي مستفادة من الإنسان العالي و أنها متصلة بتلك القوى غير أن لقوى هذا الإنسان محسوسات- غير محسوسات قوى إنسان العالم الأعلى و ليست تلك المحسوسات أجساما و لا ذلك الإنسان يحس و يبصر مثل هذا

الإنسان لأن تلك المحسوسات و ذلك البصر خلاف

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۱۰۱

هذه لأنه يبصر الأشياء بنوع أفضل و أرفع من هذا النوع و هذا البصر و لذلك صار ذلك البصر أقوى و أكثر نيلا للأشياء من هذا البصر لأن ذلك البصر يبصر الكليات- و هذا البصر يبصر الجزئيات لضعفه و إنما صار ذلك البصر أقوى من هذا البصر لأنه يقع على أشياء أكرم و أشرف و أبين و أوضح من الأبدان فلذلك صار ذلك الحس- و ذلك البصر أقوى و أكثر معرفة و صار هذا البصر ضعيفا لأنه إنما ينال أشياء خسيسة دنية و هي أصنام لتلك الأشياء العالية و نصف تلك الحسائس فأقول إنها عقول ضعيفة- و نصف تلك العقول فنقول إنها حسائس قوية على ما وصفناه من أنه كيف يكون الحس في الإنسان العالي انتهى كلامه.

و قال في موضع آخر من ذلك الكتاب فإن كانت النفس على هذه الصفة أي إن فيها كلمات الفواعل فلا محالة أن في النفس الإنسانية كلمات فواعل تفعل الحياة و النطق و إذا صارت النفس الهيولانية أي الساكنة في الجسم على هذه الصفة قبل أن يسكن فيه فهو إنسان هناك لا محالة فإذا صارت في البدن صنم إنسانا آخر- و نفسه على نحو ما يمكن أن يقبل ذلك الجسم من صنم الإنسان الحق و كما أن المصور يصور صورة الإنسان الجسماني في مادتها و في بعض ما يمكنه أن يصور فيه و يحرص على أن يتقن تلك الصورة و يشبهها بصورة هذا الإنسان على نحو ما يمكن أن يقبل العنصر- الذي يصورها فيه فتكون تلك الصورة إنما هي صنم لهذا الإنسان إلا أنها أدون و أنقص منه بكثير و ذلك أنه ليس فيه كلم الإنسان فواعل و لا حياته و لا حركته و لا حالاته و لا قواه فكذلك هذا الإنسان الحسي إنما هو صنم لذلك الإنسان الأول الحق إلا أن المصور هي النفس فقد حرصت أن يشبه هذا الإنسان بالإنسان الحق و ذلك أنها جعلت فيه صفات الإنسان الأول إلا أنها جعلتها فيه ضعيفة قليلة نذرة و ذلك أن قوى

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۱۰۲

هذا الإنسان حياته و حالاته ضعيفة و هي في الإنسان الأول قوية جدا و للإنسان الأول حواس قوية ظاهرة أقوى و أبين و أظهر من حواس هذا الإنسان لأن هذه أنما هي أصنام لتلك كما قلناه مرارا فمن أراد أن يرى الإنسان الحق الأول فينبغي أن يكون خيرا فاضلا و أن يكون له حواس قوية لا تنخفش عند إشراق الأنوار الساطعة عليها لأن الإنسان الأول نور ساطع فيه جميع الحالات الإنسانية إلا أنها فيه بنوع أفضل و أشرف و أقوى و هذا الإنسان و هو الإنسان الذي حده أفلاطون الإلهي لأنه زاد في حده فقال إنه الذي يستعمل البدن و تعمل أعماله بأداة بدنية فهذه النفس تستعمل البدن أولا فأما النفس الشريفة الإلهية فإنها تستعمل البدن استعمالا ثانيا أي بتوسط النفس

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۱۰۳

الحيوانية و ذلك أنه إذا صارت النفس الحيوانية ملكوتية أتبعتها النفس الناطقة الحية- و أعطتها حياة أشرف و أكرم و لست أقول إنها انحدرت من العلو لكني أقول إنها زادتها حياة أشرف و أعلى من حياتها لأن النفس الحية الناطقة لم تبرح عن العالم العقلي لكنها تتصل بهذه الحياة و تكون هذه متعلقة بتلك فتكون كلمة تلك متصلة بكلمة هذه النفس و لذلك

صارت كلمة هذا الإنسان و إن كانت ضعيفة خفية أقوى و أظهر لإشراق كلمة النفس العالية عليها و اتصالها بها.

فإن قال قائل إن كانت النفس هي في العالم الأعلى حساسة فكيف يمكن أن يكون في الجواهر الكريمة العالية حس و هو موجود في الجوهر الأدنى.

قلنا إن الحس الذي في العالم الأعلى أي في الجوهر الأكرم العقلي لا يشبه هذا الحس الذي في هذا العالم الدني و ذلك إنه لا يحس هناك هذا الحس الدني لأنه يحس هناك على نحو مذهب المحسوسات التي هناك و لذلك صار حس هذا الإنسان السفلي- متعلقا بحس الإنسان الأعلى و متصلا به فإنما ينال هذا الإنسان الحس من هناك لاتصاله به كاتصال هذه النار بتلك النار العالية و الحس الكائن في النفس التي هناك- متصل بالحس الكائن في النفس التي هاهنا و لو كانت في العالم الأعلى أجسام كريمة- مثل هذه الأجسام لكانت النفس تحس بها و تنالها و لكان الإنسان الذي يحس بها و ينالها أيضا فلذلك صار الإنسان الثاني الذي هو صنم للإنسان الأول في عالم الأجسام- يحس بالأجسام و يعرفها بأن في الإنسان الآخر الذي هو صنم للإنسان الأول كلمة الإنسان الأول و في الإنسان كلمات الإنسان العقلي انتهى كلامه و أراد بالإنسان الأول هاهنا الإنسان النفساني فإنه أول بالإضافة إلى هذا الإنسان الجسماني

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۰۴

فصل (۵) في أن قوى النفس المتعلقة بالبدن بعضها أقل قبولا للتجزي و بعضها أكثر قبولا للتجزي و أنها كيف تكون مع تبدلها و تبدل أفاعيلها شخصية منسوبة إلى نفس شخصي و كذا البدن كيف يبقى بدنا شخصيا مع تبدله في كل حين

قد علمت أن وجودات الأشياء متفاوتة في الكمال و النقص و أن قاعدة الإمكان- دلت على أن كل مرتبة من مراتب الوجود التي تكون متوسطة بين أعلى الموجودات و أدناها هي واجبة التحقيق في العالم و قد أوضحنا ذلك فيما سبق حيث فصلنا أنواع الجمادات و النباتات و الحيوانات و أن أنواعها متفاوتة الوجود و آخر كل أفق من الثلاثة متصل بأول الأفق الذي بعده.

فاعلم هاهنا أن كل حقيقة جمعية تأليفية

كالحقيقة الإنسانية المشتملة على جزء أعلى كالنفس و جزء أدنى كمادة البدن فلا بد أن يكون الارتباط بينهما بمتوسط مناسب للطرفين و كذا بين كل من الطرفين و الواسطة فإذن في الإنسان قوى مختلفة بعضها إدراكية و بعضها تحريكية و الإدراكية بعضها عقلية و بعضها وهمية و بعضها خيالية و بعضها حسية و التفاوت بين هذه الأقسام بالشدة و الضعف ظاهر مكشوف و إن أشد منها تجردا هي العقلية ثم الوهمية ثم الخيالية ثم الحسية و الحسيات خمسة مشهورة و فيها أيضا تفاوت بالكمال و النقص و أشدها تعلقا بالمادة هي اللمسية ثم الذوقية ثم الشمية ثم السمعية ثم البصرية و كل من هذه الأقسام الثمانية لا يخلو من تفاوت بين أفرادها و كذلك القوى التحريكية كالغضبية و الشهوية و النباتية بعضها أشد تعلقا بالمادة من البعض و كلما كانت أشد تعلقا بالمادة كانت أكثر تجزيا و كلما

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۰۵

كانت أقل تعلقا بها كانت أقل انقساما و النفس و إن كانت بحسب ذاتها المجردة غير قابلة للتجزي و الانقسام لكنها من

جهة اتصالها بالبدن قابلة للتجزي و الانقسام.

قال الفيلسوف الأكرم إن النفس تتجزى بالعرض و ذلك أنها إذا كانت في الجسم قبلت التجزئة بتجزي الجسم كقولك إن الجزء المفكري غير الجزء البهمي و جزأها الشهواني غير جزئها الغضبي فالنفس إنما تقبل التجزئة بالعرض لا بذاتها أي بتجزي الجسم الذي هي فيه- فأما هي بعينها فلا تقبل التجزئة البتة فإذا قلنا إن النفس متجزئة فإنما نعني بذلك أنها في كل جزء من أجزاء الجسم لأنها تتجزى بتجزي الجسم و الدليل على ذلك أعضاء البدن و ذلك أن كل عضو من أعضاء البدن حساس و إنما يكون حساسا دائما إذا كانت قوة النفس فيه فإذا كانت قوة النفس الحساسة في جميع الأعضاء ذوات الحس قيل لتلك القوة إنها تتجزى بتجزي الأعضاء التي هي فيها و قوة النفس و إن كانت منبثة في جميع الأعضاء لكنها في كل عضو تامة كاملة و ليست متجزئة كتجزي الأعضاء- و إنما يتجزى بتجزي الأعضاء كما وصفناه مرارا انتهى قوله.

و اعلم أن هذه القوى المتعددة هي مجتمعة في النفس متفرقة في البدن و سبب افتراقها في البدن أنه لا بد لكل منها ما يناسبه من الأعضاء فإن العضو الذي هو آلة للبصر مثلا لا يمكن أن يكون مثل العضو الذي هو آلة للسمع و كذا العضو الذي يصلح- لأن يكون فيه موضع الغضب غير الذي يصلح أن يكون محل الشهوة و هكذا القياس في غيرها من الأعضاء و أما اللمس فلكونها قوة سافلة دنية من جنس أوائل الكيفيات العنصرية فأكثر الأعضاء صالحة لقبولها و لهذا تنبت فيها.

قال الفيلسوف إن لكل قوة من قوى النفس موضعا معلوما من مواضع البدن تكون فيه لا إنها تحتاج إلى المواضع لثباتها و قوامها لكنها تحتاج إليها لظهور فعلها

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۰۶

من ذلك المكان المتهيئ لقبول فعلها لأنها إنما يتهيأ العضو بالهيئة التي تريد أن يظهر فعلها منه فإذا هيأت النفس العضو على الهيئة الملاءمة لقبول قوتها أظهرت قوتها من ذلك العضو و إنما تختلف قوى النفس على نحو اختلاف هيئة الأعضاء و ليس للنفس قوى مختلفة و لا هي مركبة منها بل هي مبسوطة ذات قوة تعطي الأبدان القوى إعطاء دائما و ذلك أنها فيها بنوع بسيط لا بنوع تركيب فلما صارت النفس تعطي الأبدان القوى و بسبب تلك القوى آلاتها لأنها علة لها و صفات المعلول أحرى بأن تنسب إلى العلة منها إلى المعلول لا سيما إذا كانت شريفة تليق بالعلة أكثر مما تليق بالمعلول نرجع إلى ما كنا فيه فنقول إنه إن لم يكن كل قوة من قوى النفس في مكان معلوم من أماكن البدن و كانت كلها في غير مكان لم يكن بينها في أن يكون داخل البدن- أو خارجا منه فرق البتة فيكون البدن المتحرك الحساس لا تغير لها و هذا قبيح و يعرض من هذا أيضا إذا لا نعلم كيف تكون أعمال النفس الكائنة بالآلات الجسدانية إذا صارت قواها ليست في البدن انتهى قوله.

و أما الإشكال في أن قوى المتبدلة الوجود كيف تكون باقية بالعدد

لنفس واحدة شخصية فإنما ينحل بأن الأشياء المتبدلة الهويات تنحفظ وحدتها الشخصية بأمر وحداني الذات نسبته إليها نسبة الروح إلى البدن و نسبة الصورة إلى المادة و قد مرت الإشارة

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۰۷

مرارا إلى أن التركيب بين المادة و الصورة اتحادي و كذا النفس و البدن لأنها تمامه- و تمام الشيء هو هو على وجه أقوى و أكمل فكل واحدة من القوى النازلة السفلية- تنحفظ هويته المتجددة بهوية ثابتة هي أصل هويتها و هي قوة أخرى فوقها و هكذا إلى أن ينتهي إلى أمر ثابت الذات من كل وجه.

و بهذا يندفع الإشكال الذي يرد في اللامسة من أن اللمس لا يكون إلا بتغير العضو اللامس عن مزاجه بورود كيفية هي ضد كيفية المزاجية الملموسة.

أيضا لأن المثل لا يدرك المثل إذ كل إحساس انفعال و الشيء لا ينفعل عن مثله- و أيضا يلزم اجتماع المثلين و هو أيضا محال كاجتماع الضدين فعلى أي تقدير منها يلزم بطلان الكيفية الأولى عند ورود الثانية و يبطل ببطلانها القوة اللمسية التي فيها و الإدراك لا يكون إلا ببقاء المدرك من الصور المدركة.

و وجه دفعه أن القوة اللمسية و إن انعدمت و تجددت أمثالها لكن القوة الإدراكية التي هي فوقها تجمع السابقة فتدرك بالسابقة الأمر اللاحق و تحفظهما معا- و إن بطل السابق حين ورود اللاحق.

قال الفيلسوف فقوة النفس على ضربين

أحدهما يتجزى بتجزي الجسم مثل القوة النامية و القوة التي هي شهوانية فإنهما منبثتان في سائر الجسم من النبات و الحيوان- و القوى المتجزئة بتجزي الجسم تجمعها قوة أخرى أرفع منها و أعلى فقد يمكن إذن أن تكون قوة النفس المتجزئة بتجزي الجسم غير متجزئة بالقوة التي فوقها التي لا تتجزى- و هي أقوى القوى المتجزئة مثل الحسائس فإنها قوة من قوى النفس تتجزى بتجزي الآلات الجسمانية و كلها تجمعها قوة واحدة هي أقوى الحواس و هي ترد عليها

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۰۸

بتوسط الحواس و هي قوة لا تتجزى لأنها لا تفعل فعلها بآلة لشدة روحانيتها و لذلك صارت الحسائس كلها ينتهي إليها فتعرف الأشياء التي تؤدى إليها الحسائس و تميزها معا من غير أن تنفعل آثار الأشياء المحسوسة فلذلك صارت هذه القوة تعرف الأشياء المحسوسات و تميزها معا في دفعة واحدة انتهى قوله.

أقول إن ما ذكره تحقيق شريف نافع جدا ينتفع به في كثير من المطالب

منها إثبات المعاد الجسماني

و حشر الأجساد كلها حتى النبات و الجماد-

و منها كيفية ارتباط المعلومات

بعللها

و منها كيفية بقاء الإنسان

مع تبدل ذاته في كل آن و هي التي عجز عن دركها الشيخ الرئيس بفرط ذكائه و شدة فهمه و لطافة طبعه فقال عند سؤال بهمنيار عنه في تجويز تبدل الذات لا يلزمني جوابك لأني لست بمسئول عنه حين الجواب.

و اعلم أن هذه الدقيقة و أمثالها من أحكام الموجودات لا يمكن الوصول إليها إلا بمكاشفات باطنية و مشاهدات سرية و معاينات وجودية و لا يكفي فيها حفظ القواعد البحثية- و أحكام المفهومات الذاتية و العرضية و هذه المكاشفات و

المشاهدات لا تحصل إلا

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۱۰۹

برياضات و مجاهدات في خلوات مع توحش شديد عن صحبة الخلق و انقطاع عن أعراض الدنيا و شهواتها الباطلة و ترفعاتها الوهمية و أمانيها الكاذبة و أكثر كلمات هذا الفيلسوف الأعظم مما يدل على قوة كشفه و نور باطنه و قرب منزلته عند الله و أنه من الأولياء الكاملين و لعل اشتغاله بأمور الدنيا و تدبير الخلق و إصلاح العباد و تعمير البلاد كان عقيب تلك الرياضات و المجاهدات و بعد أن كملت نفسه و تمت ذاته و صار في كمال ذاته بحيث لم يشغله شأن عن شأن فأراد الجمع بين الرئاستين و تكميل النشأتين.

فاشتغل بتعليم الخلق و تهذيبهم و إرشادهم سبيل الرشاد تقربا إلى رب العباد.

و أما الشيخ صاحب الشفاء فلم يكن اشتغاله بأمور الدنيا على هذا المنهاج- و العجب أنه كلما انتهى بحثه إلى تحقيق الهويات الوجودية دون الأمور العامة و الأحكام الشاملة تبلد ذهنه و ظهر منه العجز و ذلك في كثير من المواضع.

منها منعه الحركة في مقولة الجوهر فإنه زعم أنها توجب خروج الموضوع عن ماهية إلى ماهية أخرى فلو تحرك زيد مثلا في إنسانيته لزم عنده خروجه من الإنسانية إلى نوع آخر مع أنه لا بد في الحركة من بقاء الموضوع و ذلك لذهوله عن أحوال الوجودات و أن لماهية واحدة قد يكون أنحاء متفاوتة من الوجود بعضها أتم من بعض- بل يجوز أن يكون لشخص واحد أنحاء و أطوار كثيرة من الوجود نعم لو كان الوجود كما زعمه جمهور المتأخرين أمرا انتزاعيا كان الأمر كما زعمه و ليس كذلك كما علمت.

و منها إنكاره للصور المفارقة الأفلاطونية و قد سبق تحقيقها في مباحث الماهية.

و منها إنكاره لاتحاد العاقل بالمعقول و كذا اتحاد النفس بالعقل الفعال و قد مر إثباتهما في مباحث العقل و المعقول.

و منها تبلد ذهنه من تجويز عشق الهيولى للصورة و قد أثبتناه.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۱۱۰

و منها إنكاره تبدل صور العناصر إلى صورة واحدة معتدلة الكيفية و قد علمت في مبحث المزاج بيانه.

و منها عجزه عن إثبات حشر الأجساد و سيأتي بيانه.

و منها رسوخ اعتقاده في تسرمد الأفلاك و الكواكب و أزليتها بأشخاصها مع صورها و موادها و مقاديرها و أشكالها و ألوانها و أنوارها كل منها بحسب الشخص إلا الحركات و الأوضاع فإنها قديمة عنده بالنوع و كذا هيولى العنصريات و قد مر بيان حدوثها بالبراهين.

و منها أنه سأله بهمنيار في بعض أسئلته ما السبب في أن بعض قوى النفس مدركة- و بعضها غير مدركة مع أن الجميع قوى لذات واحدة فقال في الجواب أني لست احصل هذا و ذلك لأنه لم يحصل بعد الوحدة الجمعية للبسائط المجردة و قد مر في مباحث النفس أنها العاقلة و المتخيلة و الحاسة و المحركة.

و منها أيضا سأله قائلا لو أنعم بشيء ثابت في سائر الحيوان و النبات كانت

الحكمة المتعالية فی الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۱۱

المنة أعظم فقال لو قدرت.

و منها أنه سئل هل يشعر الحيوانات الأخر سوى الإنسان بذواتها و ما البرهان عليه إن كان كذلك فقال يحتاج أن أتفكر في ذلك و لعلها لا تشعر إلا بما تحس أو تتخيل و لا تشعر بذواتها أو لعلها تشعر بذواتها بآلات أو لعل هناك شعورا ما يشترك من بين الأظلال يجب أن يفكر في هذا هذا كلامه في هذا المقام و قد علمت فيما سبق من طريقتنا أن نفوس الحيوانات التي لها قوة التخيل بالفعل ليست مادية فهي مدركة لذواتها على الوجه الجزئي لأن ذواتها لها ليست لغيرها و كلما كان وجوده له لا لغيره فهو مدرك لذاته كما مر في مباحث العلم و لا يلزم من ذلك كونها جواهر عقلية إذ التجرد عن المادة أعم من العقلية و العام لا يوجب الخاص و يقرب من ذلك أنه سئل إن جاز أن تدرك قوة جسمانية أن هذا الذئب مهروب عنه و أن هذا الشيء مخوف منه فجاز أن تدرك المعاني المعقولة لأن هذه أيضا معان لا يجوز أن تحل جسما إذ لا مقدار لها و الذي يمنع إدراك المعقولات بآلة جسمانية هو أنها ليست ذوات مقدار و صورة الخوف و الأذى كلها لا مقدار لها فأجاب عنه بأنه من يقول هذا

الحكمة المتعالية فی الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۱۲

الخوف و الهرب كلها معان جسمانية يحتاج إلى ضرب من التجريد حتى تصير عقلية- و هذا جواب غير نافع و كلام مجمل فإن أصل الإشكال بأن الخوف و الهرب و الشهوة و الغضب و المحبة و ما يجري مجراها كلها من قبيل المعاني الغير القابلة للقسمة- و ليست من قبيل الأمور ذوات الأوضاع و الأشكال و المقادير و الأطراف فكيف تحل في الجسم و هي لا تقبل الوضع و الانقسام لا بالذات و لا بالعرض كالسواد و الطعم و الرائحة و حكمها قبل التجريد حكم كثير من الأشياء بعد التجريد فالحق في الجواب أن يقال مدرك هذه المعاني الوحدانية لا بد أن يكون قوة حيوانية غير حالة في الأجسام و لا يلزم أن يكون عقلية كما مر

و منها أنه سئل أن ما قيل

إن الصور الكلية إذا حصلت لشيء صار ذلك الشيء بها عقلا أمر عجيب فإن الشيء إنما يصير عقلا بأن يتجرد غاية التجرد و كيف يدخل على شيء غير مجرد ما يجرده فإن قوله يصير به الشيء عقلا معناه يصير به الشيء مجردا فأجاب بأن معنى صار ليس أنه صار حينئذ بل معناه أنه دل على كونه كذلك- و هذه كلمة يستعمل مجازا.

أقول إنما ارتكب الشيخ هذا التجوز البعيد لأن النفس الإنسانية عنده مجرد عقلي من أول الفطرة حين حدوثها في الشهر الرابع للجنين و ليست كذلك كما سبق بل إنها في أوائل الأمر خيال بالفعل عقل بالقوة ثم يصير بتكرر الإدراكات و انتزاع

الحكمة المتعالية فی الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۱۳

المعقولات من المحسوسات و الكليات من الجزئيات صائرة من حدود العقل بالقوة إلى حد العقل بالفعل فتتحول و تنتقل ذاتها في هذه الاستحالة الجوهرية من القوة الخيالية إلى القوة العقلية ثم لا يخفى أن الكلمات المنقولة من القدماء الناصة في هذا الباب كثيرة لا تقبل التأويل و لا يمكن حملها على المجازات.

و منها أنه قال في مراسلة

وقعت بينه و بين بعض تلامذته و قد سأله عن أشياء- أني قد تأملت هذه المسألة فاستجدتها و أجبت عن بعضها بالمقنع و عن بعضها بالإشارة- و لعلي عجزت عن جواب بعضها أما الشيء الثابت في الحيوان و لعله أقرب إلى درك البيان و لي في الأصول المشرقية خوض عظيم في التشكيك ثم في الكشف و أما في النبات فالبيان أصعب و إذا لم يكن ثابتا كان تميزه ليس بالنوع فيكون بالعدد ثم كيف يكون بالعدد إذا كان استمراره في مقابلة الثبات غير متناه القسمة بالقوة و ليس قطع أولى من قطع فكيف يكون عدد غير متناه متجددا في زمان محصور فلعل العنصر هو الثابت ثم كيف يكون العنصر ثابتا و ليس الكم يتجدد على عنصر واحد بل يرد على عنصر بالتغذية فلعل الصورة الواحدة يكون لها أن تكسبها و تلبسها مادة و أكثر منها و كيف يصح هذا و الصورة الواحدة معينة لمادة واحدة و لعل الصورة الواحدة محفوظة في مادة واحدة أولى تثبت إلى آخر مدة بقاء الشخص و كيف يكون هذا

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۱۴

و أجزاء النامي يتزايد على السواء فتصير كل واحدة من المتشابهة الأجزاء أكثر مما كان- و القوة سارية في الجميع ليست قوة البعض أولى بأن تكون الصورة الأصلية دون قوة البعض الآخر فلعل قوة السابق وجودا هو الأصل و المحفوظ لكن نسبتها إلى السابق كنسبة الأخرى إلى اللاحق فلعل النبات الواحد بالظن ليس واحدا بالعدد في الحقيقة بل كل جزء ورد دفعة هو آخر بالشخص متصل بالأول أو لعل الأول هو الأصل يفيض منه الثاني شبيها له فإذا بطل الأصل بطل ذلك من غير انعكاس و لعل هذا يصح في الحيوان أو أكثر الحيوان و لا يصح في النبات لأنها لا تنقسم إلى أجزاء كل واحد منه قد يستقل في نفسه أو لعل للحيوان أو النبات أصلا غير مخالط لكن هذا مخالط لكن هذا مخالف للرأي الذي يظهر منا أو لعل المتشابه في الحس غير متشابه في الحقيقة أو لعل النبات لا واحد فيه بالشخص مطلقا إلا زمان الوقوف الذي لا بد منه- فهذه أشراك و حبائل إذا حام حواليها العقل و فرع إليها و نظر في أعطافها رجوت أن يجد من عند الله مخلصا إلى جانب الحق انتهت عبارته.

أقول قد ظهر من هذه الترديدات أنه كان عاجزا من تصحيح الحركة الكمية في النبات بل في الحيوان أيضا بناء على عجزه عن إثبات أمر ثابت فيهما يكون موضع هذه الحركة لأن النفس لهما حالة عنده في مادتهما الجسمانية و الجسم إذا تبدل بالزيادة أو النقصان يتبدل بتبدله كل ما يحل فيه و أنت قد وقفت على تحقيق ذلك فيما سبق و العجب أنه قد جرى الحق على لسانه في جملة هذه الاحتمالات و الشقوق الفاسدة و لم يثبت فيه على الترديد و هو قوله أو لعل للحيوان أو النبات أصلا غير مخالط و لم يعلم أن هذا هو الرأي المحقق الذي لا يعتريه شك و لا ريب أما الحيوان

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۱۵

فلما ظهر بالبراهين القطعية أن له نفسا غير مخالطة بجسمه و أما النبات فلما مر من أن القوة المتجددة في الأمور الطبيعية متصلة بما فوقها من قوة ثابتة غير متجددة- و قد سبق أيضا أن المادة المقدارية داخلة في هوية ما له صورة طبيعة كاملة على سبيل الإبهام فلا يقدح تبدلها في استمرار هوية شخصية.

و منها أنه لما لم يظفر بإثبات تجرد القوة الخيالية للإنسان

صار متحيرا في بقاء النفوس الساذجة الإنسانية بعد البدن فاضطر تارة إلى القول ببطلانها كما في بعض رسائله المسمى بالمجالس السبعة على أنه معترف بأن الجوهر الغير الجرمي لا يبطل ببطلان الجسد و تارة إلى القول بأنها باقية من جهة إدراكها ببعض الأوليات و العمومات- و كل من له قدم راسخ في الفلسفة يعلم أن النشأة الآخرة نشأة إدراكية علمية و النفوس العقلية قوامها بإدراك العقليات و الشيء لا يمكن أن يوجد بالمعنى العام ما لم يتعين و لم يتذوت و أي سعادة للنفس في إدراك الشيء و الممكن العام أو الخاص أو بإدراك أن الكل أكثر من جزئه أو بأن المساوي للمساوي مساو و ما يجري مجرى هذه و كما أن في هذا العالم لا يمكن وجود أمر بمجرد كونه جوهرا مطلقا أو كيفا مطلقا ما لم يتحصل نوعا مخصوصا له صورة مخصوصة فكذا لا يوجد شيء في العالم العقلي- بأن يكون أحد موجودات ذلك العالم بمجرد كونه شيئا ما أو ممكنا ما أو جوهرا ما

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۱۶

لم يصر ذاتا عقلية مخصوصة

و منها أنه زعم أن النفوس الفلكية

لم يبق لها كمال منتظر إلا في أسهل غرض و أيسر عرض و هي النسب الوضعية لأجسادها و هذا عند البصير المحقق رأي سخيف و اعتقاد فاسد فإن النفس ما دام وجودها النفسي ناقصة الذات غير تامة الهوية مفتقرة إلى الجسم ليصير آلة لها في تحصيل كمالها الوجودي متشبثة به لضعف وجودها و لتتهيأ باستعمالها و تحريكها إياه للخروج من القوة إلى الفعل في تجوهرها لا في أمر خارج عن تجوهرها و وجودها غاية الخروج كالإضافات و كيف يسوغ عند العارف البصير أن ينحبس جوهر عقلي بعلاقة جرمية مهاجرا عن عالم النوري إلى عالم الظلمات لأجل تحصيل إضافات و نسب وضعية مع أن عندهم أن العالي لا يلتفت إلى السافل.

و منها أنه ذهب إلى امتناع الاستحالة الجوهرية

و مع ذلك اعترف بأن النفس إذا استكملت و تجردت عن البدن تصير عقلا و سقط عنها اسم النفس و لم يعرف أن نفسية النفس ليست إضافة زائدة على وجودها كالملك و الربان حتى إذا زالت عنها الإضافة بقي وجودها كما كان بل نفسية النفس أنما هي نحو وجودها و إذا اشتدت في

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۱۷

وجودها و كملت ذاتا عقلية صار وجودها وجودا آخر و هذا بعينه استحالة ذاتية و انقلاب جوهري و قد أنكرها.

و منها أنه لم يعرف معنى العقل البسيط

و لم يحصل مفاده على الوجه الذي مر بيانه بل زعم أنه عبارة عن إدراك المعقولات دفعة بلا ترتب زماني بل بترتب علي و معلولي و بأن يعلم العاقل من ذاته صورة بعد صورة دفعة بلا زمان قال في التعليقات العقل البسيط هو أن يعقل المعقولات على ما هي عليه من مراتبها و عللها دفعة واحدة بلا انتقال في المعقولات من بعضها إلى بعض كالحال في النفس بأن تكتسب علم بعضها من بعض بل بأنه يعقل كل شيء و يعقل أسبابه حاضرة معه فإذا قيل للأول عقل قيل على هذا المعنى البسيط إنه يعقل الأشياء بعللها و أسبابها حاضرة معها من ذاته بأن يكون صدور الأشياء عنه إذ له عليها

إضافة المبدإ لا بأن يكون تلك فيه حتى يكون صور الأشياء المعقولة في ذاته و كأنها أجزاء ذاته بل يفيض عنه صورها معقولة و هو أولى بأن يكون عقلا من تلك الصور الفائضه عن عقليته و المعقولات البسيطة هي أن يكون كلها على ما هي عليه من ترتب بعضها على بعض و علية بعضها لبعض حاصلة له دفعة

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۱۸

واحدة على أنها صادرة عنه إذ هو مبدأ لها و المثال في ذلك كما تقرأ كتابا فتسأل عن علم مضمونه فيقال لك هل تعرف ما في الكتاب تقول نعم إذ كنت تتيقن أنك تعلم و يمكنك تأديته على تفصيل و العقل البسيط هو المتصور بهذه الصور و ليس في العقول الإنسانية عقل على هذا المثال و يكون متصورا بصور المعقولات جملة دفعة واحدة اللهم إلا أن يكون نبيا و العلم العقلي هو بلا تفصيل زماني و النفساني هو بالتفصيل انتهى كلامه- و لقد كرر الكلام في كتاب التعليقات في بيان العقل البسيط و أكثر ذكر ذلك إلا أنه لم يزد في الفرق بينه و بين العلم النفساني إلا بأن المعقولات هاهنا مترتب بترتيب زماني و هناك مترتب ترتيبا سببيا و مسببيا و أن العاقل لها هاهنا مبدأ قابلي- و هناك مبدأ فاعلي و لم يتيسر له حقيقة معناه و أنه كل المعقولات مع بساطته كما مر و فوت معنى البساطة لأن ذلك مدرك عزيز المنال و مرتقى صعب شريف المثال و الله ولي الفضل و الإفضال و بيده مفتاح الآمال.

و منها أنه أبطل و أحال كون الصورة الجوهرية المفارقة علوما تفصيلية

للواجب تعالى بالأشياء بناء على زعمه أنها أمور منفصلة عنه تعالى مباينة الذوات لذاته- فكيف يكون لوازم الأول تعالى فإذا لم يكن من اللوازم كان صدورها عنه مسبوقا بصور أخرى فيتسلسل و يتضاعف الصور إلى غير نهاية فجعل علمه تعالى أعراضا حالة في ذاته معتذرا بأن ذاته لا تنفعل منها و لا تستكمل بها.

و قد علمت فساد ما زعمه و أن الصور العقلية الجوهرية ليست منفصلة الذوات عن

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۱۹

ذاته كما مر مستقصى فهذه و أمثالها من الزلات و القصورات إنما نشأت من الذهول عن حقيقة الوجود و أحكامها و أحكام الهويات الوجودية و صرف الوقت في علوم غير ضرورية كاللغة و دقائق الحساب و فن أرثماطيقى و موسيقى و تفاصيل المعالجات في الطب و ذكر الأدوية المفردة و المعاجين و أحوال الدرياقات و السموم و المراهم و المسهلات و معالجة القروح و الجراحات و غير ذلك من العلوم الجزوية- التي خلق الله لكل منها أهلا و ليس للرجل الإلهي أن يخوض في غمرتها- و لهذا لما سئل سقراط عن سبب إعراضه عن العلوم التعليمية قال إني كنت مشتغلا بأشرف العلوم يعني به العلم الإلهي و بالجملة رأس الأمر و سنامه لمن أعطاه الله فطرة صافية و طبعا لطيفا و ذكاء شديدا و فهما ثاقبا و استعدادا بالغا أن لا يشتغل بأمور الدنيا و طلب الجاه و الرفعة بل يكون معرضا عن الخلق طالبا للخلوة آنسا بالله آيسا عن غيره مع حضور القلب و اجتماع الهمة و صرف الفكر في الأمور الإلهية بعد أن حصل له قبل ذلك شطر من العلوم الأدبية و المنطقية و الطبيعية و الخلقية مما لا بد فيه للسالكين إلى الله تعالى على طريق الاكتساب العلمي دون المجذوبين إليه تعالى في أول الأمر بجذبة ربانية توازي عمل الثقلين و أما بدون أحد الأمرين المذكورين فكيف يتيسر الوصول إلى مرتبة الكشف العلمي و الشهود القلبي في المعارف الإلهية و أحوال المبدأ و المعاد و معرفة النفس و

مقاماتها و معارجها إلى الله تعالى مع الاشتغال بأمور الدنيا و علائقها و حبائلها.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۲۰

قال الشيخ في بعض مراسلاته إلى تلميذ التمس منه إعادة تصنيف ضاع منه في بعض الأسفار ثم من هذا المعيد و من هذا المتفرع من الباطل للحق و عن الدنيا للآخرة و عن الفضول للفضل فقد أنشب القدر في مخاليب الغير فما أدرى كيف أتخلص لقد دفعت إلي أعمال لست من رجالها و قد انسلخت من العلم فإنما ألحظه من وراء سجف ثخين مع شكري لله تعالى فإنه على الأحوال المختلفة و الأهوال المتضاعفة و الأسفار المتداخلة لا يخليني عن وميض يحيي قلبي و يثبت قدمي إياه أحمده على ما ينفع و يضر و يسوء و يسر انتهى أقول فرضنا أن هذه الشواغل العائقة وقعت له على سبيل الجبر و الاضطرار من غير إرادة منه و اختيار فمن الذي صنف في العلوم الجزئية التي هي من قبيل الصناعات و الحرف مجلدات أ ليس الاشتغال الشديد بها و الخوض في غمراتها حجابا عن ملاحظة الحق عائقا من ملازمته و العكوف على بابه و الاستجلاب لأنوار علمه و مزيد إحسانه

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۲۱

الباب العاشر في تحقيق المعاد الروحاني و الإشارة إلى السعادة العقلية و الشقاوة

التي بإزائها و إلى السعادة و الشقاوة الغير الحقيقيتين و ما قيل في بيانهما و فيه فصول

فصل (۱) في ماهية السعادة الحقيقية

اعلم أن الوجود هو الخير و السعادة و الشعور بالوجود أيضا خير و سعادة- لكن الوجودات متفاضلة متفاوتة بالكمال و النقص فكلما كان الوجود أتم كان خلوصه عن العدم أكثر و السعادة فيه أوفر و كلما كان أنقص كان مخالطته بالشر و الشقاوة أكثر و أكمل الوجودات و أشرفها هو الحق الأول و يليه المفارقات العقلية و بعدها النفوس و أدون الموجودات هي الهيولى الأولى و الزمان و الحركة ثم الصور الجسمية

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۲۲

ثم الطبائع ثم النفوس وجود كل شيء لذيذ عنده و لو حصل له وجود سببه و مقومه له لكان ألذ لأنه وجوده فيكون كمال لذته بإدراكه و حيث كانت الوجودات متفاوتة- فالسعادات التي هي إدراكاتها تكون متفاضلة أيضا و كما أن وجود القوى العقلية- أشرف من وجود القوى الحيوانية الشهوية و الغضبية التي هي نفوس البهائم و السباع- و غيرهما من الحيوانات فسعادتها أجل و لذتها و عشقها أتم فنفوسنا إذا استكملت و قويت و بطلت علاقتها بالبدن و رجعت إلى ذاتها الحقيقية و ذات مبدعها تكون لها من البهجة و السعادة ما لا يمكن أن يوصف أو يقاس به اللذات الحسية و ذلك لأن أسباب هذه اللذة أقوى و أتم و أكثر و ألزم للذات المبتهجة أما أنها أقوى فلأن أسباب اللذة هي الإدراك و المدرك و المدرك و قوة الإدراك بقوة المدرك و القوة العقلية أقوى من القوى الحسية و مدركاتها أقوى فلا جرم هي محصلة لحقيقة الشيء المدرك الملائم و نائلة للبهاء المحض و الخير الصرف و الوجود الذي هو أصل كل موجود و فياض كل خير و نظام و كذلك ما بعده من الجواهر العقلية التي هي معشوقات بذواتها سواء عشقها غيرها أم لم يعشق و أما

المشتهيات الحسية فإدراكها بالقوى الضعيفة الوجود الناقصة الأكوان و هو يتعلق بالظواهر و الأطراف غير متوغل إلى حقيقة الشيء الملائم و المدركات هي من باب المأكولات و الملموسات و الروائح و الألوان و ما أشبهها و أما أنها أكثر فإن مدركات القوة العقلية هي كل الأشياء- و مدركات القوى الحسية هي بعضها و هو المحسوسات فقط دون المعقولات.

و أيضا ليس كل المحسوسات ملائما لذيذا للحس بل بعضها ملائم له و بعضها مناف بخلاف العقل فإن كل معقول ملائم له و به كمال ذاته و ذلك لأن الحسيات يقع فيها التضاد و المنافرة لقصور وجوداتها و قبولها النقص و الآفة و أما العقليات فلها الفسحة و السعة في الوجود من غير تزاحم و تضايق و أما أنها ألزم للذات فإن الصور

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۲۳

العقلية إذا عقلها العقل يستكمل بها و يصير ذاته ذاتها كما علمت بل كان بعضها قبل أن يقع الشعور به مقوما لذات العقل و كان غافلا عنه لاشتغاله بغيره فإذا استشعر و تنبه- يرى ذلك البهاء و الجمال في ذاته فصار مبتهجا بذاته غاية البهجة كما قال معلم الأول فصرت داخلا في ذاتي خارجا عن سائر الأشياء فأدى في ذاتي من الحسن و البهاء و السناء- ما تكل الألسن عن وصفه فوصول سبب الالتذاذ إلى هذا المستلذ العقلي أشد و أوغل إذ لا أوصل إلى الشيء من ذاته إلى ذاته و هذه اللذة شبيهة بالبهجة التي للمبدإ الأول بذاته و بلذات المقربين بذواتهم و ذات مبدئهم و معلوم أن لذة الملائكة الروحانيين- بإدراكاتهم النورية فوق لذة الحمار بإدراك صورة الجماع و القضيم و نحن لا نشتهي تلك اللذات ما دمنا متعلقين بهذه الأبدان بالوجدان بل نعلمها من جهة الاستدلال و البرهان- إذ لا نتصور من ذوات المعشوقات العقلية إلا بحسب مفهومات كلية ذهنية صادقة عليها- و مفهوم الشيء و ماهيته و معناه غير حقيقة وجوده و هويته العينية فإن مفهوم الحلاوة ليس حلوا و ماهية السلطنة ليست سلطانا إلا أن البرهان و العقل يدعوان إلى وجود المستلذات العقلية و معرفة العقليات في النشأة الأولى منشأ الحضور في العقبى لما مر أن المعرفة بذر المشاهدة و ذلك لأن الحجاب بيننا و بين العقليات إما عدم التفطن لها و هو الجهل و إما الاشتغال بغيرها كالبدن و المواد الحسية و قواها المنطبعة فالنفس إنما تتوصل إليها باكتساب العلم بحقائقها حتى تصير قوتها العقلية مستعدة بالطبع تهيؤا قريبا- لقبول صورها العقلية من المبدإ المفارق فإذا زال المانع الخارجي بالموت إذ ليس بعد المفارقة عن البدن لصاحب المعرفة إعراض عن تلك الجهة إلى جانب البدن و شواغله

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۲۴

فيكون مجرد المعرفة باللذيذ العقلي سبب الوصول إليه و الالتذاذ به عند رفع المانع و هو الاشتغال بالبدن و قد انقطع بالموت و هذا بخلاف الشعور بالمحسوسات اللذيذة فإنه غير كاف للوصول إليها و الإحساس بها لإمكان الحجب الجسمانية بين الحواس و محسوساتها اللذيذة و السبب فيه ضيق وجودها و ضعف حصولها و فقد بعض أجزائها عن بعض و غيبته عنه فلا حضور للجسم عند نفسه و لا عند شيء آخر فكذا الجسماني القائم به من الصفات و الأعراض و لهذا ليس للأجسام بما هي أجسام حياة و لا شعور و أما الأجسام الحية فليس كونها جسما هو كونها حية إنما الحياة لها بسبب كون آخر يطرأ عليها بسبب حي بالذات هو نفسها الحيوانية و لو كان وجود الجسم حياة له كان وجود كل جسم

حیاة له و لیس کذلك و أما ما لیس بجسم و إن کان ذا تعلق به فلیس یمتنع بأن یکون وجوده بعینه حیاته کالواجب تعالى و العقول و النفوس الفلکیة- و الإنسانیة و الحیوانیة و لیست الحیاة ما به یکون الشيء حیا غیر نفس وجوده فإنه من المستحیل أن یصیر الشيء بهذا الوجود ذا هذا الوجود بل حیاة الشيء حییته کما هو طریقتنا في باب الوجود و کذا المضاف و الأین و الاتصال في الصورة الجسمیة- و النفسیة في النفس و النوریة في المفارقات و التقدم و التأخر الزمانیتین في الأکوان المتجددة.

و الغرض من إیراد هذا الکلام هاهنا أن یعلم أن الوجود الجسماني یصحبها الموت و الغفلة و الهجران و الفوت سواء کان هذا الوجود من طرف المدرك المشتاق أو في طرف المشتاق إلیه لما فیه من قلة الحضور و الوجدان و بقدر تعلق الشيء سواء کان مدرکا أو مدرکا کان الحضور أقل و الإدراك أنقص حتى أن شعورنا بذواتنا حین فارقنا البدن کان أشد لأن حضورنا لنا أتم و أوکد و أکثر الخلق لاستغراقهم بأبدانهم المادیة و شواغلها نسوا أنفسهم کما قال تعالى **نَسُوا اللهَ فَأَنْساهُمْ أَنْفُسَهُمْ** و ذلك لأنهم لا یشعرون بذواتهم مع هذه العلاقة الشدیدة إلا مخلوطا بالشعور بأبدانهم لأن

الحکمة المتعالیة فی الاسفار العقلیة الاربعة، ج۹، ص ۱۲۵

اتصال النفس بالبدن و ارتباطها به کاتصال النور بالظل و الشعلة بالدخان و الشخص بالعکس إذا قابلته مرآة لأنا لا نعقل شیئا و نحن بدنیون إلا و التعقل منا یشوب بالتخیل- فإذا انقطعت العلاقة بین النفس و البدن و زال هذا الشوب صارت المعقولات مشاهدة- و الشعور بها حضورا و العلم عینا و الإدراك رؤیة عقلیة فکان الالتذاذ بحیاتنا العقلیة أتم و أفضل من کل خیر و سعادة و قد عرفت أن اللذیذ بالحقیقة هو الوجود و خصوصا الوجود العقلي لخلوصه عن شوب العدم و خصوصا المعشوق الحقیقي و الکمال الأتم الواجبي لأنه حقیقة الوجود المتضمنة لجمیع الجهات الوجودیة فالالتذاذ به هو أفضل اللذات و أفضل الراحات بل هي الراحة التي لا ألم معها

فصل (۳) في کیفیة حصول هذه السعادة و منشإ احتجاب النفس عنها ما دامت في هذا العالم

اعلم أن النفس إنما تصل إلى هذه البهجة و السعادة بمزاولة أعمال و أفعال مطهرة

للنفس مزیلة لکدوراتها و مهذبة لمرآة القلب عن أرجاسها و أدناسها و بمباشرة حرکات فکریة و أنظار علمیة محصلة لصور الأشیاء و لماهیاتها فإذا استکملت بحصول معرفة الأشیاء في ذاتها و خرجت ذاتها من القوة العقلیة الهیولانیة إلى العقل بالفعل انقطعت حاجتها عن فعل الحواس و استعمال البدن و قواه و لکن لا یزال یحاذیها البدن و القوى- و یشغلها و یمنعها عن تمام الاتصال و روح الوصال فإذا انحط عنه شغل البدن

الحکمة المتعالیة فی الاسفار العقلیة الاربعة، ج۹، ص ۱۲۶

و وساوس الوهم و دعابة المتخیلة ارتفع الحجاب و زال المانع الخارجي و دام الاتصال لأن النفس باقیة و المبدأ الفعال باق و الفیض من جهته مبذول و النفس متهیأة- و الحجابان أعني الداخلي و الخارجي مرتفعان أما الداخلي و هو قصور النفس و هیولانیتها و وغولها في البدن و اتحادها به فبخروجها من القوة إلى الفعل و صیرورتها راجعة إلى ذاتها العقلیة و تمیزها عن البدن و قواه غایة التمیز و أما الخارجي و هو البدن و حواسه کغلاف فیه مرآة مصیقلة فبخروجها عن غلاف البدن بالموت فإن البدن و الحواس و إن احتیج إلیها في ابتداء الأمر لیحصل بواسطتها الخیالات الصحیحة حتى

تستنبط النفس من الخيالات المعاني المجردة و تتفطن بها و تتنبه إلى عالمها و مبدئها و معادها إذ لا يمكن لها في ابتداء النشأة التفطن بالمعارف إلا بواسطة الحواس و لهذا قيل من فقد حسا فقد علما فالحاسة نافعة في الابتداء عائقة في الانتهاء كالشبكة للصيد و الدابة المركوبة للوصول إلى المقصد ثم عند الوصول يصير عين ما كان شرطا- و معينا شاغلا و وبالا.

و اعلم أن سعادة كل قوة بنيل ما هو مقتضى ذاتها

من غير عائق و حصول كمالها من غير آفة و لا شك أن كمال كل ما هو من باب نوعه و جنسه فكمال الشهوة هو حصول مشتهاها و كمال القوة الغضبية هو الغلبة و الانتقام و كمال الوهم و سعادته هو الرجاء و التمني و لكل حاسة الإحساس بالكيفية المحسوسة التي هي من نوعه- فللمس إدراك الكيفية المزاجية المعتدلة المتوسطة بين أوائل الكيفيات الأربع اعتدالا و توسطا قريبا من اعتدال اللامسة و توسطها و للذوق إدراك الطعوم المناسبة لمزاج الآلة و البدن كالحلاوات و الدسومات و غيرها و للشم الروائح الطيبة و للبصر الأنوار و الألوان و للسمع الأصوات المؤتلفة و النغمات المطربة و للخيال تصور المستحسنات و هي إما مثل المحسوسات المرتفعة إلى الخيال أو حكايات المعقولات

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۲۷

المتنزلة إليه و للنفس بحسب ذاتها العقلية الوصول إلى العقليات الصرفة و صيرورتها موضوعة- للصور الإلهية و نظام الوجود و هيئة الكل من لدن الحق الأول إلى أدنى الوجود.

و أما كمال النفس و سعادتها بحسب مشاركة البدن و وقوعها في هذا العالم- و دار البدن فبحصول العدالة بصدور أفعال سائقه إليها محصلة إياها و هي أن تتوسط بين الأخلاق المتضادة فيما تشتهي و لا تشتهي و تغضب و لا تغضب لئلا تنفعل عن البدن و قواه فإن المتوسط بين الأضداد بمنزلة الخالي عنها فإن الخلو المحض و البراءة الصرفة عن آثار هذه القوى غير ممكنة للنفس ما دامت في هذا الكون الدنياوي لكن التوسط بينها بمنزلة الخلوص عنها حتى لا تنفعل عنها و لا تذعنها- بل تحصل لها هيئة استعلائية على القوى فتخدمها و تأتمر بأمرها و تنزجر بزجرها- و تطيعها في جميع ما تأتي و تذر و تأتمر و تنزجر فإن إذعان النفس للبدن و قواه- و انفعالها عنها من موجبات شقاوتها و الحرمان عن سعادتها فإن ارتباط الذي بين النفس و البدن يوجب أولا انفعال كل منهما عن صاحبه فتارة تحمل على البدن فتقهره تأييدا من الله و ملكوته و تارة تسلم للبدن و تنقهر عن قواه بإغواء الشيطان- بوساطة تلبيس الوهم و تزيينه المشتهيات الحيوانية فإذا تكرر تسليمها له انفعلت عنه انفعالا قويا و حدثت فيها هيئة انقيادية و عادة ردية حتى أنه يعسر عليها بعد ذلك ما كان لا يعسر قبل ذلك من دفع مفاسده و كف أذاه و إذا تكرر قمعها له و استعلاؤها عن انقياده حدثت فيها هيئة استعلائية يسهل بها على النفس ما لم يكن يسهل من قبل- و هذه القوة الاستعلائية أنما تحصل بأن تفعل الأفعال التي لا بد لها من فعلها ما دامت في البدن على وجه التوسط الخالي عن الإفراط و التفريط كما أن هيئة الخضوع و الدناءه أنما تحصل بوقوع الأفعال منها في الأطراف كالغلو و التقصير فإن الأطراف مؤثرات و الأوساط بخلافها فإنها في حكم اللامؤثر فأفعال التوسط بمنزلة ترك

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۲۸

الأفعال البدنية و عدم الالتفات إليها كما أن الفاتر من الماء لا حار و لا بارد و هيئة الاستعلاء و الرفع ليست غريبة عن طبع النفس بل الملائم لطبعها هو التجرد و التفرد بذاتها و الهيئة الإذعانية كأنها غريبة عن ذاتها العقلية مستفادة من المادة التي تعلقت بها فسعادة النفس و كمالها هو الوجود الاستقلالي المجرد و التصور للمعقولات و العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليها و مشاهدة الأمور العقلية و الذوات النورانية و لا تقاس هذه اللذات إلى ما يناله الحس من اللذات المكدرة و المشتهيات الجرمية الداثرة- و المرغوبات الكثيفة الزائلة و سبب خلونا و عدم وجداننا لذة العلوم و المعارف التي قد حصلناها و نحن في شغل البدن هو مثل التخدير الحاصل لقوة الذوق بواسطة مرض بوليموس فيعوقها عن نيل لذة الطعوم و الحلاوات الموجودة عندها فلو فرض حصول المعارف العقلية التي هي مقتضى طباع القوة العقلية و خاصيتها و النفس غير مستغرقة في شغل البدن و لا مشتغلة بما تورده الحواس لكانت لذة النفس بها لذة لا يدرك الوصف كنهها فإنما لا يشتد الشوق و الابتهاج من العرفاء بمعارفهم في هذا الآن لعدم الذوق و الوجدان التام فإن اللذيذ هو وجود الملائم الخارجي لا مفهومه أو وجوده الذهني- و إنما الحاصل عند النفس هاهنا من المعلومات العقلية هو نحو وجودها الضعيف الذهني- و إنما ضعف وجودها الذي للنفس لضعف إدراك النفس لها إما لغمورها في البدن و إما لضعف تحصيل النفس إياها كما يكون بطريق الظن و القياس الغير المنتج لليقين- و إلا فهي قوية الوجود شديدة الظهور و الوضوح بحسب أنفسها لكن هذه المعرفة الضعيفة من النفس إذا كان ضعفها من جهة البدن لا من ضعف التحصيل و عدم البراهين و الحدود الذاتية تؤدي بعد رفع غشاوة البدن إلى مشاهدة المقربين و مصاحبة القديسين

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۲۹

التي لا سعادة فوق مشاهدتهم فإن المعرفة التامة في هذه الدنيا بذر المشاهدة التامة في الآخرة كما مر فهذه اللذة العقلية لنفس كملت في هذا العالم فإن كانت منفكة عن العلوم الحقيقية منزهة عن الرذائل الخلقية ليكون مصروف الهم إلى المتخيلات فلا يبعد أن يتخيل الصور الملذة الموعودة فينجر إلى مشاهدتها بعد رفع البدن كما في النوم الذي هو ضرب من الموت لأنه عبارة عن ترك استعمال بعض قواها المحركة و الحساسة- فيتمثل لها ما وصف في الجنة من المحسوسات و هذه جنة المتوسطين و سعادة الصالحين و أصحاب اليمين و تلك جنة الكاملين المقربين و بالجملة البهجة تابعة للمشاهدة و حيث يخفى قدر المشاهدة يصغر قدر البهجة- فكذلك حالنا في السعادة التي نعرف وجودها و لا نتصورها مشاهدة لكنا نعلم أنها إذا ارتاحت نفسنا في حياتنا الدنيا و آنست لذكر الله و فرحت بذكر صفاته العليا و أفعاله العظمى و كيفية ترتيب الوجود منه تعالى على أليق نظام و أحسن ترتيب على اتساق- و دوام و كمال و تمام فذلك مما يدل دلالة واضحة من جهة المناسبة على أن تنال من

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۳۰

السعادة عند فراغها عن شواغل البدن قدرا يعتد به و خصوصا إذا أحكمت المسائل و أتقنت العلوم و المعارف على أتم وجه و أبلغه كما وقع للراسخين في العلم و أقل المراتب في اكتساب العلم التي يستحق بها الإنسان لهذه السعادة الحقيقة على وجه الظن و التقريب لا على وجه النصوصية و التحديد أن يكتسب هاهنا العلم بالمبدإ الأعلى- و الوجود الذي يليق به و يخصه و يعرف أيضا علمه بجميع الأشياء على وجه- لا يلزم منه انفعال و قدرته على جميع

المقدورات على وجه لا يوجب تغيرا و لا تكثرا في ذاته و يعرف عنايته بالأشياء الخالية عن الالتفات بغيره و عود الغرض إلى ذاته- و يعرف سعة رحمته و جوده و سائر صفاته الحقيقية على وجه لا يزيد شيء منها على ذاته إلا الإضافات فإنها زائدة لكن بشرط أن يعرف أن هذه الإضافات كالقادرية و العالمية و الرازقية و المبدئية و غيرها كلها إضافة واحدة بسيطة في الوجود و إن اختلفت أساميها باختلاف الاعتبارات فكما أن جميع صفاته الحقيقية راجعة إلى الوجود المتأكد فكذلك جميع صفات الإضافية راجعة إلى الموجدية التامة كما سبق و يعرف العقول الفعالة- التي هي كلمات الله التامات التي لا تبيد و لا تنفذ و ملائكته العلمية و يعرف النفوس الكلية التي هي كتبه و ملائكته العملية و يعرف ترتيب النظام في البداية و العود- و أن الوجود مترتب من الأول تعالى إلى العقل و منه إلى النفوس و منها إلى الطبائع- حتى تنتهي إلى المواد و الأجسام ثم يترتب منها صاعدا إلى المعادن ثم النبات ثم

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۳۱

الحيوان و هلم إلى درجة العقل المستفاد فانتهى إلى ما ابتدأ منه و عاد فمن فاز بهذه المعارف فقد فاز فوزا عظيما و ينال من السعادة قدرا جسيما و خلص من الشقاوة التي منشؤها إما الإعراض عن تحصيلها مع المكنة و الاستعداد و الانحراف عن طريق الحكمة مع ملكة الشوق إلى كسب العلوم أو إنكار هذه المعلومات بالجحود و الاستكبار و العناد.

و لكن كلما يزيد على هذا المبلغ كما أو يشتد كيفا كانت سعادته أكمل و أتم فإني اعلم من المشتغلين بهذه الصناعة من كان رسوخه بحيث يعلم من أحوال الوجود أمورا يقصر الأفهام الذكية عن دركها و لم يوجد مثلها في زبر المتقدمين و المتأخرين من الحكماء و العلماء لله الحمد و له الشكر.

ثم إنك قد علمت أن الشرف و السعادة بالحقيقة إنما يحصل للنفس من جهة جزئها النظري الذي هو أصل ذاتها و أما ما يحصل لها بحسب جزئها العملي الذي هو من جهة تعلقها بالبدن و إضافتها و نفسيتها فليس لها بحسبه من الاغتباط إلا السلامة عن المحنة و البلاء و الطهارة عن الشين و الرجس و الصفا عن الكدورة و الرذيلة- و الخلاص عن العقوبة و الجحيم و العذاب الأليم و ذلك بمجرده لا يوجب الشرف الحقيقي و الابتهاج العقلي إلا أن لأهل السلامة كالزهاد و الصلحاء ضربا آخر من السعادة التي تناسبها كما سنعود إلى شرحه

فصل (۳) في الشقاوة التي بإزاء السعادة الحقيقية

اعلم أن هذه الشقاوة لا تكون للنفوس الحيوانية و لا للنفوس الساذجة و لا للنفوس العامية التي لم تحصل فيها بعد ملكة التشوق إلى كسب العلوم العقلية و الكلامية- و لا محبة الترفع و الرئاسة كأكثر أرباب الحرف الدنيوية و العوام و النساء و الصبيان- فإن لهم إذا شقوا نوع آخر من الشقاوة كما أن لهم إذا سعدوا نوع آخر من السعادة- إذ **الأشقياء فريقان.**

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۳۲

فريق حق عليهم الضلالة

و حق عليهم القول في الأزل لأنهم أهل الظلمة و أهل الدنيا و الحجاب الكلي المختوم على قلوبهم فطرة كما قال تعالى **لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ*** و قوله **وَ لَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا**

يَفْقَهُونَ بِهَا الآية.

و الفريق الآخر هم المنافقون

الذين كانوا مستعدين في الأصل قابلين لنور المعرفة بحسب الفطرة و النشأة الأولى و لكن ضلوا عن الطريق و احتجبت قلوبهم بالرين- المستفاد من اكتساب الرذائل بارتكاب المعاصي و مباشرة الأعمال البهيمية و السبعية- و مزاولة المكايد الشيطانية حتى رسخت الهيئات الغاسقة و الملكات المظلمة و ارتكمت على أفئدتهم و انتقشت نفوسهم برسوم سفسطية و صور جهلية و خيالات باطلة و أوهام كاذبة فبقوا شاكين حيارى تائهين منكوسين انتكست وجوههم إلى أقفيتهم و حبطت أعمالهم و بقيت نفوسهم في غصة و عذاب أليم مغلولة مقيدة بسلاسل علائق الهيولى في ظلمات شهوات الدنيا و قد سلبت عنها قوى إدراك هذه الشهوات و آلاتها تلذعها عقارب الهيئات السوأى و حياتها خالدين فيها ما دامت السماوات و الأرض و كانت قد ناداها منادى الحق فتغافلت و غوت و أعرضت و جحدت فحل عليها غضب الحق و قيل فيها **وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى‏ قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي**

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۳۳

أَعْمى‏ وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيراً قالَ كَذلِكَ أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها وَ كَذلِكَ الْيَوْمَ تُنْسى‏ و من أعظم الآلام لهم أنهم عن ربهم لمحجوبون و قد ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون- و أحاطت به خطيئاتهم فهم في الدرك الأسفل من النار متقاعدون فلا شك أن هؤلاء الأشقياء أسوأ حالا من الفريق الأول فالأولى أهل الحجاب و الأخرى أهل العقاب- و في الكتاب الإلهي قد تكررت و تكثرت الإشارة إليهما جميعا و إلى كل منهما منفردا.

منها ما وقع في أوائل البقرة فالإشارة إلى القسم الأول قوله تعالى **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ** إلى قوله **وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ** فهؤلاء لا سبيل إلى خلاصهم من النار- و هم أصحاب النار بالحقيقة كأكثر الكفرة طبعا و قد تأكدت القوة بمزاولة المعاصي و الشهوات كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا إنهم لا يؤمنون و كذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا إنهم أصحاب النار لأنهم سدت عليهم الطريق- و أغلقت عليهم الأبواب إذ القلب أعني القوة العاقلة هو مشعر الإلهي الذي هو محل الإعلام و الإلهام فحجبوا عنه بختمه و الحواس سيما السمع و البصر و هما المشعران- اللذان هما بابان عظيمان من أبواب الفهم و الاعتبار فحرموا عن جدواهما لامتناع نفوذ المعنى فيهما إلى القلب فلا سبيل لهم في الباطن إلى العلوم الحقيقية و لا في الظاهر

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۳۴

إلى العلوم الرسمية كما قال تعالى **وَ لَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ- لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها** الآية فحبسوا في سجون الظلمات فما أعظم عذابهم- و الإشارة إلى القسم الثاني قوله تعالى **وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ** إلى قوله **وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ** و هؤلاء مرضى القلوب متألمو النفوس بالحقد و الحسد و الكبر و النفاق و العداوة و البغضاء و الرعونة و الرياء و هم أهل الكيد و النفاق و الغدر و الخداع و الشقاق و المكر و الحيلة و قد يكون لهم مع ذلك آراء باطلة- و اعتقادات فاسدة و نعوذ بالله إذا حفظوا مع شرارة النفس أقوالا شرعية و علوما

ناموسية- جعلوها من أسباب الترفع و الرئاسة بادعائهم الإيمان بالله و باليوم الآخر و لم يدخل في قلوبهم الإيمان أصلا فهذه الأمراض النفسانية سواء كانت من باب الآراء و العقائد- أم لا كلها مؤلمة للنفوس معذبة للقلوب و لكن الاعتقادات الردية و العلوم الفاسدة- أشد تعذيبا و أكثر إيلاما للنفوس فإنها نيرانات ملتهبة في نفوس معتقديها و حرقات مشتعلة في قلوبهم فإيلامها أشد من إيلام هذه النار الدنيوية كما ذكر الله تعالى بقوله- **نٰارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ إِنَّهٰا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ** لأنها مع كونها في نفسها قبيحة مؤلمة منها ينشأ سائر المعاصي و السيئات الموجبة لتعذب النفوس إلى وقت معلوم فهاتان الشقاوتان كلاهما شقاوة عقلية و سيأتي شرح السعادة و الشقاوة الحسيتين فيما بعد إن شاء الله تعالى.

و الحاصل أن الشقاوة الأخروية إما بحسب ما يحصل لها من الهيئات البدنية- من المعاصي الحسية الشهوية و الغضبية و إما بحسب ما يحصل لها من الهيئات النفسانية كالحسد و الرياء و الجحود للحق و الإنكار للعلوم الحقة الحقيقية فسبب

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۱۳۵

الشقاوة التي تحصل من الجهة الأولى أن هذه الهيئات الانقيادية و الانفعالات الانقهارية للنفس إذا تأكدت يمنعها عن الوصول إلى سعادتها الأخروية و تصدها عن درك النعيم الأخروي و هي مع ذلك تحدث نوعا من الأذى عظيما لفقد المألوفات العادية- و وجود الملكة الشوقية إليها و عدم ما يشغل النفس عن تذكرها فإن هذه الهيئات و إن كانت قبيحة في نفسها مؤلمة لجوهر النفس مضارة لحقيقتها لكن كان إقبال النفس على البدن يشغلها عن الإحساس بفضائحها و قبائحها و مضادتها لجوهر النفس ففي الآخرة إذا زال ذلك الإقبال و الاشتغال فيجب أن تحس بإيلامها و إيذائها كما قال تعالى **فَكَشَفْنٰا عَنْكَ غِطٰاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ** فتأذى النفس عند رفع الحجاب و الموت أذى عظيما و عذابا شديدا كمن به آفة مؤلمة و مرض أليم و له شغل شاغل كخدر أو إغماء أو غير ذلك فإذا فزع عن ذلك أحس به فتأذى منه غاية الأذى و لكن لما كانت هذه الهيئات الانقيادية غريبة عن جوهر النفس كما أشرنا إليه فكذا ما يلزمها و يتفرع عنها من الأشباح الجهنمية فلا يبعد أن يزول عنها في مدة من الدهر متفاوتة على حسب كثرة العوائق و قلتها إن شاء الله تعالى و يشبه أن تكون الشريعة الحقة قد أشارت إليه حيث ورد أن المؤمن الفاسق لا يخلد في النارو أما القسم الثاني من الشقاوة العقلية فهو الداء العضال و المرض المؤلم للشاعر بالعلوم و الكمال العقلي في الدنيا و الكاسب شوقا لنفسه إليها ثم تارك الجهد فيه لتكتسب العقل بالفعل اكتسابا ما ففقدت منه القوة الهيولانية و حصلت ملكة الاعوجاج- و الصور الباطلة المخالفة للواقع و القول على العصبية و الجحد فهذه الداء العياء مما

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۱۳۶

أعيت أطباء الأرواح عن علاجها إذ المحال غير مقدور عليه و هذا الألم الكائن عنها- بإزاء اللذة الكائنة عن مقابلها و كما أن تلك أجل من كل إحساس بملائم كذلك هذه أشد من كل إحساس بمناف من تفريق اتصال بالنار أو تجميد بدن بالزمهرير أو ضرب عنق و قطع عضو و عدم تصور ذلك لأهله في الدنيا سببه ما ذكرناه من المعنى الذي قررناه في عدم وجدان اللذة المقابلة له و كما أن الصبيان لا يحسون باللذات و الآلام- التي يخص المدركين و يستهزءون بهم و إنما يستلذون ما هو غير لذيذ و يكرهه المدركون كذلك صبيان العقول و هم أهل الدنيا لا يشعرون بما أدركه ذو العقول

البالغة الذين يخلصون عن المادة و علائقها

فصل (٤) في سبب خلو بعض النفوس عن المعقولات و حرمانهم عن السعادة الأخروية

اعلم أن القوة التي هي محل العلوم و المعارف في الإنسان هي اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح و الأعضاء المستخدمة لجميع المشاعر و القوى و هي بحسب ذاتها قابلة للمعارف و العلوم كلها إذ نسبتها إلى الصور العلمية نسبة المرآة إلى صور الملونات و المبصرات و إنما

المانع من انكشاف الصور العلمية لها أحد أمور خمسة كما ذكره- بعض أفاضل العلماء في مثال المرآة.

أولها نقصان جوهرها و ذاتها قبل أن يتقوى

كنفس الصبي فإنها لا يتجلى لها المعلومات لنقصانها و كونها بالقوة و هذا بإزاء نقصان جوهر المرآة و ذاتها كجوهر الحديد قبل أن يذوب و يشكل و يصيقل.

و الثاني خبث جوهرها و ظلمة ذاتها

ككدورة الشهوات و التراكم الذي حصل على وجه النفس من كثرة المعاصي فإنه يمنع صفاء القلب و طهارة النفس و جلاءها فمنع ظهور الحق فيها بقدر ظلمتها و تراكمها كصداء المرآة و خبثها و كدورتها المانعة من ظهور الصورة فيها و إن كانت قوية الجوهر تامة الشكل و اعلم أن كل حركة أو فعل وقعت من النفس حدث في ذاتها أثر منها فإن كانت شهوية أو غضبية صارت بحسبها عائقة من

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۳۷

الكمال الممكن في حقها و إن كانت عقلية صارت بحسبها نافعة في كمالها اللائق فكل اشتغال بأمر حيواني دنيوي كنكتة سوداء في وجه المرآة فإذا تكثرت و تراكمت أفسدتها و غيرتها عما خلقت لأجله كتراكم الغبارات و البخارات و الأصدية في المرآة- الموجبة لفساد جوهرها.

و الثالث أن تكون معدولا بها عن جهة الصورة المقصودة و الغاية المطلوبة

فإن نفوس الصلحاء و المطيعين و إن كانت صافية نقية عن كدورة المعاصي نقية عن ظلمات المكر و الخديعة و غيرهما لكنها ليست مما يتضح فيه جلية الحق لأنها ليست تطلب الحق و لم تحاذ شطر المطلوب و عدلت عن الطريق المؤدي إلى جانب الملكوت و هو صرف الفكر في المعارف الحقيقية و التأمل في آيات الربوبية و إدراك الحضرة الإلهية- بصرف الهم إلى أعمال بدنية و نسك شرعية و أوراد و أذكار وضعية من غير تدبر و تأمل فيها و في الغرض من وضعها فلا ينكشف لهم إلا ما توجهت إليه هممهم من تصحيح صورة الأعمال و الطاعات و دفع مفسدات النسك من القيام و الصلوات و غيرهما إن كانوا متفكرين فيها و إذا كان تقيدهم بترجيح الطاعات و تفضيل حسنات الأعمال- مانعا عن انكشاف جلية الحق فما ظنك في صرف الهمة إلى شهوات الدنيا و علائقها- فكيف لا يمنع من الكشف الحقيقي و هذا في مثال المرآة هو كونها معدولا بها من جهة الصورة إلى غيرها.

الرابع الحجاب المرسل

فإن المطيع القاهر للشهوة المتحرى للفكر القاصد لتحصيل

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۳۸

العلم قد لا ينكشف له حقيقة مطلوبة الذي قصده لكونه محجوبا عنه باعتقاد مقبول للناس سبق إليه منذ الصبا على وجه التقليد و حسن الظن يحول بينه و بين حقيقة الحق- و يمنع أن ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه بالتقليد و هذا أيضا حجاب عظيم حجب به أكثر المتكلمين و المتعصبين للمذاهب بل أكثر المنسوبين إلى العلم و الصلاح فإنهم محجوبون باعتقادات تقليدية رسخت في نفوسهم و تأكدت في قلوبهم و صارت حجابا بينهم و بين درك الحقائق و هذا في مثالنا حجاب المرسل بين المرآة و الصورة.

الخامس الجهل بالجهة التي منها يقع الشعور بالمطلوب

و العثور على الحق المقصود فإن طالب العلم ليس يمكنه تحصيل العلم بالمطلوب من أي طريق كان بل بالتذكر المعلوم و المقدمات التي تناسب مطلوبه حتى إذا تذكرها و رتبها في نفسه ترتيبا مخصوصا مقررا بين العلماء النظار ذوي الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة- فيتجلى له حقيقة المطلوب فإن العلوم المطلوبة التي بها تحصل السعادة الأخروية- ليست فطرية فلا تقتنص إلا بشبكة العلوم الحاصلة أولا بل كل علم غير أولي لا يحصل إلا بعلمين سابقين يأتلفان و يزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث- على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل و الأنثى فإن لكل ممكن معلول علة مخصوصة لا يمكن حصول شيء من ذوات العلل و الأسباب إلا من طريق سببه و علته فكذلك العلم بها لا يحصل إلا من جهة العلم بأسبابها و عللها فالجهل بأصول المعارف و بكيفية ترتيبها و ازدواجها هو المانع من العلم بها و مثاله في المرآة هو عدم المحاذاة لها بالجهة التي فيها الصورة المرئية فرب صورة لم تكن محاذية للجهة التي فيها المرآة- بل مثاله أن يريد الإنسان مثلا أن يرى قفاه في المرآة فيحتاج إلى مرآتين ينصب

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۳۹

أحدهما وراء القفا و الأخرى في مقابلتها بحيث يبصرها و يراعي مناسبة مخصوصة بين وضع المرآتين حتى ينطبع صورة القفا في المرآة المحاذية للقفا ثم تنطبع صورة هذه المرآة في المرآة الأخرى حتى تدرك العين صورة القفا كذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها انتقالات أعجب مما ذكر في المرآة و يعز على بسيط الأرض من يهتدي إلى كيفية الاهتداء بها فهذه هي الأسباب المانعة للنفس الناطقة من معرفة حقائق الأمور- و إلا فكل نفس بحسب الفطرة السابقة صالحة لأن تعرف حقائق الأشياء لأنها أمر رباني شريف فارق سائر جواهر هذا العالم بهذه الخاصية و ما

ورد عنه ص: لو لا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء

إشارة إلى هذه القابلية و هذه الحجب الحائلة بين النفوس الإنسانية و عالم الملكوت فإذا ارتفع هذه الحجب و الموانع عن قلب الإنسان الذي هو نفسه الناطقة تجلى فيه صورة الملك و الملكوت- و هيئة الوجود على ما هي عليه فيرى ذاته في جنة عرضها السماوات و الأرض بل يرى في ذاته جنة عرضها أوسع من عرض السماوات و الأرض لأنهما عبارة عن عالم الملك و الشهادة و هو محدود و أما عالم الملكوت و الحقائق العقلية و هو الأسرار الغائبة من مشاهدة الحواس المخصوصة بإدراك البصيرة فلا نهاية لها و جملة عالم الملك و الملكوت إذا أخذت دفعة تسمى الحضرة الربوبية لأن الله محيط بكل الموجودات إذ ليس في الوجود سوى ذات الله و أفعاله و مملكته من أفعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هو الجنة بعينها عند قوم و هو سبب استحقاق الجنة عند آخرين و يكون سعة المملكة في الجنة بقدر سعة المعرفة و

بمقدار ما يتجلى للإنسان من الله و صفاته و أفعاله و إنما المراد من الطاعات و أعمال الجوارح كلها تصفية القلب و تطهير النفس و جلاؤها بإصلاح الجزء العملي منها **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها وَ قَدْ خابَ مَنْ دَسّاها** و نفس الطهارة و الصفاء ليست كمالا بالحقيقة لأنها أمر عدمي و الأعدام ليست من الكمالات بل المراد منها حصول أنوار الإيمان أعني إشراق نور المعرفة بالله و أفعاله و كتبه و رسله و اليوم الآخر و هو المراد بقوله تعالى **فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ ... فَهُوَ عَلى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ**

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۱۴۰

فشرح الصدر غاية الحكمة العملية و النور غاية الحكمة النظرية فالحكيم الإلهي هو الجامع لهما و هو المؤمن الحقيقي بلسان الشريعة و ذلك الفوز العظيم

فصل (۵) في كيفية حصول العقل الفعال في أنفسنا

اعلم أن للعقل الفعال وجودا في نفسه و وجودا في أنفسنا فإن كمال النفس و تمام وجودها و صورتها و غايتها هو وجود العقل الفعال لها و اتصالها به و اتحادها معه- فإن ما لا وصول لشيء إليه بوجه الاتحاد لا يكون غاية لوجود ذلك الشيء فما هو غاية بالطبع لشيء في وقت فهو من شأنه أن يصير صورة له في وقت آخر إلا لمانع يقطع طريقه إلى الوصول و كأنا قد أوضحنا تحقيق هذا الاتحاد في العلم الكلي عند بحثنا عن أحوال العقل و المعقول إيضاحا يكفي لأهل العرفان و أصحاب الذوق و الوجدان- و إن لم يكن نافعا لأهل الجحود و الطغيان فمن استشكل عليه أن شيئا واحدا كيف يكون فاعلا متقدما على وجود الشيء و غاية متأخرة عنه مترتبة عليه ترتبا ذاتيا بعد مراتب استكمالاته و ترقياته في الوجود فعليه أن يرجع و ينظر إلى ما حققناه و يسلك الطريق الذي سلكناه حيث عرفناه بقوة البرهان و نور الكشف و العيان أن المبدأ الأعلى له الأولية و الآخرية لأجل سعة وجوده المنبسط و قوة وحدته الجامعة- و شدة نوريته الساطعة و تمام هويته التي انبعث منها الهويات و عينه التي انبجست منها أعيان الوجودات فوجوده التام الذي هو فاعل الآنيات هو غايتها و كمالها فهو أصل شجرة الوجود و ثمرتها لأن وحدته ليست كسائر الوحدات التي تحصل بتكررها الأعداد فلا ثاني لوحدته كما لا مثل لوجوده بل أحديته الصرفة جامعة للكثرات

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۱۴۱

سارية في الوحدات و نور وجوده نافذ في الهويات

كما قال أمير الموحدين علي ع:

مع كل شيء لا بمقارنة و غير كل شيء لا بمزايلة

فلا يدفع وجوده الابتدائي وجوده الانتهائي فمنه يتنزل الموجودات في الابتداء و إليه تصعد الآنيات في الانتهاء فعلى هذا المنوال حال وجودات الأنوار القيومية و صور المفارقة الإلهية فإن وجودات العقول الفعالة ظلال لوجوده و وحداتها مثل لوحدته فسعتها و جمعيتها أنموذج لسعته و جمعيته فإنما هي وسائط صدور الأشياء عن الحق تعالى و وسائل رجوع الموجودات إليه فلها الأولية بأوليته و الآخرية بآخريته كما أنها موجودة بوجوده لا بإيجاده- باقية ببقائه لا بإبقائه لأنها كما علمت بمنزلة أشعة نوره و لوازم هويته.

ثم إن النظر في العقل الفعال من حيث وجوده في نفسه غير النظر فيه من حيث حصوله لنفوسنا فالنظر فيه من الحيثية الأولى قد مر ذكره في الربوبيات إذ قد ثبت وجوده في نفسه بالبرهان و ليس النظر فيه الآن إلا من حيث كونه كمالا للنفس الإنسانية و تماما لها و البرهان على وجوده في النفس أن النفس في مبادي الأمر- و إن كانت نفسا بالفعل لكنها عقل بالقوة و لها أن تصير عقلا بالفعل لأجل تصور المعقولات و التفطن بالثواني بعد الأوليات حتى يصير بحيث تحضر صور المعلومات متى شاءت فتحصل لها ملكة استحضار الصور العقلية من غير تجشم كسب جديد فخرجت ذاتها من العقل بالقوة إلى العقل بالفعل و كلما خرج من حدود القوة و الاستعداد إلى حد الفعل فلا بد له من أمر يخرجه منها إليه فهو إن كان أمرا غير عقلي كجسم أو قوة جسمانية فيلزم أن يكون الأخس وجودا علة مفيدة للأشرف وجودا و كان غير العقل

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۴۲

أفاده العقل لغيره و ذلك محال و إن كان عقلا فلا يخلو إما أن يكون عقلا في أصل الفطرة فهو المطلوب و إن لم يكن كذلك فيحتاج لا محالة إلى أمر يخرجه من القوة إلى الفعل- و يجعله عقلا بالفعل فننقل الكلام إليه حتى يدور أو يتسلسل أو ينتهي إلى المطلوب فثبت وجود العقل المقدس عن شائبة القوة و النقص الاستعدادي.

و من سبيل آخر أن النفس الإنسانية قد لا يكون معلوماتها التي اكتسبتها حاضرة لها مدركة و لها قوة الاسترجاع و الاستذكار فهي مخزونة فلها قوة الإدراك و قوة الحفظ و هما متغايرتان لأن الحافظ فاعل و المدرك قابل فيمتنع اتحادهما- و لا شك أن المدرك القابل هي النفس فالحافظ الفاعل جوهر أجل منها وجودا و هذا النحو من الوجود عقل فعال و ظاهر مكشوف أنه ليس جسما من الأجسام و لا قوة في جسم لأن شيئا منهما لا يكون معقولا بالفعل و لا عاقلا بالفعل فكيف يكون سببا لما ليس بجسم و لا في جسم و الكلام في وجود سبب تصير به النفس عقلا بالفعل و أما المعقول من الجسم فهو صورة عقلية لا يحمل عليه معنى الجسم بالحمل الشائع الصناعي- فبالجسم لم يصر جسم معقولا فضلا عما ليس بجسم من الأمور التي ليست داخلة في مكان- و لا منطبعة في ذي وضع و حيز حتى يجاورها أو يحاذيها جسم أو صورة في جسم فيؤثر فيها لما تقدم أن تأثير الأجسام و الجسمانيات في الأشياء بمشاركة الأوضاع المكانية- فإن القرب الوضعي و الاتصال المقداري في الجسمانيات بإزاء القرب المعنوي و الارتباط العقلي في الروحاني في قبول الأثر و استجلاب الفيض و أما الأول تعالى فهو و إن كان هو الفياض المطلق و الجواد الحق على كل قابل لفيض الوجود إلا أن في كل نوع من أنواع الكائنات لا بد من واسطة تناسبه من الصور المجردة و الجواهر العقلية و هم الملائكة المقربون المسمون عند الأوائل بأرباب الأنواع و عند الأفلاطونيين بالمثل الأفلاطونية و الصور الإلهية لأنها علومه التفصيلية التي بواسطتها يصدر الأشياء

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۴۳

الخارجة كما مر و لا شك أن أليقها و أنسبها في أن يعتني تكميل النفوس الإنسانية- هو أبوها القدسي و مثالها العقلي المسمى بلسان الشرع جبرئيل روح القدس و في ملة الفرس كان يسمى روانبخش و في كثير من الآيات القرآنية تصريح بأن هذه المعارف في الناس و في الأنبياء ع يحصل بتعليم الملك و إلهامه كقوله تعالى **عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوىٰ** و

قوله قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ و كيفية وساطة هذا الملك المقرب العقلاني- في استكمالاتنا العلمية أن المتخيلات المحسوسة إذا حصل في قوة خيالنا يحصل منها من جهة المشاركات و المباينات المعاني الكلية و لكنها في أوائل الأمر مبهمة الوجود- ضعيفة الكون كالصور المرئية الواقعة في موضع مظلم فإذا كمل استعداد النفس و تأكد صلاحيتها بواسطة التصفية و الطهارة عن الكدورات و تكرر الإدراكات و الحركات الفكرية- أشرق نور العقل الفعال عليها و على مدركاتها الوهمية و صورها الخيالية فيجعل النفس عقلا بالفعل و بجعل مدركاتها و متخيلاتها معقولات بالفعل و فعل العقل الفعال في النفس و صورها المتخيلة الواقعة عندها كفعل الشمس في العين الصحيحة و ما عندها من الصور الجسمانية الواقعة بحذائها عند إشراقها على العين و على مبصراتها فالشمس مثال العقل الفعال و قوة الإبصار في العين مثال قوة البصيرة في النفس و الصور الخارجية التي بحيالها مثال الصور المتخيلة الواقعة عند النفس فكما أن قبل إشراق الشمس عند الظلام يكون البصر بصرا بالقوة و المبصرات مبصرات بالقوة فإذا طلعت الشمس و أشرق عليها صارت القوة البصرية رائية مبصرة بالفعل و تلك الملونات التي بحيالها مرئيات مبصرة بالفعل فكذلك مهما طلع على النفس هذا النور القدسي و أشرق ضوؤه عليها و على مدركاته الخيالية صارت القوة النفسانية عقلا و عاقلا بالفعل و صارت المتخيلات معقولات بالفعل و ميزت القوة العقلية بين المكتسبات الحاصلة ذاتياتها عن عرضياتها

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۱۴۴

و حقائقها عن لواحقها و رقائقها و أصولها عن فروعها و أخذتها مجردة عن الأعداد و الأفراد فيصير الإنسان عند ذلك إنسانا عقليا إذ بطلت جزئيته و ضيق وجوده بقطع التعلقات و القيود و إذا اشتد هذا النور الذي هو صورته العقلية اتحد بالروح الكلي الإنساني المسمى بروح القدس و العقل الفعال و المبدأ الفاعلي الذي سعته وجوده و بسط هويته بحيث يكون نسبته إلى جميع الأشخاص و الأعداد و الأنداد البشرية نسبة واحدة كما هو شأن الكلي الصادق عليها المحمول عليها بحسب المفهوم و المعنى إلا أن المفهوم عنوان للأفراد و هذا المبدأ الفاعلي حقيقة لها و حامل لها حافظ إياها- و كذا الطبائع الكلية عنوانات لذوات نورية و هويات عقلية و ملائكة قدسية و أرباب أنواع طبيعية و بالجملة مهما صارت النفس عقلا تصير محسوساتها معقولات بالفعل و عاقلات أيضا لما مر من طريقتنا أن كل معقول بالفعل عاقل بالفعل

فصل (٦) في إظهار نبذ من أحوال هذا الملك الروحاني المسمى عند العرفاء بالعنقاء على سبيل الرمز و الإشارة

العنقاء محقق الوجود عند العارفين لا يشكون في وجوده كما لا يشكون في

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۱۴۵

البيضاء و هو طائر قدسي مكانه جبل قاف صفيره يوقظ الراقدين في مراقد الظلمات- و صوته ينبه الغافلين عن تذكر الآيات نداؤه ينتهي إلى سماع الهابطين في مهوى الجهالات المترددين كالحيارى في تيه الظلمات النازلين في عالم الهيولى و الهاوية الظلماء- و القرية الظالم أهلها و لكن قل من يستمع إليه و يصغي نداءه و يعرف صداه لأن أكثرهم عن السمع لمعزولون و عن آيات ربهم معرضون صم بكم عمي فهم لا يعقلون هو مع جميع الخلق و هم لا معه و نعم ما قيل بالفارسية.

با مـائـی و بـا مـا نـه‌ای   جائی از آن تـنـها نـه‌ای

و كل من له علة الاستسقاء أو فيه مرض السوداء يستسقي بظلاله و كذا من به من علة ماليخوليا ينتفع بسماع صفيره بل الأمراض المختلفة و العلل الممرضة كلها يزول بخواص أجنحته و رياشه إلا مرض واحد مهلك و هو الجهل الراسخ المركب بالعناد– و له الطيران صعودا و نزولا من غير حركة و انتقال و له الذهاب و المجيء من غير تجدد حال و ارتحال و إليه القرب و البعد من دون مسافة و مكان و لا تغير و زمان– منه ظهرت الألوان في ذوات الألوان و هو مما لا لون له و كذا الأمر في باب الطعوم و الروائح و من فهم لسانه يفهم جميع ألسنة الطيور و يعرف كل الحقائق و الأسرار

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۴۶

مستوكره المشرق و لا يخلو عنه ذرة في المغرب الكل به مشتغل و هو من الكل فارغ و الأمكنة مملوءة منه و هو خال عن المكان العلوم و الصنائع مستخرجة من صفيره و النغمات اللذيذة و الأغاني العجيبة و الأرغنونات و الموسيقارات المطربة و غيرها مستنبطة من أصول هذا الطير الشريف الذات المبارك الاسم.

چون ندیدی شبی سلیمان را   تو چو دانی زبان مرغان را

كل من يتعوذ بريشه من رياشه يجوز في النار آمنا من الحرق و يعبر على الماء مصونا من الغرق بل استكمال جميع الخلق بأنحاء كمالاتهم و وصول السالكين إلى مآربهم و حاجاتهم بتأييد هذا الطير القدسي

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۴۷

فصل (۷) في بيان السعادة و الشقاوة الحسيتين الأخرويتين دون العقليتين الحقيقيتين

إن النفوس الجاهلة جهلا بسيطا دون ما هو مضاد للحق إن كانت هيولانية محضة و لم تحدث هيئة عقلية و لا علم أولى ففي بقائها وقع التردد و الاختلاف بين الفلاسفة– و المنقول من الإسكندر الأفروديسي و هو من أعاظم تلامذة معلم المشائيين القول بعدمها و فسادها و الشيخ الرئيس أيضا مال إلى هذا الرأي في بعض رسائله الموسومة بالمجالس السبعة و قد أشرنا إلى أن النشأة الآخرة لو كانت منحصرة في النشأة العقلية لكان القول ببطلان هذه الساذجة لازما اضطراريا لأن وجود الشيء في كل نشأة أنما يكون بصورته لا بهيولاه لكن قد علمت أن بعد هذه النشأة التعلقية المتجددة الكائنة الفاسدة عالمان صوريان مستقلان باقيان غير داثرين أحدهما دار المعقولات و الثاني دار المحسوسات الصرفة التي لا مادة لها و لا حافظ إياها إلا النفس لأن وجودها وجود إدراكي و هو نفس محسوسيتها و المحسوس بما هو محسوس وجوده بعينه وجوده للجوهر الحاس و هو النفس فالنفس هي الحافظة و المبقية للصور الحسية هناك من غير مادة كما أن العقل هو الحافظ المبقى بإذن الله للنفس من غير حامل أو بدن فلا حاجة للأشياء الموجودة في هذا العالم إلا بأسبابها الفاعلة و جهاتها دون الأسباب القابلة و القوى و الاستعدادات فإذن هذه النفس باقية بعد البدن و لم يترسخ فيها هيئات بدنية و رذائل نفسانية حتى تكون متأذية بها معذبة بسببها لمنافاتها و مضادتها لجوهر النفس من حيث فطرتها الأصلية النورانية و لا يمكن أيضا أن تكون معطلة لا تفعل و لا تنفعل إذ لا معطل في الوجود فلها بقدر حظها من الوجود حظ من اللذة و السعادة و قد مر أن الوجود لذيذ إن حصل و كماله ألذ و هذه النفس وجودها لها لا لشيء آخر لكونها غير مادية– فاللذة حاصلة لها بقدر وجودها و وجود ما معها إن كان بلا مانع أو مشوش لكنها ضعيفة

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۱۴۸

إذ لا كمال لها و إن كانت خارجة عن القوة المحضة و الهيولانية بحصول الأوليات و بعض الآراء المشهورة و المقدمات الذائعة و لم يحدث فيها بعد شوق إلى العقليات و لا داعية كمال علمي عقلي على وجه التأكد و الجزم فإنها إذا فارقت هذا البدن فإن كانت خيرة فلا محالة لها سعادة غير حقيقية من جنس ما كانت توهمته و تخيلته و بلغت إليه همته و سمعت من أهل الشرائع من الحور و القصور و السدر المخضود و الطلح المنضود و الظل الممدود و الأشجار و الأنهار و سائر ما يكون لذيذا بهيجا عنده و هذا مما لا إشكال في إثباته عندنا لأن الصور الأخروية المحسوسة حصولها غير مفتقر إلى موضوع و مادة كما أشرنا إليه و سيأتي بيان ذلك على مسلك البرهان و الفحص البالغ و البحث اللائق.

و أما الفلاسفة فنقل صاحب الشفاء عن بعض منهم قولا ممكنا على زعمه و قد وصفه بأنه لا يجازف في الكلام من أن هؤلاء إذا فارقو الأبدان و هم بدنيون و ليس لهم تعلق بما هو أعلى من الأبدان فيشغلهم التزام النظر إليها و التعلق بها عن الأشياء البدنية و إنما لأنفسهم أنها زينة لأبدانهم فقط و لا يعرف غير الأبدان و البدنيات- أمكن أن يعلقهم نوع تشوقهم إلى التعلق ببعض الأبدان التي من شأنها أن يتعلق بها الأنفس لأنها طالبة بالطبع و هذه ماهيات هيئة الأجسام دون الأبدان الإنسانية و الحيوانية للعذر الذي ذكرناه و لو تعلق بها لم يكن إلا نفسا لها فيجوز أن يكون ذلك جرما سماويا لا أن تصير هذه الأنفس أنفسا لذلك الجرم أو مدبرة لها فإن هذه لا يمكن بل أن تستعمل ذلك الجرم لإمكان التخيل ثم يتخيل الصور التي كانت معتقدة عنده و في وهمه فإن كان اعتقاده في نفسه و في أفعاله الخير و موجب السعادة رأي الجميل و تخيله فيتخيل أنه مات و قبر و سائر ما كان في اعتقاده للأخيار- قال و يجوز أن يكون هذا الجرم متولدا من الهواء و الأدخنة و يكون مقارنا

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۱۴۹

لمزاج الجوهر المسمى روحا الذي لا يشك الطبيعيون أن تعلق النفس به لا بالبدن- و أنه لو جاز أن لا يتحلل ذلك الروح مفارقا للبدن و الأخلاط و يقوم لكانت النفس تلازمه الملازمة النفسانية.

و قال و أضداد هؤلاء من الأشرار يكون لهم الشقاوة الوهمية أيضا و يتخيلون أنه يكون لهم جميع ما قيل في السنة التي كانت لهم من العقاب للأشرار و إنما حاجتها إلى البدن في هذه السعادة و الشقاوة بسبب أن التخيل و التوهم أنما يكون بآلة جسمانية- و كل صنف من أهل السعادة و الشقاوة يزداد حاله باتصاله بما هو من جنسه و باتصال ما هو من جنسه بعده به فالسعداء الحقيقيون يتلذذون بالمجاورة و يعقل كل واحد ذاته و ذات ما يتصل به و يكون اتصال بعضها ببعض لا على سبيل اتصال الأجسام فيضيق عليها الأمكنة بالازدحام لكن على سبيل اتصال معقول بمعقول فيزداد فسحة بالازدحام.

هذا ما بلغ إليه نظر الشيخ و أترابه في إثبات السعادة و الشقاوة الأخرويتين المحسوستين و في كيفية جنة السعداء و جحيم الأشقياء في المعاد و قد مرت الإشارة منا في الفصل الثالث من الباب الثامن من علم النفس عند بحثنا عن دفع الشكوك الباقية- لأصحاب النقل إلى سخافة هذا الرأي و ما يلزمه من المفاسد و الذي نذكر هاهنا أن القول بتجويز أن يكون موضوع تصور النفس و تخيلها بعد التجرد عن هذا البدن جرما متولدا من الهواء و الدخان كيف يصح من رجل

ذي بضاعة من الفلسفة الطبيعية فكيف من الفلسفة الإلهية أ ليس مثل هذا الجسم الدخاني المتولد من بعض المواد العنصرية يتفرق و يتحلل بأدنى سبب إذا لم يكن له طبيعة حافظة إياه عن التبدد و عن التحلل شيئا فشيئا بإيراد البدل كما في الروح الطبي حتى يبقى تهيؤه لتصرف النفس فيكون هو في ذاته نوعا نباتا بل حيوانا لكونه موضوع الإدراك التخيلي فإذن أ ليس هذا عين

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۱۵۰

التناسخ و أ ليس صار هذا الجرم الدخاني حيوانا غير إنسان تعلقت به نفس إنسانية- فصار هذا الإنسان منسلخا عن إنسانيته إلى حيوان آخر و ذلك لأن شرط الإنسانية- أن يكون له قوة إدراك المعقولات إما بالفعل أو بالاستعداد القريب أو البعيد له و ليس فيه شيء منها إذ قد بطل استعداده الأول بالموت من غير أن تصير عقلا بالفعل ثم لو فرض كونه ذا قوة تعقل المعقولات لكان إنسانا آخر فعلى أي وجه يلزم التناسخ و هو مع بطلانه في نفسه كما مر قد أحاله الشيخ و غيره من توابع المشائيين و هذا اللزوم لا يدفع بمجرد قوله تستعمله من غير أن تصير نفسا لها إذ لا معنى للنفس إلا الجوهر الإدراكي- المستعمل لجرم حيواني ذي حياة بالقوة موضوع لإدراكاته سيما على ما ذهبوا إليه من انطباع صورة المحسوسات و المتخيلات في الأجرام التي هي آلة لها و بالجملة هذا مذهب رديء و قول فاسد ألجأهم إلى القول به عدم علمهم بتجرد النفس الخيالية و مدركاتها عن المواد الطبيعية و العجب من الشيخ أبي علي أيضا أنه ذكر في هذا الكلام المنقول أن السعداء الحقيقيين يتلذذون باتصال ذواتهم بعضهم ببعض اتصالا عقليا كاتصال معقول بمعقول مع أنه لم يحصل معنى الاتصال العقلي و الاتحاد الذاتي بين العاقل و المعقول و لم يقدر على إثباته بل أنكره في أكثر كتبه غاية الإنكار و شنع على القائل به كفرفوريوس و متابعيه غاية التشنيع.

ثم قال في أواخر إلهيات الشفاء و في الرسالة الأضحوية إن الصور الخيالية ليست تضعف عن الحسية بل تزداد عليها تأثيرا و صفاء كما نشاهد في المنام و ربما كان المحلوم به أعظم شأنا في بابه من المحسوس على أن الأخروي أشد استقرارا من الموجود في المنام بحسب قلة العوائق و تجرد النفس و صفاء القابل و ليست الصور التي ترى في المنام- بل و التي تحس في اليقظة كما علمت إلا المرتسم في النفس إلا أن إحداهما تبتدئ من

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۱۵۱

باطن و تنحدر إليه و الثانية تبتدئ من خارج و ترتفع إليه فإذا ارتسم في النفس ثم هناك الإدراك المشاهد و إنما يلذ و يؤذي بالحقيقة هذا المرتسم في النفس لا الموجود في الخارج و كلما ارتسم في النفس فعل فعله و إن لم يكن سبب من خارج فإن السبب الذاتي هذا المرتسم و الخارج هو سبب بالعرض أو سبب السبب فهذه هي السعادة و الشقاوة- الخسيستان بالقياس إلى الأنفس الخسيسة و أما الأنفس المقدسة فإنها تبعد عن مثل هذه الأحوال و تتصل بكمالها بالذات و تنغمس في اللذة الحقيقية و تبرئ عن النظر إلى ما خلفها و إلى المملكة التي كانت لها كل التبري و لو كان بقي فيها أثر من ذلك اعتقادي أو خلقي تأذت به و تخلفت لأجله عن درجة العليين إلى أن ينفسخ انتهى كلامه.

فهذه غاية ما وصلت إليه أفكار الفلاسفة الإسلاميين أعني صاحب الشفاء و الفارابي- و من كان في طبقتهم و يحذو حذوهم و هي قاصرة عن درجة التحقيق غير بالغة حد الإجداء بل باطلة في نفسها كما سبق و ستعلم مخ القول و لب

الكلام فيما سيأتي عند تجريدنا البحث إلى إثبات معاد الأنفس الغير الكاملة و لا الواصلة إلى درجة العليين.
ثم العجب أن الذي صوره الشيخ رئيس الفلاسفة و نقله من بعض العلماء و هو أبو نصر كما ذكره المحقق الطوسي شارح الإشارات أحسن و أجود مما ذكر في كتب غيرهم من الإسلاميين و لهذا اختاره الشيخ الغزالي في كثير من مصنفاته كما يستفاد من بعض مواضع الإحياء و غيره و قال في رسالته المشهورة الموسومة بالمضنون بها إن

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ٩، ص ١٥٢

اللذات المحسوسة الموعودة في الجنة من أكل و نكاح يجب التصديق بها لإمكانها- و اللذات كما تقدم حسية و خيالية و عقلية أما الحسي فلا يخفى معناه و إمكانه في ذلك كإمكانه في هذا العالم فإنه بعد رد الروح إلى البدن و قام البرهان على إمكانه- و أما الخيالي فلذة كما في النوم إلا أن النوم غير مستقر لأجل انقطاعه فلو كانت دائمة لم يظهر الفرق بين الخيالي و الحسي لأن التذاذ الإنسان بالصورة من حيث انطباعها في الخيال و الحس لا من حيث وجودها في الخارج فلو وجدت في الخارج و لم يوجد في حسه بالانطباع فلا لذة له و لو بقي المنطبع و عدم في الخارج لدامت اللذة و للقوة المتخيلة قدرة على اختراع الصور في هذا العالم إلا أن الصورة المخترعة المتخيلة ليست محسوسة و لا منطبعة في القوة الباصرة فلذلك لو اخترع صورة جميلة في غاية الكمال و توهم حضورها و مشاهدتها لم يعظم سروره لأنه ليس يصير مبصرا كما في المنام- فلو كانت للخيال قوة على تصويرها في القوة الباصرة كما له قوة تصويرها في المتخيلة- لعظمت لذته و نزلت منزلة الصور الموجودة و لم يفارق الدنيا الآخرة في هذا المعنى- إلا من حيث كمال القدرة على تصويرها الصورة في القوة الباصرة و لا يخطر بباله شيء يميل إليه إلا و يوجد له في الخيال حيث يرى و إليه الإشارة
بقوله ع: إن في الجنة سوقا يباع فيه الصور
و السوق عبارة عن اللطف الإلهي الذي هو منبع القدرة على اختراع الصورة بحسب الشهوة و هذه القدرة أوسع و أكمل من القدرة على الإيجاد من خارج الحس و حمل أمور الآخرة على ما هو أتم و أوفق للشهوات أولى و لا ينقص رتبتها في الوجود اختصاص وجودها في الحس و انتفاء وجودها في الخارج فإن وجودها مراد لأجل حظه و حظه من وجوده في حسه فإذا وجد فيه فقد توفر حظه- و الباقي فضل لا حاجة إليه و إنما يراد لأنه طريق المقصود و قد تعين كونه طريقا في هذا العالم الضيق القاصر أما في ذلك العالم فيتسع الطريق و لا يتضيق و أما الوجود

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ٩، ص ١٥٣

الثالث العقلي فهو أن يكون هذه المحسوسات أمثلة للذات عقلية التي ليست بمحسوسة- فإن العقليات تنقسم إلى أنواع كثيرة مختلفة كالحسيات فتكون هي أمثلة لها كل واحد مثالا للذة أخرى مما رتبته في العقليات يوازي رتبة المثال في الحسيات انتهى كلامه.
و أكثر موافق لما نقلناه من صاحب الشفاء و كأنه مأخوذ منه و أنزل من هذه المرتبة من الاعتقاد في باب المعاد و حشر الأجساد اعتقاد علماء الكلام كالإمام الرازي- و نظرائه بناء على أن المعاد عندهم عبارة عن جمع متفرقات أجزاء مادية لأعضاء أصلية باقية عندهم و تصويرها مرة أخرى بصورة مثل الصورة السابقة ليتعلق النفس بها مرة أخرى و لم يتفطنوا بأن هذا حشر في الدنيا لا في النشأة الأخرى و عود إلى الدار الأولى دار العمل و التحصيل لا إلى الدار العقبى دار الجزاء

و التكميل فأين استحالة التناسخ و ما معنى قوله تعالى **إِنّٰا لَقٰادِرُونَ عَلىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ وَ مٰا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ** و قوله تعالى **نَحْنُ قَدَّرْنٰا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَ مٰا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثٰالَكُمْ وَ نُنْشِئَكُمْ فِي مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ** و قوله تعالى **نَحْنُ خَلَقْنٰاهُمْ وَ شَدَدْنٰا أَسْرَهُمْ وَ إِذٰا شِئْنٰا بَدَّلْنٰا أَمْثٰالَهُمْ تَبْدِيلاً** و لا يخفى على ذي بصيرة أن النشأة الثانية طور آخر من الوجود يباين هذا الطور المخلوق من التراب و الماء و الطين و أن الموت و البعث ابتداء حركة الرجوع إلى الله أو القرب منه لا العود إلى الخلقة المادية و البدن الترابي الكثيف الظلماني.

[**بيان كلام الفخر في الحشر**]

ثم جعل الفخر في تفسيره الكبير يستدل على إثبات ما فهمه و تصوره من معنى الحشر و المعاد بآيات قرآنية وقعت في باب القيامة و البعث و يحملها على ما وافق طبعه و رأيه فقال إن قوله تعالى في سورة الواقعة من الآيات إشارة إلى جواب شبهة المنكرين الذين هم من أصحاب الشمال المجادلين فإنهم قالوا **أَ إِذٰا مِتْنٰا وَ كُنّٰا تُرٰاباً**

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۱۵۴

وَ عِظٰاماً أَ إِنّٰا لَمَبْعُوثُونَ أَ وَ آبٰاؤُنَا الْأَوَّلُونَ و أشير إلى إمكانها هذا بوجوه أربعة- أولها قوله تعالى **أَ فَرَأَيْتُمْ مٰا تُمْنُونَ أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخٰالِقُونَ** وجه الاستدلال بهذا أن المني إنما يحصل من فضلة الهضم الرابع و هو كالطل المنبث في أطراف الأعضاء و لهذا يشترك كل الأعضاء و يجب غسلها بالالتذاذ الواقع لحصول الانحلال عنها كلها ثم إن الله تعالى سلط قوة الشهوة على البنية حتى أنها تجمع تلك الأجزاء الطلية فالحاصل أن تلك الأجزاء كانت متفرقة جدا أولا في أطراف العالم ثم إن الله جمعها في بدن ذلك الحيوان و جمعها الله في أوعية المني ثم إنه أخرجها ماء دافقا إلى قرار الرحم فإذا كانت هذه الأجزاء متفرقة فجمعها و كون منها هذا الشخص فإذا افترقت بالموت مرة أخرى فكيف يمتنع عليه جمعها مرة أخرى و هذا تقرير الحجة و إن الله ذكرها في مواضع من كتابه منها في سورة الحج **يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنّٰا خَلَقْنٰاكُمْ مِنْ تُرٰابٍ** إلى قوله- **ذٰلِكَ بِأَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتىٰ وَ أَنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَ أَنَّ السّٰاعَةَ آتِيَةٌ لاٰ رَيْبَ فِيهٰا وَ أَنَّ اللّٰهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ**.

و منها في سورة المؤمنين بعد ذكر مراتب الخلقة **ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ لَمَيِّتُونَ- ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ تُبْعَثُونَ**.

و منها في سورة لا أقسم **أَ لَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنىٰ ثُمَّ كٰانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوّٰى** و منها في سورة الطارق **فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسٰانُ مِمَّ خُلِقَ** إلى قوله **إِنَّهُ عَلىٰ رَجْعِهِ لَقٰادِرٌ** و ثانيها قوله تعالى **أَ فَرَأَيْتُمْ مٰا تَحْرُثُونَ أَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزّٰارِعُونَ** وجه

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۱۵۵

الاستدلال به أن الحب و أقسامه من بطون مشقوقة و غير مشقوقة كالأرز و الشعير مدور و مثلث و مربع و غير ذلك من الأشكال إذا وقع في أرض البذر و استولى عليه الماء و التراب فبالنظر العقلي يقتضي أن يتعفن و يفسد لأن أحدهما يكفي لحصول العفونة و الفساد فهما جميعا أولى ثم إنه لا يفسد بل يبقى محفوظا ثم إذا ازداد في الرطوبة- تنفلق الحبة قطعتين فيخرج منها فرقتان فرقة من رأسها صاعدة إلى فوق و أخرى من تحتها يتشبث بها في الأرض و كذا النوى بما فيها من الصلابة العظيمة تنفلق بإذن الله مجموعة على نصفين يخرج من أحدهما الجزء الصاعد و من الثاني الهابط

فيكون أحدهما خفيفا صاعدا و الآخر ثقيلا هابطا مع اتحادهما في الطبيعة و العنصر فيدل ذلك على قدرة كاملة و حكمة شاملة يعجز العقول عن دركها فهذا القادر كيف يعجز عن جمع الأجزاء و تركيب الأعضاء.

و ثالثها قوله تعالى أَ فَرَأَيْتُمُ الْماءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ وجه الاستدلال بوجوه.

أولها أن الماء جسم ثقيل بالطبع و إصعاد الثقيل على خلاف الطبع فلا بد له من قادر قاهر يقهر الطبع و يسخره و يبطل الخاصية و يصعد الذي من شأنه الهبوط و النزول.

و ثانيها أن تلك الذرات المائية المبثوثة اجتمعت بعد تفرقها فلا بد لها من جامع يجمعها قطرة قطرة فمن جمع الأجزاء الرشية المائية للإنزال قادر على أن يجمع الأجزاء المبثوثة الترابية للبعث.

و ثالثها تسييرها بالرياح.

و رابعها إنزالها في مظان الحاجة و الأرض الجرز و كل ذلك دليل الحشر.

و الرابع من تلك الوجوه قوله تعالى أَ فَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِؤُنَ وجه الاستدلال أن النار صاعدة بالطبع و الشجرة هابطة و أيضا النار نورانية و الشجرة ظلمانية و النار حارة يابسة و الشجر بارد رطب فإذا أمسك الله في داخل تلك الشجرة الظلمانية تلك الأجزاء النورانية فقد جمع بقدرته بين تلك

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج‏۹، ص ۱۵۶

الأجزاء المتنافرة فإذا لم يعجز عن ذلك فكيف يعجز عن تركيب أجزاء الحيوان- و جمع أعضائه انتهى كلامه.

[كلام المصنف في ذلك]

و هذا نهاية ما بلغ إليه فهم أهل الكلام و غاية ما وصلت إليه قوة نظر علماء الرسوم في إثبات النشأة الآخرة و حشر الأجسام و نشر الأرواح و النفوس و فيه مع قطع النظر عن مواضع المنع و الخدش و عن تحريف الآيات القرآنية عن معانيها- و الأغراض المتعلقة بها المقصودة منها المنساقة هي إليها و لأجلها كما سنشير إليه أن ما قرره و صوره ليس من إثبات النشأة الأخرى و بيان الإيمان بيوم القيامة في شي‏ء أصلا- فإن الذي يثبت من تصوير كلامه و تحرير مرامه ليس إلا إمكان أن يجتمع متفرقات الأجزاء المنبثة في أمكنة متعددة و جهات مختلفة من الدنيا و يقع منظما بعضها إلى بعض في مكان واحد فيفيض عليها صورة مماثلة للصورة السابقة المنعدمة فيعود الروح من عالمه التجردي القدسي بعد أحقاب كثيرة كانت فيه في روح و راحة تارة أخرى إلى هذا العالم متعلقة بهذا البدن الكثيف المظلم و إنما سمي يوم الآخرة بيوم القيامة لأن فيه يقوم الروح عن هذا البدن الطبيعي مستغنيا عنه في وجوده قائما بذاته و بذات مبدعه و منشئه و البدن الأخروي قائم بالروح هناك و الروح قائم بالبدن الطبيعي هاهنا لضعف وجوده الدنيوي و قوة وجوده الأخروي و بالجملة كلامه أشبه بكلام المنكرين للآخرة منه بكلام المقرين بها فإن أكثر الطباعية و الدهرية هكذا كانوا يقولون يعني أن المواد العنصرية- تجتمع بواسطة هبوب الرياح و نزول الأمطار على الأرض و وقوع الأشعة الشمسية و القمرية و غيرهما عليها فيحصل من تلك المواد إنسان و حيوان و نبات ثم تموت و تنفسخ صورها ثم تجتمع تلك الأجزاء مرة أخرى على هذه الهيئة أو على هيئة أخرى قريبة منها فيحصل منها أمثال هذه المواليد تارة أخرى إما مع بقاء النفوس و الأرواح- كما يقوله التناسخية أو مع حدوث طائفة منها و بطلان طائفة سابقة و ليت شعري من الذي أنكر أن

يحدث من ماء و تراب و مادة بعينها تارة بعد أخرى صورة شبيهة

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۵۷

بالصورة الأولى حتى يكون المطلوب إثبات قدرة الله في ذلك و جملة الأمر أن هؤلاء القوم من أصحاب اللقلقة و الكلام و أهل المجادلة و الاختصام لم يعلموا أن مقصود التكاليف و وضع الشرائع و إرسال الرسل و إنزال الكتب ليس إلا تكميل النفوس الإنسانية و تخليصها عن هذا العالم و دار الأضداد و إطلاقها عن أسر الشهوات و قيد الأمكنة و الجهات و هذا التكميل و التجريد لا يحصلان إلا بتبديل هذه النشأة الداثرة المتجددة إلى النشأة الباقية الثابتة و هذا التبديل إلى النشأة الباقية موقوف أولا على معرفتها و الإيمان بوقوعها و ثانيا على أنها الغاية الأصلية المقصودة من وجود الإنسان التي يتوجه إليها بمقتضى فطرتها الطبيعية لو لم ينحرف عن مسلكها بواسطة الجهالات و ارتكاب السيئات و ثالثا على العمل بمقتضاها و ما يسهل السبيل إليها- و تدفع القواطع المانعة عنها فالغرض الإلهي من هذه الآيات الدالة على حقيقة المعاد- هو التنبيه على نحو آخر من الوجود و الهداية إلى عالم غائب عن هذه الحواس باطن عن شهود الخلائق و هو مسمى بعالم الغيب و هذا بعالم الشهادة و هو عالم الأرواح و هذا عالم الأجساد و كما أن الروح باطن الجسد كذلك عالم الآخرة باطن هذا العالم ثم لما كان إثبات نحو آخر من الوجود يخالف هذا الوجود الطبيعي الوضعي- و نشأة أخرى باطنة تباين هذه النشأة الظاهرة أمرا صعب الإدراك متعصيا على أذهان أكثر الناس جحدوه و أنكروه و أيضا لا لفهم بهذه الأجساد و شهواتها و لذاتها يصعب عليهم تركها و طلب نشأة تضاد هذه النشأة و لذلك لم يتدبروا في تحقيقها و كيفيتها- بل أعرضوا عنها و عن آياتها كما قال تعالى

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۵۸

وَ كَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهٰا وَ هُمْ عَنْهٰا مُعْرِضُونَ و رضوا بالحياة الدنيا و اطمأنوا بها و أخلدوا إلى الأرض كما قال **وَ لٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَ اتَّبَعَ هَوٰاهُ** و نحن رأينا كثيرا من المنتسبين إلى العلم و الشريعة انقبضوا عن إثبات عالم التجرد و اشمأزت قلوبهم عن ذكر العقل و النفس و الروح و مدح ذلك العالم و مذمة الأجساد و شهواتها المحسوسة و دثورها و انقطاعها و أكثرهم توهموا الآخرة كالدنيا و نعيمها كنعيم الدنيا إلا أنها أوفر و أدوم و أبقى و لأجل ذلك رغبوا إليها و فعلوا الطاعات لأجلها طالبين قضاء لوطر شهوة البطن و الفرج و لأجل ما ذكرناه تكرر في القرآن العظيم ذكر الآيات الدالة على النشأة الآخرة و البعث و القيام ليتنبه الإنسان من نوم الجهالة و رقدة الغفلة فيتوجه نحو الآخرة و يتبرأ من البدن و قيوده من الدنيا و تعلقاتها متطهرا عن الأدناس و الأرجاس متشوقا إلى لقاء الله و مجاورة المقربين و الاتصال بالقديسين.

و اعلم أن المراد من الآيات المنقولة ليس ما فسره صاحب الكبير من إثبات القدرة الجزافية الأشعرية التي مبناها على إبطال الحكمة و نفي العلة و المعلول- و أعجب الأمور أن هؤلاء القوم متى حاولوا إثبات أصل من أصول الدين كإثبات قدرة الصانع أو إثبات النبوة و المعاد اضطروا إلى إبطال خاصية الطبائع التي أودعها الله فيها- و نفي الرابطة العقلية بين الأشياء و الترتيب الذاتي الوجودي و النظام اللائق الضروري بين الموجودات التي جرت سنة الله عليها و لا تبديل لها و هذه عادتهم في إثبات أكثر الأصول الاعتقادية كما فعله هذا الرجل الذي هو إمام أهل البحث و الكلام.

فإن قلت فما معنى هذه الآيات سيما المشتملة على ذكر النطفة و ابتداء الخلقة فهل المراد منها إلا أن الله تعالى كما أنه قادر على الابتداء و الإنشاء قادر على الإعادة و التكوين مرة أخرى.

قلت الغرض الأصلي من الآيات المعادية يحوم حوم بيان منهجين شريفين في بيان المعاد و حشر النفوس و الأجساد.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۱۵۹

أحدهما إثبات ذلك من جهة المبدأ الغائي و لزوم الغايات للطبائع الجوهرية الأصلية و ثانيهما إثباته من جهة المبدأ الفاعلي و لا شك أن البرهان الذي يكون الحد الأوسط فيه علة للنتيجة و هي ثبوت الأكبر للأصغر و هو المسمى ببرهان اللم أوثق من الذي يكون الأوسط معلولا للحكم المذكور و هو المسمى بالدليل ثم أوثق البراهين اللمية و أحكمها ما يجعل الوسط فيه سببا فاعليا أو سببا غائيا دون سائر الأسباب فإذن نقول الآيات التي فيها ذكرت النطفة و أطوارها الكمالية و تقلباتها من صورة أنقص إلى صورة أكمل و من حال أدون إلى حال أعلى فالغرض من ذكرها إثبات أن لهذه الأطوار و التحولات غاية أخيرة فللإنسان توجه طبيعي نحو الكمال و دين إلهي فطري في التقرب إلى المبدأ الفعال و الكمال اللائق بحال الإنسان المخلوق أولا من هذه المواد الطبيعية و الأركان لا يوجد في هذا العالم الأدنى- بل في عالم الآخرة التي إليها الرجعي و فيها الغاية و المنتهى فبالضرورة إذا استوفى الإنسان جميع المراتب الخلقية الواقعة في حدود حركته الجوهرية الفطرية من الجمادية و النباتية و الحيوانية و بلغ أشده الصوري و تم وجوده الدنيوي الحيواني فلا بد أن يتوجه نحو النشأة الآخرة و يخرج من القوة إلى الفعل و من الدنيا إلى الأخرى ثم المولى و هو غاية الغايات منتهى الأشواق و الحركات و هو المراد من قوله تعالى **يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ** إلى قوله **وَ أَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ** قبور الأجساد و قبور الأرواح أعني الأبدان و كذا غيره من الآيات المذكورة فيها أطوار الخلقة و أكوان النطفة فإن الغرض من الكل- إثبات النشأة الآخرة للإنسان من جهة ثبوت الغاية لوجوده و حركته الفطرية.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۱۶۰

فإن قلت هذه التحولات و التطورات مما يوجد في غير مادة الإنسان أيضا كالنبات و الحيوان فيلزم أن يكون لها أيضا نشأة أخروية.

قلت بعض هذه الأحوال و الأطوار يوجد فيها لا كلها لنقصان فطرتها عن درجة الإنسانية فغايتها أيضا تكون بعد تلك الأطوار و سائر الأكوان الحيوانية ما لم يصل إلى حد الإنسانية و لم يدخل بابها لا يمكنه الولوج إلى ملكوت السماوات- و الصعود إلى باب القدس كما أن الأكوان النباتية ما لم يدخل باب الحيوانية- لم يمكنه الدخول إلى الإنسانية لا على وجه التناسخ بل على نحو آخر يعلمه أهل البصيرة و الحكمة ثم إنه ليس كل متوجه نحو غاية فهو لا محالة واصل إليها بل ربما يعوق عنها لأمر خارجي فإن هاهنا قواطع للطريق و حجبا عن الوصول و الغرض أن للطبائع غايات ثابتة مقتضى الفطرة الأصلية البلوغ إليها و ربما يقع المنع و الحجاب.

و أما الآيات التي يستدل فيها على إثبات الآخرة بخلق الأجرام العظيمة و الأنواع الطبيعية فالغرض فيها إثبات هذا المطلوب من جهة نحو الفاعلية فإن أكثر الناس يزعمون أنه لا بد من حدوث شيء من مادة جسمية و طينة لأن حصول

شيء

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۱۶۱

لا من أصل محال فينكرون حدوث عالم آخر و إشكال و صور فيها و لم يعلموا أن وجود الأكوان الأخروية أنما هو من باب الإنشاء بمجرد الجهات الفاعلية لا من باب التخليق من أصل مادي و جهات قابلية فالله تعالى بينه على أن شأنه الأصلي في الفاعلية هو الإبداع و الإنشاء لا التكوين و التخليق من مادة و كذلك خلق السماوات و الأرض و أصول الأكوان فإن وجودها لم يخلق من مادة أخرى بل أوجدها على سنة الاختراع و الإنشاء و هكذا يكون إنشاء الجنة و النار و الأجسام الموعودة في الآخرة فيندفع إشكال المنكرين للدار الآخرة أنها في أي مادة توجد و في أي قطر و جهة و أين مكانها و متى زمانها و وقت قيامها يطلبون للآخرة مكانا خاصا- و يسألون عن الساعة أيان مرساها أي في أي مكان من أمكنة هذه الأجسام **وَ يَقُولُونَ مَتىٰ هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ*** أي في أي زمان معين من أزمنة الدنيا و لم يعلموا أن مكان الآخرة و زمانها ليس من جنس مكان الدنيا و زمانها و لا أن وجودها و إيجادها ليس كوجود الأكوان الدنيوية و إيجادها فلها نشأة أقوى حاصل من الإنشاء و لهذه خلقة حاصلة من التخليق و هذا أيضا منهج دقيق شريف و حمل الآيات القرآنية على ما هو أشرف و أحكم أولى فالغرض من هذه الآيات التي أشير فيها إلى هذا المنهج أن إبداع الصور و إنشاءها من غير مادة سابقة أنسب و أقرب إلى العلة الأولى و أهون عليها من تركيب المواد و جمع أجزائها و متفرقاتها لأن أمرها كلمح البصر أو هو أقرب- كما قال **وَ مٰا أَمْرُ السّٰاعَةِ إِلاّٰ كَلَمْحِ الْبَصَرِ** و قوله **وَ مٰا أَمْرُنٰا إِلاّٰ وٰاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ** فإذا كان الأليق و الأحرى بمبدع البدائع و مكون الصنائع إنشاء الصور و إبداعها من غير مادة من تخليقها من مزاج و امتزاج و تركيبها من أجزاء مختلفة حاصل بازدواج- ففعله الخاص الذي هو الإبداع و الإنشاء أشرف و أرفع من جمع متفرقات و تركيب مختلفات فإن هذا شأن القوى و الطبائع التي هي في الدرجة الأدنى من القصور في الفاعلية و التأثير فإذا صدر منه تعالى وجود الإنسان على نهج الامتزاج و التركيب من

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۱۶۲

الأركان و الأمشاج فليجز صدوره منه تارة أخرى على سبيل الإنشاء مجردا عن الهيولى.

على أنك قد علمت أن الإيجاد مطلقا منه تعالى و أن الوسائط هي مخصصات و مرجحات لإيجاده أو جهات مكثرات لفعله و إفاضة وجوده و لكن ما هو أبسط في الوجود و أرفع من الكثرة فهو أقرب إلى الموجد الحقيقي و قد أشرنا إلى أن وجود الأمور الأخروية أصفى من التركيب و أعلى من الامتزاج و أقرب إلى الوحدة الخالصة- من هذه الأمور الدنيوية فكما أن فعله الخاص في الابتداء هو إنشاء النشأة الأولى لا تركيب المختلفات و جمع المتفرقات فكذلك حقيقة المعاد و الفعل اللائق به إنشاء النشأة الثانية و هو أهون عليه من إيجاد المكونات في الدنيا التي تحصل بالحركات من الأجساد و الاستحالات في المواد لأن الآخرة خير و أبقى و أدوم و أعلى و ما هو كذلك فهو أولى و أنسب في الصدور عن المبدأ الأعلى و أهون عليه تعالى كما قال **وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلىٰ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ**.

و اعلم أن الآخرية و الثانوية أنما هي بالقياس إلى حدوثنا و إلا فتلك النشأة هي في نفسها أقدم و أسبق لأنها ما قبل الطبيعة في ترتيب الوجود ذاتا و شرفا و ما بعد الطبيعة نظرا إلى حدوثنا و استكمالاتنا فهذا أيضا يدل على أن الدار

الآخرة موجودة بالفعل و أن الجنة و النار مخلوقتان الآن كما دلت عليه الآيات و الأحاديث الكثيرة.

و مما يدل أيضا على أن إيجاد الأكوان الأخروية أشبه لسنة الله التي هي الإبداع من إيجاد المكونات الدنيوية أن إيجاد هذه المواليد و تبليغها إلى كمالها حاصل

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۶۳

بالتدريج و هي أيضا تدريجية الوجود حدوثا و كمالا و الأخرويات أمور دفعية الوجود حدوثا و كمالا و أن أفراد الأنواع و أشخاص الطبائع المتكثرة الأعداد لا يوجد جميعها دفعة واحدة في آن بل بعضها يوجد قبل و بعضها بعد على سبيل التوالد أو التولد و ما لم تنعدم أمة لا توجد أمة أخرى كما قال تعالى **لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذٰا جٰاءَ أَجَلُهُمْ لاٰ يَسْتَأْخِرُونَ سٰاعَةً وَ لاٰ يَسْتَقْدِمُونَ** بخلاف وجود الصور الأخروية و أشخاصها المنشأة لا على وجه التولد و التوالد **قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلىٰ مِيقٰاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ** لأن وجوده أنما يقع دفعة واحدة بإذن الله في نفخ إسرافيل أرواحهم في صور أجسادهم الكائنة من تلك الأرواح **فَإِنَّمٰا هِيَ زَجْرَةٌ وٰاحِدَةٌ فَإِذٰا هُمْ بِالسّٰاهِرَةِ**

فصل (۸) في اختلاف مذاهب الناس في باب المعاد

إن من الأوهام العامية و الآراء الجاهلية رأي من ذهب إلى استحالة حشر النفوس

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۶۴

و الأجساد و امتناع أن يتحقق في شيء منهما المعاد و هم الملاحدة و الطباعية و الدهرية و جماعة من الطبيعيين و الأطباء الذين لا اعتماد عليهم في الملة و لا اعتداد برأيهم في الحكمة زعما منهم أن الإنسان ليس إلا هذا الهيكل المحسوس حامل الكيفية المزاجية و ما يتبعها من القوى و الأعراض و أن جميعها مما يعدم بالموت- و يفنى بزوال الحياة و لا يبقى إلا المواد المتفرقة فالإنسان كسائر الحيوان و النبات إذا مات فات و سعادته و شقاوته منحصرتان فيما له بحسب اللذات و الآلام البدنية الدنياوية و في هذا تكذيب للعقل على ما رآه المحققون من أهل الفلسفة و للشرع على ما ذهب إليه المحققون من أهل الشريعة و المنقول من جالينوس في أمر المعاد هو التردد و التوقف بناء على توقفه في أمر النفس أنها هل هي المزاج فتفنى بالموت و لا يعاد أم هي جوهر مجرد فهو باق بعد الموت فلها المعاد ثم من المتشبثين بأذيال العلماء من ضم إلى هذا أن المعدوم لا يعاد فإذا انعدم الإنسان بهيكله لم يمكن إعادته و امتنع الحشر و المتكلمون منعوا هذا بمنع امتناع إعادة المعدوم تارة و بمنع فناء الإنسان بفساد هيكله أخرى فقالوا إن للإنسان أجزاء باقية إما متجزئة أو غير متجزئة ثم حملوا الآيات و النصوص الواردة في بيان الحشر على أن المراد جمع الأجزاء المتفرقة الباقية التي هي حقيقة الإنسان و الحاصل أن أصحاب الكلام ارتكبوا في تصحيح المعاد أحد الأمرين المستنكرين المستبعدين عن العقل بل النقل و لا يلزم شيء منهما- بل العقل و النقل حاكمان بأن المعاد في الآخرة هو الذي كان مصدر الأفعال و مبدأ الأعمال مكلفا بالتكاليف و الواجبات و الأحكام العقلية و الشرعية ثم لا يخفى أن عرق

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۶۵

الشبهة لا تنقلع عن أراضي أوهام الجاحدين المنكرين للحشر و القيامة إلا بقطع أصلها و هو أن الإنسان بموته يفنى و

يبطل و لا يبقى لأنه ليس إلا الهيكل مع مزاج أو صورة حالة فيه و قد مر قطع هذا الأصل مستقصى و قد اتفق المحققون من الفلاسفة و المليين على حقية المعاد و ثبوت النشأة الباقية لكنهم اختلفوا في كيفيته فذهب جمهور الإسلاميين و عامة الفقهاء و أصحاب الحديث إلى أنه جسماني فقط بناء على أن الروح عندهم جسم سار في البدن سريان النار في الفحم و الماء في الورد و الزيت في الزيتونة و ذهب جمهور الفلاسفة و أتباع المشائيين إلى أنه روحاني أي عقلي فقط لأن البدن ينعدم بصوره و أعراضه لقطع تعلق النفس عنها فلا يعاد بشخصه تارة أخرى إذ المعدوم لا يعاد و النفس جوهر مجرد باق لا سبيل إليه للفناء فتعود إلى عالم المفارقات لقطع التعلقات بالموت الطبيعي و ذهب كثير من أكابر الحكماء و مشايخ العرفاء و جماعة من المتكلمين كحجة الإسلام الغزالي و الكعبي و الحليمي و الراغب الإصفهاني و كثير من أصحابنا الإمامية كالشيخ المفيد و أبي جعفر الطوسي و السيد المرتضى و العلامة الحلي و المحقق الطوسي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين إلى القول بالمعادين جميعا ذهابا إلى أن النفس مجردة تعود إلى البدن و به يقول جمهور النصارى و التناسخية إلا أن الفرق بأن محققي المسلمين و من يحذو حذوهم يقولون بحدوث الأرواح و ردها إلى البدن لا في هذا العالم بل في الآخرة و التناسخية بقدمها و ردها إلى البدن في هذا العالم و ينكرون الآخرة و الجنة و النار الجسمانيتين.

ثم إن هؤلاء القائلين بالمعادين جميعا اختلفت كلماتهم في أن المعاد من جانب البدن- أ هو هذا البدن بعينه أو مثله و كل من العينية أو المثلية أ يكون باعتبار كل واحد من الأعضاء و الأشكال و التخاطيط أم لا و الظاهر أن هذا الأخير لم يوجبه أحد بل كثير

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۶۶

من الإسلاميين مال كلامهم إلى أن البدن المعاد غير البدن الأول بحسب الخلقة و الشكل- و ربما يستدل عليه ببعض الأخبار المذكورة فيها صفات أهل الجنة و النار ككون أهل الجنة جردا مردا و كون ضرس الكافر مثل جبل أحد و بقوله تعالى **كُلَّمٰا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنٰاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهٰا لِيَذُوقُوا الْعَذٰابَ** و بقوله تعالى **أَ وَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ بِقٰادِرٍ عَلىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ**.

فإن قلت فعلى هذا يكون المثاب و المعاقب باللذات و الآلام الجسمانية غير من عمل الطاعة و ارتكب المعصية.

قيل في الجواب العبرة في ذلك بالإدراك و إنما هو للروح و لو بواسطة الآلات و هو باق بعينه و لهذا يقال للشخص من الصبا إلى الشيخوخة إنه هو بعينه و إن تبدلت الصور و المقادير و الأشكال و الأعراض بل كثير من الأعضاء و القوى و لا يقال لمن جنى في الشباب فعوقب في المشيب إنها عقاب لغير الجاني هذا تحرير المذاهب و الآراء و الحق كما ستعلم أن المعاد في المعاد هو هذا الشخص بعينه نفسا و بدنا فالنفس هذه النفس بعينها- و البدن هذا البدن بعينه بحيث لو رأيته لقلت رأيته بعينه فلان الذي كان في الدنيا- و إن وقعت التحولات و التقلبات إلى حيث يقال هذا ذهب و هذا حديد و ربما ينتهي في كلاهما إلى حيث يتحدان و يصيران عقلا محضا واحدا و من أنكر ذلك فهو منكر للشريعة ناقص في الحكمة و لزمه إنكار كثير من النصوص القرآنية

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۶۷

فصل (٩) في احتجاج المنكرين للمعاد

احتج المنكرون تارة بامتناع إعادة المعدوم كما مر و تارة بأنه لو أكل إنسان إنسانا فالأجزاء المأكولة إن أعيدت في بدن الأكل لم يكن الإنسان المأكول معادا و إن أعيدت في بدن المأكول لم يكن الأكل معادا و إن أعيدت فيهما لزم أن يكون أجزاء بعينها منعمة و معذبة إذا أكل مؤمن كافرا و أجيب في الكتب الكلامية عن الأول بمنع الامتناع في إعادة المعدوم أو بمنع توقف العود عليها و عن الثاني بأن المعاد هو الأجزاء- التي منها ابتداء الخلق و هي الأعضاء الأصلية عندهم و الله تعالى يحفظها و لا يجعلها جزءا كذلك لبدن آخر.

إن للناظرين في أمر المعاد إثباتا و نفيا مشاجرات و مباحثات في الجانبين- ذكرها يؤدي إلى التطويل من غير فائدة و ما أورده المتكلمون من الكلام لا يفي بالإلزام و الإفحام فكيف يتبين المرام و تحقيق المقام و الأولى بحال من اقتصر في تحقيق- هذه الأمور الاعتقادية على مجرد البحث الكلامي أن يستفسر عن هؤلاء المنكرين للمعاد- الجاحدين لأحكام الشريعة بناء على قصور مداركهم عن دركها أنهم هل يدعون الامتناع أو يمنعون الإمكان و الجواز فعلى الأول يقال لهم إن عليكم البينة و إثبات ما ادعيتم- و ما لكم فيما قلتم به من هذا عين و لا أثر و على الثاني كل ما أزيل ظاهره عن الإحالة و الامتناع قام التنزيل الإلهي و الأخبار النبوية الصادرة عن قائل مقدس عن شوب الغلط

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ٩، ص ١٦٨

و الكذب مقام البراهين الهندسية في المسائل التعليمية و الدعاوي الحسابية.

بحث و تحصيل:

إن من الباحثين من حصل وجه الإعادة البدنية بما حاصله أن الشخص إنما يتشخص و يتخصص بخصوصية أجزائه مادة و صورة و بدنا و روحا و ليس خصوص التأليف معتبرا في الشخص بل المعتبر أشخاص الأجزاء بتأليف نوعي لا شخصي باق بعينه ثم إذا بطل التأليف و انحل التركيب المعتبر لم يبق الشخص الأول لا لزوال الأجزاء فإنها باقية بأشخاصها و أعيانها بل لزوال النظم و التأليف المعتبر بينها نوعا ثم إذا حصل مرة أخرى من نوع التأليف المعتبر بين الأجزاء الباقية بعينها عاد الشخص الأول بعينه هذا كلامه.

و يقرب منه ما ذكره بعض أجلة المتأخرين حيث قال قد ذهب بعض المتكلمين إلى جواز إعادة المعدوم و ذهبت الحكماء و بعض المتكلمين إلى امتناعها و هؤلاء البعض القائلين بالمعاد الجسماني المنكرين لإعادة المعدوم لا يقولون بانعدام الأجسام بل بتفرق أجزاؤها و خروجها عن الانتفاع ثم قال ذكرت في حواشي التجريد أن هذا بناء على نفي الجزء الصوري للأجسام و حصر أجزائه في الجواهر الفردة كما هو مذهب المتكلمين و كذا على ما ذهب إليه المصنف حيث قال الجسم هو الصورة الاتصالية و إنها تبقى بعينها حال الانفصال و لو أثبت الجزء الصوري في الأجسام قيل يكفي في المعاد الجسماني كون الأجزاء المادية هي بعينها و لا يقدح فيه تبدل الجزء الصوري بعد أن كان أقرب الصور إلى الصورة الزائلة.

فإن قيل فيكون تناسخا قيل الممتنع عندنا هو انتقال النفس إلى بدن مغاير له بحسب المادة لا إلى بدن متألف من عين مادة هذا البدن و صورة هي أقرب الصور إلى الصورة الزائلة فإن سمي ذلك تناسخا فلا بد من البرهان على امتناعه فإن

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۶۹

النزاع أنما هو في المعنى لا في اللفظ انتهى قوله.

و قال في موضع آخر دليلنا على امتناع التناسخ هو الدلائل السمعية.

و أقول كلام هذين الفاضلين في غاية السخافة و الركاكة مع أنه أقرب إلى الصواب من كلام غيرهما من أهل الكلام في هذا الباب و ذلك لوجوه.

الأول أنه مبني على أن شخص زيد لم ينعدم منه بالموت إلا نسب و إضافات بين أجزائه و نظم و ترتيب بين أعضائه فيلزم أن تكون الحياة من مقولة المضاف و هو ظاهر الفساد.

و الثاني كون أجزاء زيد مثلا منحصرة في الجواهر الفردة لا يلزم أن تكون تلك الجواهر إذا ركبت تكون زيدا سواء كان تركيبا و ترتيبا مطلقا على أي وجه كان أو على نظم مخصوص و إلا لزم على الأول أنها لو ركبت منها كرة مصمتة كانت هذه الكرة زيدا و على الثاني أن يكون زيدا الميت في بعض من الأحيان حيا إذا وقعت أجزاؤه على هذا النظم مع كونه ميتا سواء كان هذا التركيب جزءا منه أو شرطا خارجا عنه- و المحقق الطوسي لم يذهب و لا غيره من العقلاء القائلين بنفي الهيولى إلى أن الجسم المعين- الذي هو فرد للجسم المطلق بالمعنى الذي هو جنس لا بالمعنى الذي هو مادة لا ينعدم بالتفريق إنما الذي لا ينعدم عندهم هو الجسم بمعنى المادة و هو الذي يكون مستمر

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۷۰

الوجود في مراتب الاتصالات و الانفصالات لا ما هو الجسم بالمعنى الجنسي الذي لا وجود له محصلا إلا بصورة أخرى مقومة له مخصصة لطبيعته الجنسية تخصيصا تميزه من بين سائر الأنواع تميزا ذاتيا و قد اتفق جمهور الحكماء و أتباعهم على أن الجسم بما هو جسم مطلق- لا وجود له في الأعيان و لا الجسم المعرى عن كافة الصور الكمالية مما يمكن أن يوجد في الخارج و إنسانية الإنسان ليست بمجرد الجسمية و إلا لكان كل جسم إنسانا و كذا زيدية زيد ليس بمجرد أجزاء مادية كيف كانت و إلا لكان إذا صارت تلك الأجزاء متفرقة متباعدا بعضها عن بعض في أطراف العالم زيدا و كيف يصح لعاقل أن يذهب- إلى أن جسما مخصوصا كهذا الفرس إذا قسم أقساما و فرقت أجزاؤه كان بعينه باقيا حال التفرق.

الثالث أن مفسدة التناسخ بحسب المعنى كما ذكره واردة هاهنا بلا مرية و هي لزوم كون بدن واحد ذا نفسين فإن تلك الأجزاء لو كانت قابليتها لتعلق النفس حين التفرق باقية لم تفارق عنها النفس فكان زيد حال الموت حيا و قد فرض ميتا و إن لم تكن باقية فاحتاجت في قبولها للنفس إلى انضمام أمر إليه به يستعد للقبول فإذا انضم إليها ذلك الأمر و صارت مستعدة باستعداد آخر جديد لا بد أن يفيض عليها من المبدإ الجواد فيض جديد و روح مستأنف فإذا تعلق بها الروح المعاد أيضا كان لبدن واحد روحان و هو ممتنع ثم أي تخصص و مناسبة بقي لأجزاء ترابية متفرقة من بين سائر الأجسام لبقاء ارتباط النفس بها و لو كان ارتباطا ضعيفا فإن كل علاقة و ارتباط بين شيئين دون سائر الأشياء أنما يتحقق بأن يكون كل منهما أنسب الأشياء إلى الآخر و نحن نرى كثيرا من المواد التي لها مزاج قريب من مزاج الحيوان و كيفية قريبة من كيفيته يكون بها يستحق المادة لفيضان صورة حيوانية فهي أولى بتعلق النفس إليها من تلك الأجزاء الرمادية التي لم يبق لها استحقاق قبول صورة جمادية فضلا عن النباتية فضلا عن الحيوانية- فضلا عن الإنسانية فضلا عن

الزيدية و كل من له أدنى إدراك إذا رجع إلى وجدانه يعلم يقينا أن لا التفات و لا اشتياق و لا استيناس للنفس بجسم من بين سائر الأجسام أو بأجزاء جسمية من بين سائر الأجزاء إلا بأن يكون له أو لها كيفية محسوسة ملاءمة أو هيئة

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۷۱

مناسبة قل لي أيها العاقل المتأمل أي تعلق و تشوق يكون للنفس بأجزاء مبثوثة في الهواء أو مغمورة في باطن الأرض أو الماء بحيث لا يتميز عند الحس أو الخيال عن غيرها من الأجزاء و إن كان لها تميز في نفس الأمر و في علم الله امتيازا لا يوجب الاختصاص لهذا الأمر أصلا و ليست أيضا عند انحلال التركيب و فساد القوى البدنية قوة ذاكرة للنفس عندهم حتى يكون بقاء البدن الشخصي في الحافظة مخصصا لتعلق النفس بالأجزاء التي منها ركب البدن و بعد تسليم وجود الذكر و كونه مخصصا فهو إنما يوجب تخصيص تعلق النفس بهذا البدن المعاد دون سائر الأبدان لا لتعلق هذه النفس به دون نفس أخرى و الذي ينفع لهم في دفع مفسدة التناسخ على تقدير صحته هو الثاني دون الأول- إذ الكلام في كون مادة بدنية حادثة مستدعية لفيضان نفس حادثة فيلزم وجود نفسين لبدن واحد و هو آت بعينه هاهنا على ما سبق فالمصير في دفع هذه المفاسد و التكلفات البعيدة- و التمحلات الركيكة كلها إلى ما تفردنا بتحقيقة و جعله الله نصيبنا من الحكمة المتعالية- كسائر نظائره من الفرائد الزاهرة التي يحكم بصحتها و يعرف شرف قدرها و نوريتها من بين كلمات أصحاب الأفكار و أرباب الأنظار كل من سلك سبيل الله و كوشف بالأنوار الإلهية و الأسرار كما يعرف الجوهري قيمة اليواقيت اللامعة و الدرر الزاهرة من بين سائر الأحجار

فصل (۱۰) في تفاوت مراتب الناس في درك أمر المعاد و تفاضل مقاماتهم في ذلك

اعلم أن لأهل الإيمان و الاعتقاد بحقية الحشر و المعاد و بعث الأجساد حسب ما ورد في الشريعة الحقة مقامات.

المقام الأول

أدناها في التصديق و أسلمها عن الآفات مرتبة عوام أهل الإسلام و هو

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۷۲

أن جميع أمور الآخرة من عذاب القبر و الضغطة و المنكر و النكير و الحيات و العقارب و غيرها أمور واقعة محسوسة من شأنها أن يحس بهذه الباصرة لكن لا رخصة من الله في إحساس الإنسان ما دام في الدنيا لحكمة و مصلحة من الله في إخفائها عن عيون الناظرين كما يدل عليه ظاهر بعض الآيات و صورة الروايات.

المقام الثاني

أن تلك الأمور الموعودة بها أو المتوعد عليها في عالم الآخرة هي مثل ما يرى في المنام كلها أمور خيالية و صور مثالية لا وجود لها في الخارج كما لا وجود لها عينيا لما يراه الإنسان في نومه من الحيات و العقارب التي تلدغها إلا أنها كثيرا ما يتألم منها في النوم حتى يراه يصيح في نومه و يعرق و ينزعج من مكانه انزعاجا شديدا و كذا في جهة اللذة فإنه ربما يلتذ بشيء في النوم التذاذا شديدا لا يلتذ مثل هذا الالتذاذ و السرور في اليقظة كل ذلك يدركه النائم من نفسه و يتأذى أو يلتذ به و يشاهد كثيرا من الصور و الأشكال و يفعل أفاعيل خيالية و أنت ترى ظاهره ساكنا و لا يرى حواليه حية موجودة- و هي موجودة في حقه و العذاب حاصل في حقه و لكنه غير مشاهد و إذا كان العذاب في ألم اللدغ فلا فرق

بين حية يتخيل أو يشاهد و كذا الحال في الجنات و الأشجار و الأنهار- و المواضع النزهة و الأشخاص الكريمة التي يراها و يسر بها في نومه حاصلة له موجودة في حقه إدراكا ذهنيا لا عينيا خارجيا و لا مشاهدة بالحواس الظاهرة و هذا هو الذي مال إليه الشيخ في باب جنة الناقصين في العلم و نار القاصرين في العمل من الفساق و غيرهم و تبعة الغزالي على ما مر كما يظهر من كتبه و رسائله و قد نقلنا نبذا من كلامه في ذلك.

المقام الثالث

في الاعتقاد بالصور الموعودة يوم المعاد و توجيهه بأحد وجهين.

الأول أن تلك الصور المحسوسة المذكورة في لسان الشرع إشارة إلى صور عقلية

مفارقة واقعة في عالم العقول الصرفة حسب ما ذهب إليه أفلاطون و شيعته من أن

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۷۳

لكل نوع من الأنواع المحسوسة مثلا عقليا و صورة مفارقة في عالم العقل و لا يخفى أن مشاهدة الأمور الأخروية على هذا الوجه العقلي مختص بأهل المعرفة و الكاملين في العلم- دون المتوسطين و الناقصين من العقول الساذجة و النفوس الساكنة و هم أكثر أهل الجنة كما ورد في الخبر أكثر أهل الجنة البله و عليون ذوو الألباب و لذلك ذكر الغزالي في بعض رسائله بعد ذكر الوجوه الثلاثة كلاما بهذه العبارة و جميع هذه الأقسام ممكنة فيجوز أن يجمع بين الكل و يجوز أن يصيب كل واحد بقدر استعداده فالمحمود على الصورة المشعوف بالتقليد لن ينفتح له طريق الحقائق و لا يتمثل له هذه الصور العقلية و العارفون المستصغرون بعالم الصور و اللذات المحسوسة يفتح لهم من لطائف السرور و اللذات العقلية- ما يليق بهم و يشفي شرههم و شهوتهم إذ حد الجنة أن فيها لكل امرئ ما يشتهيه فإذا اختلفت الشهوات لم يبعد أن تختلف العطيات و اللذات و القدرة واسعة و القدرة البشرية عن الإحاطة بعجائب القدرة قاصرة و الرحمة الإلهية ألقت بواسطة النبوة على كافة الخلق القدر الذي احتملت أفهامهم فيجب التصديق بما فهموه و الإقرار بما وراء منتهى العلم من أمور يليق بالكرام الإلهيين انتهى كلامه.

و الوجه الثاني أن يكون هذه الأمور كناية عما يلزمها من فنون السرور

أو الآلام- و هو المراد من قول الغزالي في بيان المرتبة الثالثة إنه لو رأى أحد في المنام الخضرة و الماء الجاري و الوجه الحسن و الأنهار و الأمطار الممطرة باللبن و العسل و الخمر و الأشجار المزينة بالجواهر و اليواقيت و اللئالي و القصور المبنية من الذهب و الفضة و الأسورة المرصعة بالجواهر و الغلمان المتمثل بين يديه للخدمة لكان المعبر يعبر ذلك بالسرور و لا يحمله على نوع آخر من السرور يرجع بعضه إلى سرور العلم و كشف المعلومات و بعضه إلى

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۷۴

سرور المملكة و بعضه إلى مشاهدة الأصدقاء و إن اشتمل الجميع اسم اللذة و السرور- فهي مختلفة المراتب مختلفة الذوق لكل واحد مذاق يخالف الآخر فكذلك اللذات العقلية ينبغي أن يفهم كذلك و إن كانت مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر انتهى.

ثم بين كون تلك الأمور الموعودة كناية عن اللذات و الآلام العقلية بأن الحية بنفسها لا تؤلم بل الذي يلقاك منها هو

السم ثم السم ليس هو الألم بل عذابك في الأثر- الذي يحصل فيك من السم فلو حصل مثل ذلك الأثر من غير السم لكان العذاب قد يؤثر و كان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب إلا بأن يضاف إلى السبب الذي هو يفضي إليه في العادة فإنه لو خلق في الإنسان لذة الوقاع مثلا من غير مباشرة صورة الوقاع لم يمكن تعريفها إلا بالإضافة إليه لتكون الإضافة للتعريف بالسبب و يكون ثمرة السبب حاصلة و إن لم يحصل صورة السبب و السبب لثمرته لا لذاته و هذه الصفات المهلكات- تنقلب مؤذيات و مؤلمات في النفس عند الموت فيكون آلامها كألم اللدغ و اللسع من غير وجود حيات و عقارب و انقلاب الصفة مؤذية يضاهي انقلاب العشق مؤذيا عند موت المعشوق فإنه كان لذيذا فصار اللذيذ بنفسه مؤلما حتى نزل بالقلب من أنواع العذاب ما يتمنى معه أنه لم يكن قد تنعم بالعشق و الوصال بل هذا بعينه أحد أنواع عذاب الميت.

المقام الرابع

في الاعتقاد بالصور التي في الآخرة هو مقام الراسخين في العرفان

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۷۵

الجامعين بين الذوق و البرهان و هو الإذعان اليقيني بأن هذه الصور التي أخبرت بها الشريعة و أنذرت بها النبوة موجودات عينية و ثابتات حقيقية و هي في باب الموجودية و التحقق أقوى و أتم و أشد و أدوم من موجودات هذا العالم و هي الصور المادية بل لا نسبة بينهما في قوة الوجود و ثباته و دوامه و ترتب الأثر عليه و هي على درجات بعضها صور عقلية هي جنة الموحدين المقربين و بعضها صور حسية ملذة هي جنة أصحاب اليمين و أهل السلامة و المسلمين أو مؤلمة هي جحيم أصحاب الشمال من الفاسقين أو الضالين و المكذبين بيوم الدين و لكن ليست محسوساتها كمحسوسات هذا العالم بحيث يمكن أن يرى بهذه الأبصار الفانية و الحواس الداثرة البالية كما ذهب إليه الظاهريون المسلمون و لا أنها أمور خيالية و موجودات مثالية لا وجود لها في العين كما يراه بعض أتباع الرواقيين و تبعهم آخرون و لا أنها أمور عقلية أو حالات معنوية و كمالات نفسانية و ليست بصور و أشكال جسمانية و هيئات مقدارية كما يراه جمهور المتفلسفين من أتباع المشائيين بل إنما هو صور عينية جوهرية موجودة لا في هذا العالم الهيولاني محسوسة لا بهذه الحواس الطبيعية بل موجودة في عالم الآخرة محسوسة بحواس أخروية نسبة الحاس إلى الحاس كنسبة المحسوس إلى المحسوس و عالم الآخرة جنس لعوالم كثيرة كل منها مع تفاضلها أعظم و أشرف من هذا العالم و كذلك للإنسان و حواسه نشئات كثيرة غير هذه النشأة الهيولية المستحيلة الكائنة الفاسدة و لذلك قال تعالى **عَلىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثٰالَكُمْ وَ نُنْشِئَكُمْ فِي مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ** و قال تعالى **وَ لَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجٰاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلاً** و قال تعالى بعد خلق النطفة و العلقة و المضغة و هي أطوار طبيعية مادية **ثُمَّ أَنْشَأْنٰاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبٰارَكَ اللّٰهُ أَحْسَنُ الْخٰالِقِينَ** إشارة إلى شرف نشأة الروح و قال تعالى **وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوٰاراً** ثم نشأة الولاية لمن يفوز بها نشأة أخرى أعلى عن نشأة أصل الروح ثم نشأة النبوة و ظهور خاصيتها أشرف من نشأة أصل الولاية و الله تعالى منشئ النشئات و باعث الأموات

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۷۶

و ناشر الكتب و الصحائف و الرسائل يوم النشور و هو محصل ما في الصدور و مخرج ما في القبور و حقيقة البعث يرجع إلى إحياء الموتى و نزع الصور من المواد و إخراج الأرواح من الأجساد بإنشائهم نشأة أخرى و تبديل وجودهم بوجود أرفع و أنور و أعلم فإن الجهل هو الموت الأكبر و العلم هو الحياة الأشرف و قد ذكر الله تعالى في كتابه العلم و الجهل و سماهما حياة و موتا كما سماهما نورا و ظلمة بقوله تعالى **أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ** الآية و اعلم أن لكل نفس من نفوس السعداء في عالم الآخرة مملكة عظيمة الفسحة- و عالما أعظم و أوسع مما في السماوات و الأرضين و هي ليست خارجة عن ذاته بل جميع مملكته و مماليكه و خدمه و حشمه و بساتينه و أشجاره و حوره و غلمانه كلها قائمة به و هو حافظها و منشئها بإذن الله تعالى و قوته و وجود الأشياء الأخروية و إن كانت تشبه الصور التي يراها الإنسان في المنام أو في بعض المرايا لكن يفارقها بالذات و الحقيقة أما وجه المشابهة فهو أن كلا منها بحيث لا يكون في موضوعات الهيولى و لا في الأمكنة و الجهات لهذه المواد و أن لا تزاحم بين أعداد الصور لكل منهما و أن شيئا منهما لا يزاحم لشيء من هذا العالم في مكانه أو زمانه فإن النائم ربما يرى أفلاكا عظيمة و صحارى واسعة و مفاوز نائية مثل الذي يراه في يقظة هذا العالم و هي مع كونها مغايرة لما في الخارج بالعدد لكن لا تزاحم و لا تضايق بينها فكذلك ما يراه الإنسان بعد الموت و في القبر لا تزاحم و لا تضايق بينه و بين هذه الأجسام فالميت يرى في قبره ما لا يسع فيه لو كان من أجرام هذا العالم و أما وجه المباينة فهو أن نشأة الآخرة و الصور الواقعة فيها قوية الجوهر شديدة الوجود عظيمة التأثير إلذاذا و إيلاما و هي أقوى و أشد و آكد و أقوى من موجودات هذا العالم فكيف من الصور المنامية و المرآتية و نسبة النشأة الآخرة إلى الدنيا كنسبة الانتباه إلى نشأة النوم

كما في قوله ع: الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا

و قد سبقت الإشارة إلى كيفية وجود الصور الأخروية في عدة مواضع من هذا الكتاب

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۷۷

و أما بيانها على النهج التفصيلي البرهاني و المسلك التعليمي اللمي على النظم الميزاني بإيراد ما يتوقف إثباتها عليه من المقدمات و الأصول الضرورية و القواعد الكلية البرهانية بحيث لم يبق لأحد بعد الاستماع مجال للبحث و الإنكار و لا مساغ للمنع و الاستنكار إلا لقصور الطبع أو سوء الفهم و الاعوجاج أو مرض العناد و الاستنكار فقد قرب إنجاز موعده و إبراز سره و مقصده إن شاء الله تعالى.

و أما إجماله فبأن يعلم أن النفس الإنسانية لكونها من سنخ الملكوت و نشأة القدرة و القوة على اختراع الصور من غير مادة لكن الصور التي يخترعها حين تعلقها بهذا البدن العنصري الكثيف المركب من الأضداد و ما يحتاج إليه من جلب المنافع و دفع المضار و غير ذلك من التدابير و التصرفات الشاغلة لا تكون إلا ضعيفة الوجود ناقصة الكون لا يترتب عليها الآثار المطلوبة منها و لا تكون أيضا ثابتة مستقرة بل زائلة متغيرة لأن مظهرها الآن جرم بخاري في الدماغ و هو دائم التحلل و التجدد و الزوال و الانتقال حسب اختلاف أمزجة العضو الدماغي من جهة ما يرد عليه من المغيرات الداخلية و الخارجية- حتى لو فرض وجود تلك الصور أقوى و أدوم مما كانت من جهة عدم الشواغل و جمع الهمة- و عزل سائر القوى البدنية عن فعلها لكانت الآثار المطلوبة مترتبة عليها و لم يبق فرق حينئذ بين الصور المتخيلة و الموجودة في العين و لكان الخيال حسا و المتخيل محسوسا- أ لا ترى أنه كلما استراحت النفس من الاشتغال و

الحركات الضرورية في حفظ هذا البدن المجتمع من الأمور المتنافرة المتداعية إلى الانفكاك و تعطلت الحواس الظاهرة عن فعلها- إما بالنوم أو الإغماء أو بانصراف توجه النفس عن استعمالها إلى الجنبة العالية بقوة فطرية- أو مكتسبة اغتنمت الفرصة و رجعت إلى ذاتها بعض الرجوع لا كله لأن القوى الطبيعية و النباتية و غيرها مستعملة و إلا لحدث الموت و تعفن البدن برطوباته فبهذا الرجوع أصبحت النفس مخترعة للصور مشاهدة إياها بحواسها التي في ذاتها بلا مشاركة البدن- فإن لها في ذاتها سمعا و بصرا و شما و ذوقا و لمسا إذ لو لم تكن لها في ذاتها هذه الخمسة- فكيف يكون الإنسان حالة النوم أو الإغماء يبصر و يسمع و يشم و يذوق و يلمس مع أن حواسه الظاهرة معطلة عن إدراكاتها بل هي أتم و أصفى لأن هذه كالقشور لها و كما

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۷۸

أن هذه الخمسة البدنية ترجع إلى حس واحد هو الحس المشترك فجميع حواس النفس و قواها المدركة و المحركة ترجع إلى قوة واحدة هي ذاتها النورية الفياضة بإذن الله و بحوله و قوته و يصير حال رجوعها من هذا العالم إلى ذاتها إدراكها للأشياء عين قدرتها- فإذا كان رجوعها إلى ذاتها و هي بعد متصرفة في البدن بعض التصرف منشأ اختراع الصور على هذا المنوال فما ظنك إذا انقطعت العلائق و العوائق كلها و رجعت إلى ذاتها و ذات مبدعها كل الرجوع ثم أ و لا تنظر و لا تتأمل في أن هذه النفوس الإنسانية كلما كانت أتم قوة و أقوى تجوهرا كانت أقل مزاحمة و معاوقة لقواها إما لفتورها و ضعفها كما للمجانين و المرضى أو بسبب آخر قدسي كما للأنبياء و الأولياء أو باستعمال أمور مدهشة للحواس- محيرة لها كما للكهنة و السحرة كانت ملاقاتها للصور الغائبة و مشاهدتها إياها أقوى- و تأثيرها رغبة و رهبة و تلذذا و تألما أكثر و أعظم و ربما يوجد بعض النفوس المستعلية- عن القيود الدنيوية النافضة عن أذيالنا غبار المحسوسات من الذين يلتفتون إلى أغراض هذا العالم و لا ينظرون إلى الدنيا إلا بعين الاحتقار و الاعتبار لا يشغلهم شأن عن شأن- و لا يحجبهم مقام عن مقام و لا يلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله و تذكر عالم الآخرة- فقوتهم يفي بضبط الجانبين و حفظ النشأتين فهي كالمبادي الفعالة ذاتا و فعلا فتقدر على إيجاد أمور صورية إدراكية يكون إيجادها عين شهودها و ربما يشغل بعض المكاشفين شهود صور ذلك الموطن عن شهود صور هذا الموطن في اليقظة و سلامة الآلات على عكس حال المحجوبين و إن كان ذلك أيضا نوع حجاب لكنه نادر عزيز جدا حجبت عيونهم بالأخرة عن الدنيا فجميع ما ذكرناه من الأحوال إنما يكون لظهور سلطان الآخرة- على بعض النفوس بوجه من الوجوه فهذا أنموذج من معرفة أحوال الآخرة و أحكامها للنفوس فكل نفس من النفوس إذا انقطع تعلقها عن البدن بالموت و خلت و بخراب البيت

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۷۹

ارتحلت تصير حواسها الباطنية لإدراك أمور الآخرة أشد و أقوى فتشاهد الصور العينية الموجودة في تلك الدار و لا يختص ذلك بنفس دون نفس كما لا يختص قوة الإحساس بهذه الحواس في الدنيا بنفس دون نفس فإذا انقطع تعلقها عن هذا البدن اضطرارا أو اختيارا يجب لها انكشاف الأمور المناسبة لأعمالها و أفعالها و نياتها و اعتقاداتها كما في قوله تعالى- **فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ** فإن كانت أفعالها حسنة و نياتها صحيحة فروح و ريحان و جنة

نعيم و إن كانت أفعالها قبيحة و اعتقاداتها ردية فنزل من حميم و تصلية جحيم

فصل (۱۱) في التنبيه على شرف علم المعاد و علو مكانه و سمو معرفة بعث الأرواح و الأجساد و عظم شأنها

اعلم أن هذه المسألة بما فيها من أحوال القبر و البعث و الحشر و النشر و الحساب- و الكتاب و الميزان و مواقف العرض و الصراط و الجنة و طبقاتها و أبوابها و النار و أبوابها و دركاتها هي ركن عظيم في الإيمان و أصل كبير في الحكمة و العرفان و هي من أغمض العلوم و ألطفها و أشرفها مرتبة و أرفعها منزلة و أسناها قدرا و أعلاها شأنا- و أدقها سبيلا و أخفاها دليلا إلا على ذي بصيرة ثاقبة و قلب منور بنور الله قل من اهتدى إليها من أكابر الحكماء السابقين و اللاحقين و مشاهير الفضلاء المتقدمين و المتأخرين فأكثر الفلاسفة و إن بلغوا جهدهم في أحوال المبدإ من التوحيد و التنزيه في الذات و الصفات و سلب النقائص و التغيرات في الأفعال و الآثار لكنهم قصرت أفكارهم عن درك منازل المعاد و مواقف الأشهاد لأنهم لم يقتبسوا أنوار الحكمة من مشكاة نبوة هذا النبي الخاتم عليه و على آله الصلاة الكبرى و التقديس الأشرف الأتم الأوفى- حتى أن رئيسهم اعترف بالعجز عن إثبات ضرب من المعاد بالدليل العقلي و هو

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۸۰

الذي لمعظم الخلائق و جل النفوس و الأرواح بل كلهم إلا عددا قليلا في كل زمان من المقربين و عجزوا أيضا عن معاد النفوس المتوسطة حتى اضطر بعضهم إلى القول بتعلقها بعد الموت بأجرام فلكية و عن معاد النفوس الهيولانية فالتجأ الإسكندر الأفروديسي إلى القول ببطلانها و إنما ذهب أكثرهم إلى إثبات المعاد الروحاني فقط فالجنة و نعيمها و حورها و قصورها و أشجارها و أنهارها ليست إلا إدراك المعقولات و الابتهاج بها و النار و قيودها و سلاسلها و حميمها و زقومها كناية عن رذائل الأخلاق و ذمائم الصفات خصوصا الجهل المركب و التعذب بها ثم إن أكثر الإسلاميين يرون و يعتقدون- بأن الإنسان ليس شيئا سوى هذه البنية المحسوسة أعني الجسد المركب من اللحم- و الدم و العظم و العروق و ما شاكلها من الأجسام و ما يحلها من الأعراض و الكيفيات الفعلية و الانفعالية على هيئة مخصوصة هي الصورة الإنسانية عندهم تلك الأجسام مادتها أو مواد تلك الأجساد مادتها فهم في الحقيقة لا يعرفون أمر البعث و لا يتصورون حقيقة القيامة ضميرا و قلبا و إن أقروا بها لسانا و بذلك جرى عليهم حكم المسلمين فالقيامة ليست عندهم إلا إعادة هذه الأجساد المعدومة برمتها و الأعراض بعينها على هذه الحال- التي هي عليها في الدنيا و أكثر أبناء زماننا و إن قالوا بتجرد النفس لكنهم في غفلة عريضة عن إنيتها و كيفية درجاتها و دركاتها و منازلها و مصاعدها و أنها من الله مطلعها و إليه مغيبها و مرجعها إما مشرقة زاهرة في عليين أو مظلمة ناكسة رأسها إلى أسفل سافلين فمن عرف حقيقة النفس و ماهيتها و إنيتها و كيفية تعلقها بالبدن أولا ثم ارتفاعها و اشتداد وجودها شيئا فشيئا ثم انبعاثها عنه ثانيا ثم رجوعها إلى العقل بالفعل ثالثا ثم مصيرها في الأخير إلى الله تعالى فكانت طبعا ثم نفسا ثم عقلا ثم مطموسا نورها في نور الأحدية فهو العارف الرباني و من جهل نفسه و لم يعلم حقيقة ذاتها فهو جاهل بحقيقة المعادين جميعا و هو بمعرفة خالقه أجهل.

و العجب من أكثر المنتسبين إلى العلم كيف قنعوا بمرتبة العوام و الناقصين كالنساء و الصبيان حيث لم يشتغلوا تمام عمرهم بالبحث عن حقيقة النفوس و أنها كيف مآلها و إلى ما ذا يصير حالها مع اشتغالهم طول دهرهم بفروع خلافية

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۸۱

فتركوا الواجب العيني و اشتغلوا بفروض الكفايات.

و اعلم أن الاعتقاد بالمعاد على هذا الوجه العامي جيد للجهال و العوام و أرباب الحرف و الصنائع و أهل المعاملات و التجارات الذين لا يمكنهم النظر في حقائق الأمور و لا التأمل في المبادي الذاتية و الغايات الطبيعية فهم مكلفون باعتقادات رسمية في باب الآخرة و ذلك لأنهم متى اعتقدوا هذا الرأي في المعاد و تحققوا هذا الاعتقاد يكون ذلك حثا لهم على عمل الخير و ترك الشرور و اجتناب المعاصي و فعل الطاعات و أداء الأمانات و ترك الخيانات و الوفاء بالعهود و صحة المعاملة و النصيحة فيها و حسن العشيرة و خصال كثيرة محمودة في هذا الباب.

و أما ما تزين به محققو المليين و أفاضل المسلمين فهو أن مع هذه الأجساد جواهر أخرى هي أشرف و أنور و ليست هي بأجسام كثيفة بل هي أرواح لطيفة تخرج عن هذه الأبدان عند الموت فلا يتصور عندهم أمر البعث و القيامة إلا برد تلك الأرواح إلى تلك الأجساد أو أجساد أخر مثلها يقوم مقامها يحشرون و يثابون أو يعاقبون بما عملوا من خير أو شر فهذا الرأي أجود و أقرب إلى الحق.

و أما من كان فوق هذه الطوائف في المعرفة و اليقين لرسوخه في العلم و شدة ارتياضه بالحكمة فهو يرى و يعتقد في أمر المعاد شيئا لا يعرف كنهه إلا الله و الراسخون في العلم.

و اعلم أن الكتب الإلهية المنزلة على الأنبياء ع مختلفة الظواهر في باب البعث و القيامة و إن كانت بواطنها متفقة الأصل و ذلك لدقة المطلب و غموضه كما مر ذكره ففي التوراة أن أهل الجنة يمكثون في الجنة خمسة عشر ألف سنة ثم

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۸۲

يصيرون ملائكة و أن أهل النار يمكثون في الجحيم كذا أو أزيد ثم يصيرون شياطين- و في الإنجيل أن الناس يحشرون ملائكة لا يطعمون و لا يشربون و لا ينامون و لا يتوالدون و في القرآن من الآيات ما تدل على أن أفراد البشر يبعثون على صفة التجرد و الفردانية كقوله تعالى **كُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَرْداً** و أن الناس يحشرون كما خلقهم الله أول مرة لقوله تعالى **كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ** و في بعضها ما يدل على أنهم يكونون على صفة التجسم كقوله تعالى **يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلى وُجُوهِهِمْ** و قوله تعالى **يَوْمَ يُحْمى عَلَيْها فِي نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوى بِها جِباهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ** و كذلك سؤال إبراهيم ع عن الله تعالى **رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتى** و الجواب بقوله تعالى **فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ** الآية و قول عزير كما حكى الله عنه- **أَنَّى يُحْيِي هذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِها فَأَماتَهُ اللهُ مِائَةَ عامٍ** الآية و مكث أصحاب الكهف في النوم ثلاثمائة و تسع سنين و قول الله فيهم **وَ كَذلِكَ أَعْثَرْنا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ** فبعض هذه النصوص يدل على أن المعاد للأرواح و بعضها على أنه للأبدان و قد جل كلام الله و كتبه النازلة على رسله عن أن يشتمل على التناقض و سنشير إلى وجه الموافقة- و قد وقع شبه هذه الأخبار المنقولة عن الكتب الإلهية منقولا في الأحاديث النبوية- و كذا في كلام أساطين الحكمة المقتبسين أنوار علومهم من مشكاة النبوة و مبادي الوحي- دون متأخريهم المقتصرين على البحث مثل ما ذكر قال سقراط معلم أفلاطون و أما

الحکمة المتعالیة فی الاسفار العقلیة الاربعة، ج۹، ص ۱۸۳

الذين ارتكبوا الكبائر فإنهم يلقون في طرطاوس و لا يخرجون منه أبدا و أما الذين ندموا على ذنوبهم مدة عمرهم أو قلت آثامهم و قصرت عن تلك الدرجة فإنهم يلقون في طرطاوس سنة كاملة يتقدون ثم يلقاهم الموج إلى موضع ينادون خصومهم يسألونهم الإحضار على القصاص لينجوا من الاتقاد فإن رضوا و إلا أعيدوا إلى طرطاوس و لم يزل ذلك دأبهم إلى أن يرضى خصومهم عنهم و الذين كانت سيرتهم فاضلة يتخلصون من هذه المواضع من هذه الأرض و يستريحون من هذه المحابس و يسكنون الأرض النقية.

قال المترجم طرطاوس شق كبير و أهوية يسيل إليه الأنهار على أنه يصفه بما يدل على التهاب النيران كما في قوله تعالى **وَ إِذَا الْبِحٰارُ سُجِّرَتْ** و قوله **وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ**.

و قال أستاد الفلاسفة النفس إذا سلكت علوا و لم تبلغ إلى العالم الأعلى بلوغا تاما وقفت بين العالمين و كانت بين الأشياء العقلية و الحسية متوسطة بين العقل و الحس- غير أنها إذا أرادت أن يسلك علوا سلكت بأهون سعي و لم يشتد عليها ذلك بخلاف ما إذا كانت في العالم السفلي ثم أرادت الصعود إلى العالم العقلي فإن ذلك مما يشتد عليها.

و أما بيان رفع التناقض بين الآيات و الكلمات المنقولة و التحقيق في التوفيق بينها- فهو أن الأبدان الأخروية متوسطة بين العالمين جامعة للتجرد و التجسم مسلوب عنها كثير من لوازم هذه الأبدان الدنيوية فإن البدن الأخروي كظل لازم للروح- و كحكاية و مثال له بل هما متحدان في الوجود بخلاف هذه الأبدان المستحيلة الفاسدة- و إن الدار الآخرة و أشجارها و أنهارها و غرفاتها و مساكنها و الأبدان التي فيها كلها صور إدراكية وجودها عين مدركيتها و محسوسيتها و قد علمت مرارا أن الصورة المحسوسة وجودها في نفسها عين محسوسيتها و محسوسيتها عين وجودها للجوهر الحاس

الحکمة المتعالیة فی الاسفار العقلیة الاربعة، ج۹، ص ۱۸۴

و كذلك حكم الصور المعقولة في أن وجودها في نفسها و معقوليتها و وجودها للجوهر العاقل كلها شيء واحد بلا اختلاف جهة و لذلك قال تعالى **إِنَّ الدّٰارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوٰانُ لَوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ** معناه أن الحياة ذاتية لتلك الأجسام بخلاف أجسام الدنيا و أبدانها فإنها في ذواتها ميتة الجواهر مظلمة الذوات مجهولة الأكوان في أنفسها إلا بصور إدراكية زائدة عليها و إن الحياة واردة عليها من خارج و قد علمت أيضا منا في مباحث العقل و المعقول من الفن الكلي من الحكمة أن الصورة العقلية متحدة بالعاقل- و كذلك الصورة المحسوسة متحدة بالحاس فالأبدان الأخروية عين النفوس بخلاف هذه الأبدان الدنيوية.

و وجه آخر في الموافقة أن نحو وجود السعداء و أهل الجنة أرفع و أعلى من نحو وجود الأشقياء و أصحاب النار و الكاملون المقربون أعلى و أرفع منها جميعا- فالتجرد لقوم و التجسم لقوم آخرين و هاهنا أوان الشروع في ما وعدناه من تحقيق المعاد الجسماني و بعث الأبدان و ما ينوط بذلك من أحوال الآخرة بمقدمات يقينية و أصول برهانية تناسب أهل البحث فلنشرع فيه مستعينا بالله و ملكوته

الحکمة المتعالیة فی الاسفار العقلیة الاربعة، ج۹، ص ۱۸۵

الباب الحادي عشر في المعاد الجسماني و ما يرتبط به من أحوال الآخرة و مقاماتها و فيه فصول

فصل (١) في ذكر أصول يحتاج إليها في إثبات هذا المقصد أو ينتفع بها فيه

و هذه الأصول و المقدمات قد مر بيانها في هذا الكتاب مستقصى لكن الغرض استحضارها و اجتماعها لئلا يذهل عنها و يقع إعمال الروية فيها و هي هذه.

الأصل الأول أن الوجود في كل شيء هو الأصل في الموجودية و الماهية تبع له

و أن حقيقة كل شيء هو نحو وجوده الخاص به دون ماهيته و شيئيته و ليس الوجود كما زعمه أكثر المتأخرين أنه من المعقولات الثانية و الأمور الانتزاعية التي لا يحاذي بها أمر في الخارج بل حق القول فيه أن يقال إنه من الهويات العينية التي لا يحاذيها أمر ذهني و لا يمكن الإشارة إليها إلا بصريح العرفان الشهودي.

الأصل الثاني أن تشخص كل شيء و ما يتميز به هو عين وجوده الخاص

و أن الوجود و التشخص متحدان ذاتا متغايران مفهوما و اسما و أما المسمى عند القوم بالعوارض المشخصة فليست إلا أمارات و لوازم للهوية الشخصية الوجودية لا بأعيانها و أشخاصها بل على سبيل البدلية في عرض يكون لها من حد إلى حد فيتبدل كثير منها بل كلها و الشخص هو هو بعينه.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ٩، ص ١٨٦

الأصل الثالث أن طبيعة الوجود قابلة للشدة و الضعف

بنفس ذاتها البسيطة- التي لا تركيب فيها خارجا و لا ذهنا و لا اختلاف بين أعدادها بمميز فصلي ذاتي أو بمصنف عرضي أو بمشخص زائد على أصل الطبيعة و إنما تختلف أفرادها و آحادها بالشدة و الضعف الذاتيين و التقدم و التأخر الذاتيين و الشرف و الخسة الذاتيين إلا أن المفهومات الكلية الصادقة عليها بالذات المنتزعة عنها لذاتها و هي المسماة بالماهيات- متخالفة بحسب الذات اختلافا جنسيا أو نوعيا أو عرضيا و لهذا يقال إن الوجود مختلف الأنواع و إن مراتب الأشد و الأضعف أنواع متخالفة.

الأصل الرابع أن الوجود مما يقبل الاشتداد و التضعف

يعني أنه يقبل الحركة الاشتدادية و أن الجوهر في جوهريته أي وجوده الجوهري يقبل الاستحالة الذاتية و قد ثبت أن أجزاء الحركة الواحدة المتصلة و حدودها ليست موجودة بالفعل على نعت الامتياز- بل الكل موجود بوجود واحد فليس شيء من تلك الماهيات التي هي بإزاء تلك المراتب الوجودية موجودة بالفعل بوجودها على وجه التفصيل بل لها وجود إجمالي كما في أجزاء الحد على ما أوضحناه سابقا.

الأصل الخامس أن كل مركب بصورته هو هو

لا بمادته فالسرير سرير بصورته

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ٩، ص ١٨٧

لا بمادته و السيف سيف بحدته لا بحديده و الحيوان حيوان بنفسه لا بجسده و إنما المادة حاملة قوة الشيء و إمكانه و موضوعة انفعالاته و حركاته حتى لو فرضت صورة المركب قائمة بلا مادة لكان الشيء بتمام حقيقته موجودا و بالجملة

نسبة المادة إلى الصورة نسبة النقص إلى التمام فالنقص يحتاج إلى التمام و التمام لا يحتاج إلى النقص و كذلك الفصل الأخير في الماهيات المركبة من الأجناس و الفصول كالناطق في الإنسان هو أصل الماهية النوعية و سائر الفصول و الأجناس من اللوازم الغير المجعولة لهذا الأصل فقد يقع في تعريفه الحدي و إنما دخولها في الحد بما هو محدود و توضيح هذا المقام أن الماهية المركبة التي لها وحدة طبيعية هي التي أجناسها و فصولها بحذاء أجزائها المادية و الصورية كما مر في مبحث الماهية فنقول لتلك الماهية اعتباران اعتبار كثرتها و تفصيلها و اعتبار وحدتها و إجمالها فإذا نظرت إليها من جهة وجودها التفصيلي و أردت تحديدها فلا بد لك من إيراد جميع المعاني التي هي بحذاء تلك الأجزاء و إذا نظرت إليها من الجهة التي هي بها واحد و هي صورتها الكمالية و أردت تحديدها فهذا التحديد لا يكون بالأجزاء- لأن الصورة بسيطة لا جزء لها خارجا و لا ذهنا كما هو التحقيق بل باللوازم لكن ليست هذه اللوازم كسائر اللوازم التي لها وجود غير وجود ملزومها بل هي كلها صادقة على تلك الصورة البسيطة الكمالية منتزعة منها بحسب ذاتها بذاتها من غير انضمام شيء إليها و هي

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۸۸

مع ذلك ليست داخلة في ماهيتها إذ لا ماهية لها غير الإنية لما سبق أن الصور الكمالية للأشياء هي وجودات محضة متفاوتة في الموجودية و قد مر أن الوجود لا حد له- لكن التعريف بمثل تلك اللوازم ليس بأدون و أنقص من التعريف الحدي بالأجناس و الفصول لأن تلك الأجناس و الفصول متحدة بها منتزعة منها و هذا معنى ما ذكره الشيخ الرئيس في الحكمة المشرقية أن البسائط قد يحد باللوازم التي توصل الذهن إلى حاق الملزومات و التعريف بها ليس أقل من التعريف بالحدود انتهى و سر هذا القول- و هاهنا أيضا من المواضع التي يكون للحد زيادة على المحدود كما مر ذكره و تعريف المبادي الوجودية لا يكون إلا على هذا الوجه و هكذا تعريف القوى بأفاعيلها فقد علم بما ذكرناه أن للإنسان وجودين وجود تفصيلي و وجود إجمالي فوجوده التفصيلي أنما يتحقق بمادة جوهرية و صورة اتصالية مقدارية و صورة هي مبدأ النمو و التغذية و أخرى مبدأ الحس و الحركة الاختيارية و أخرى ناطقة فيقال في حده أنه جوهر قابل للأبعاد نام حساس مدرك للكليات و هذه الأجزاء مترتبة في الوجود متفاضلة في الشرف و الكمال- و كلما يترتب على الأقدم الأخس و يلزمه يترتب على الآخر الأشرف و يلزمه على الوجه الألطف الأبسط و أما وجوده الإجمالي فإنما يتحقق بنفسه الناطقة التي توجد فيها جميع هذه المعاني على وجه أبسط و أعلى.

الأصل السادس أن الوحدة الشخصية في كل شيء

و هي عين وجوده ليست على

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۸۹

وتيرة واحدة و درجة واحدة كالوجود ليس على نحو واحد فالوحدة الشخصية في المقادير المتصلة عين متصليتها و امتدادها و في الزمان و المتدرجات الوجود عين تجددها و تقضيها- و في العدد عين كثرتها بالفعل و في الأجسام الطبيعية عين كثرتها بالقوة و أيضا حكمها في الجواهر المجردة غير حكمها في الجواهر المادية فالجسم الواحد يستحيل أن يكون موضوعا لأوصاف متضادة كالسواد و البياض و الحلاوة و المرارة و الألم و اللذة و ذلك لنقص وجوده و ضيق

وعائه عن الجمع بين الأمور المتخالفة فموضع البصر في بدن الإنسان غير موضع السمع و موضع الشم غير موضع الذوق و أما الجوهر النفساني فإنه مع وحدته يوجد فيه صورة السواد و البياض و غيرهما من المتقابلات و كلما زاد الإنسان تجردا و تجوهرا و اشتد قوة و كمالا صار إحاطته بالأشياء أكثر و جمعيته للمتخالفات أتم فهو يتدرج في الكمال حتى يستوفي في نفسه أي ذاته هيئة الوجود كله فينقلب كما ذكره الشيخ في إلهيات الشفاء عالما معقولا موازيا للعالم المحسوس كله مشاهدا لما هو الحسن المطلق و الخير المطلق و الجمال المطلق و متحدة به و منتقشة بمثاله و منخرطة في سلكه و صائرة من جوهره و مما يبين ذلك و يوضحه أن المدرك بجميع الإدراكات الحسية و الخيالية و العقلية و الفاعل بجميع الأفاعيل الطبيعية و الحيوانية و الإنسانية الواقعة من الإنسان هو نفسه المدبرة فلها النزول إلى مرتبة الحواس و الآلات الطبيعية و لها الصعود إلى مرتبة

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۱۹۰

العقل الفعال و ما فوقه في آن واحد و ذلك لسعة وجودها و وفور نورها المنتشرة في الأطراف و الأكناف فذاتها تتطور بالشئون و الأطوار و تتنزل بأمر الله إلى منازل القوى و الأعضاء- فإذا نزلت بساحة المواد و الأجساد كان حكمها حكم القوى و إذا رجعت إلى ذاتها و حاق جوهرها و ذلك عند تمامها كانت الكل في وحدة فمن هذا الأصل يتبين أن شيئا واحدا- يجوز كونه متعلقا بالمادة تارة و مجردا عنها أخرى و أما ما اشتهر عند أتباع المشائيين- أن نحوي الوجود الرابطي و الاستقلالي لا يجتمعان في شيء واحد فهو غير مبرهن عليه إلا أن يراد في وقت واحد من جهة واحدة

الأصل السابع أن هوية البدن و تشخصه أنما يكونان بنفسه لا بجرمه

فزيد مثلا زيد بنفسه لا بجسده و لأجل ذلك يستمر وجوده و تشخصه ما دامت النفس باقية فيه و إن تبدلت أجزاؤه و تحولت لوازمه من أينه و كمه و كيفه و وضعه و متاه كما في طول عمره و كذا القياس لو تبدلت صورته الطبيعية بصورة مثالية كما في المنام و في عالم القبر و البرزخ إلى يوم البعث أو بصورة أخروية كما في الآخرة فإن الهوية الإنسانية في جميع هذه التحولات و التقلبات واحدة هي هي بعينها لأنها واقعة على سبيل الاتصال الوحداني التدريجي و لا عبرة بخصوصيات جوهرية و حدود وجودية واقعة في طريق هذه الحركة الجوهرية و إنما العبرة بما يستمر و يبقى و هي النفس لأنها الصورة التمامية في الإنسان- التي هي أصل هويته و ذاته و مجمع ماهيته و حقيقته و منبع قواه و آلاته و مبدأ أبعاضه و أعضائه و حافظها ما دام الكون الطبيعي ثم مبدلها على التدريج بأعضاء روحانية و هكذا إلى أن تصير بسيطة عقلية إذا بلغت إلى كمالها العقلي بتقدير رباني و جذبة إلهية و إلا

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۱۹۱

فإلى أي حد وقع الانقطاع إليه لأجل أسباب قاطعة مانعة عن البلوغ إلى الكمال الأخير يطول شرحها فإذا سئل عن بدن زيد مثلا هل هو عند الشباب ما هو عند الطفولية و عند الشيخوخة كان الجواب بطرفي النفي و الإثبات صحيحا باعتبارين أحدهما اعتبار كونه جسما بالمعنى الذي هو مادة و هو في نفسه أمر محصل و الثاني اعتبار كونه جسما- بالمعنى الذي هو جنس و هو أمر مبهم فالجسم بالمعنى الأول جزء من زيد غير محمول عليه و بالمعنى الثاني محمول عليه متحد معه و أما إذا سئل عن زيد الشاب هل هو الذي كان طفلا و سيصير هو بعينه كهلا و شيخا كان الجواب

واحدا و هو نعم لأن تبدل المادة لا يقدح في بقاء المركب بتمامه لأن المادة معتبرة لا على وجه الخصوصية و التعين بل على وجه الجنسية و الإبهام و قد مر الفرق في مباحث الماهية من العلم الكلي و الفلسفة العامة- بين الجنس و المادة و هو كالفرق بين الماهية المطلقة و المأخوذ بشرط التجريد و نظير الفرق بينهما الفرق بين الفصل و الصورة و العرضي و العرض بكل من هذه الأمور محمول على الشيء بالاعتبار الأول غير محمول عليه بالاعتبار الثاني.

الأصل الثامن أن القوة الخيالية جوهر قائم لا في محل من البدن و أعضائه

و لا هي موجودة في جهة من جهات هذا العالم الطبيعي و إنما هي مجردة عن هذا العالم واقعة في عالم جوهري متوسط بين العالمين عالم المفارقات العقلية و عالم الطبيعيات المادية- و قد تفردنا بإثبات هذا المطلب ببراهين ساطعة و حجج قاطعة كما مرت.

الأصل التاسع أن الصور الخيالية بل الصور الإدراكية ليست حالة في موضوع النفس و لا في محل آخر و إنما هي قائمة بالنفس قيام الفعل بالفاعل لا قيام المقبول بالقابل و كذا الإبصار عندنا ليس بانطباع شبح المرئي في عضو كالجليدية و نحوها كما ذهب إليه الطبيعيون و لا بخروج الشعاع كما زعمه الرياضيون و لا بإضافة علمية تقع للنفس إلى الصورة الخارجية عند تحقق الشرائط كما ظنه الإشراقيون لأن هذه الآراء كلها باطلة كما بين في مقامه أما المذهبان الأولان فإبطال كل منهما مذكورة في الكتب

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۹۲

المشهورة على وجوه عديدة و قد تصدى كل من الفريقين لإبطال رأي صاحبه و نقضه و جرحه و كفى الله المؤمنين القتال و أما المذهب الأخير الذي اختاره الشيخ أبو نصر في الجمع بين الرأيين و الشيخ المقتول في حكمة الإشراق فنحن قد أبطلناه كما مر ذكره- و اعلم أن النفس ما دامت متعلقة بالبدن كان إبصاره بل إحساسه مطلقا غير تخيله لأن في الأول يحتاج إلى مادة خارجية و شرائط مخصوصة و في الثاني لا يفتقر إليها و أما عند خروجها عن هذا العالم فلا يبقى الفرق بين التخيل و الإحساس إذ القوة الخيالية و هي خزانة الحس قد قويت و خرجت عن غبار البدن و زال عنها الضعف و النقص- و اتحدت القوى و رجعت إلى مبدئها المشترك فتفعل النفس بقوته الخيالية ما تفعله بغيرها- و ترى بعين الخيال ما كانت تراه بعين الحس و صارت قدرتها و علمها و شهوتها شيئا واحدا فإدراكها للمشتهيات نفس قدرتها و إحضارها إياها عندها بل ليس في الجنة إلا شهوات النفس و مراداتها كما قال تعالى **فِيهٰا مٰا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ** و قوله **فِيهٰا مٰا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَ تَلَذُّ الْأَعْيُنُ**.

الأصل العاشر أن الصور المقدارية و الأشكال و الهيئات الجرمية

كما تحصل من الفاعل بمشاركة المادة القابلة بحسب استعداداتها و انفعالاتها كذلك قد تحصل من الجهات الفاعلية و حيثياتها الإدراكية من غير مشاركة المادة و من هذا القبيل وجود الأفلاك و الكواكب من المبادي العقلية على سبيل الاختراع بمجرد التصورات إذ قبل

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۹۳

الأجسام الأولية ليست مواد سابقة عليها و من هذا القبيل الصور الخيالية الصادرة من النفس بالقوة المصورة من الأجرام و

الأعظام المشكلة التي ربما تكون أعظم من الأفلاك– الكلية الخارجية و كذلك الصحارى و المفاوز الواسعة و الجبال العظيمة و البلاد و الجنات و الأشجار التي لم يخلق مثلها في البلاد و إنها ليست قائمة بالجرم الدماغي و لا حالة في القوة الخيالية كما برهن عليه و لا في عالم المثال الكلي كما بيناه سابقا بل في مملكة النفس و عالمها و صقعها الخارج عن هذا العالم الهيولاني و قد سبق أن الصور التي يتصورها النفس بقوتها المصورة و تراها بباصرتها الخيالية لها وجود لا في هذا العالم و إلا ليراها كل سليم الحس و ليس كذلك بل في عالم آخر غائب عن هذا العالم و لا فرق بينها و بين ما تراها النفس بقوة الحس إلا بعدم ثباتها و ضعف تجوهرها لاشتغال النفس بغيرها

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ٩، ص ١٩۴

و تفرق همتها و توزع خاطرها بما تنفعل من المؤثرات الخارجية و تشتغل بها حتى لو فرض أن يرتفع عنها الاشتغال بأفاعيل سائر القوى الحيوانية و الطبيعية و تكون مصروفة الهمة إلى فعل التخيل و التصور تكون الصور و الأجسام التي تتصورها و تفعلها بقوة الخيال في غاية ما لها من القوام و تأكد الوجود و يكون تأثيرها أقوى من تأثير المحسوسات المادية كما يحكى عن أهل الكرامات و خوارق العادات و إذا كان حال النفس في تصوير الأشياء على هذا الوجه و هي بعد في الدنيا ذات تعلق ببدنها فما ظنك إذا انقطعت علائقها عن الدنيا بالكلية و قويت قوتها و تأكدت فعليتها فكل نفس إنسانية فارقت الدنيا و كانت من أهل السلامة– عن الأمراض النفسانية و ذمائم الأخلاق و الملكات غير مرتهن بما يزعجها و يؤذيها و يمنعها عن الرجوع إلى ذاتها تكون لها عالم خاص بها فيه من كل ما تريده و تشتهيه و هذا أدنى مرتبة من مراتب السعداء فإن كل أحد منهم له جنة عرضها كعرض السماوات و منازل الأبرار و المقربين فوق هذا إلى ما لا يحصى

الأصل الحادي عشر أنك قد علمت أن أجناس العوالم و النشئات

مع كثرتها التي لا تحصى منحصرة في ثلاثة و إن كانت دار الوجود واحدة لارتباط بعضها ببعض أدناها عالم الصور الطبيعية الكائنة الفاسدة و أوسطها عالم الصور الإدراكية الحسية المجردة عن المادة الحاملة للإمكانات و الاستعدادات القابلة للمتضادات و أعلاها عالم الصور العقلية و المثل الإلهية فاعلم أن النفس الإنسانية مختصة من بين الموجودات بأن لها هذه الأكوان الثلاثة مع بقائها بشخصها فللإنسان الواحد من مبدإ طفوليته كون طبيعي و هو بحسبه إنسان بشري ثم يتدرج في هذا الوجود و يتصفى و يتلطف شيئا فشيئا في تجوهره إلى أن يحصل له كون آخر نفساني و هو بحسبه إنسان نفساني أخروي يصلح للبعث و القيام– و له أعضاء نفسانية و هو الإنسان الثاني ثم قد ينتقل من هذا الكون أيضا على التدريج– فيحصل له كون عقلي و هو بحسبه إنسان عقلي و له أعضاء عقلية و هو الإنسان الثالث كما ذكره معلم الفلاسفة في كتاب أثولوجيا و هذه الانتقالات و التحولات التي يقطع بها الشخص الواحد سبيل الحق إلى الغاية القصوى مختصة بنوع الإنسان فإن الأشياء و إن كانت كلها متوجهة إلى الحضرة الإلهية لكن الذي يمر على الصراط المستقيم منتهيا إلى

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ٩، ص ١٩٥

النهاية الأخيرة لا يوجد في غير هذا النوع من سائر الأنواع الكونية ثم لا بد لغيره لو فرض سلوكه إلى الحضرة القدسية أن

ينتقل نوعه إلى نوع آخر بالكون و الفساد و أن يصل أولا إلى باب الإنسانية ثم منها إلى باب الحضرة القدسية و هذه النشئات الثلاث ترتيبها- في الرجوع الصعودي إلى الله تعالى على عكس ترتيبها الابتدائي النزولي عنه تعالى- لكن على نحو آخر فإن سلسلة الابتداء كانت على نحو الإبداع بلا زمان و حركة و سلسلة الرجوع تكون بحركة و زمان فللإنسان أكوان سابقة على حدوثه الشخصي المادي- و لهذا قد أثبت أفلاطون الإلهي للنفوس الإنسانية كونا عقليا قبل حدوث البدن و كذلك ثبت في شريعتنا الحقة لأفراد البشر كينونة جزئية متميزة سابقة على وجودها الطبيعي- كما أشار إليه بقوله تعالى **وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ** إلخ و عن أئمتنا المعصومين أحاديث كثيرة دالة على أن أرواح الأنبياء و الأوصياء كانت مخلوقة من طينة عليين قبل خلق السماوات و الأرضين و أن أبدانهم مخلوقة من دون تلك الطينة- كأرواح متابعيهم و شيعتهم و أن قلوب المنافقين مخلوقة من طينة سجين و أبدانهم و كذلك قلوب متابعيهم مخلوقة من دون تلك الطينة الخبيثة فهذا الخبر و أمثاله يدل على أن للإنسان أكوانا سابقة على هذا الكون فالإنسان بحسب الفطرة الأصلية يتوجه نحو

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۹۶

الآخرة على التدريج و يرجع إلى غاية مقصوده فيبتدي بوجوده الدنيوي المادي إلى وجوده الأخروي الصوري إذ نسبة الدنيا إلى الأخرى نسبة النقص إلى الكمال و نسبة الطفل إلى البالغ و لهذا يحتاج في هذا الوجود كالأطفال لضعفهم و نقصهم إلى مهد هو المكان و داية هو الزمان فإذا بلغ أشده الجوهري يخرج من هذا الوجود الدنيوي إلى وجود أخروي و يستعد للخروج من هذه الدار إلى دار القرار و إلى هذا الحد من الوجود النفساني و الاستقلال الجوهري الصوري المعبر عنه بنفخ الصور الموجب للموت الطبيعي و الخروج من هذه النشأة مما يقع فيه الاشتراك بين المؤمن و الكافر و الموحد و المشرك و المعطل إذ لا منافاة بين هذا الكمال الوجودي و الاستغناء عن المادة البدنية و بين الشقاوة و التعذيب بنار الجحيم و إدراك العذاب الأليم بل يؤكدها فإن شدة الوجود يوجب الخروج عن الغواشي و الملابس المادية و هو يوجب شدة الإدراك للمؤلمات و المؤذيات- و نتائج الأعمال القبيحة و السيئات و الأمراض و العلل النفسانية التي كان الذهول عنها في الدنيا لخدر الطبيعة و غشاوة على البصيرة فإذا زال الحجاب حل العذاب فالنفس ما لم تقطع جميع الحدود الطبيعية ثم النفسانية لم يصل إلى جوار الله و لم يستحق مقام العندية فالموت أول منازل الآخرة و آخر منازل الدنيا و الإنسان بعد خروجه عن الدنيا- قد يكون محبوسا في البرازخ المتوسطة بين الدارين الدنيا و العقبى مدة طويلة أو قصيرة

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۱۹۷

و ربما يرتقى سريعا بنور المعرفة أو بقوة الطاعات أو بجذبة ربانية أو بشفاعة الشافعين- و آخر من يشفع هو أرحم الراحمين

فصل (٣) في نتيجة ما قدمناه و ثمرة ما أصلناه

أقول أن من تأمل و تدبر في هذه الأصول و القوانين العشرة التي أحكمنا بنيانها و شيدنا أركانها ببراهين ساطعة و حجج قاطعة لامعة مذكورة في كتبنا و صحفنا سيما هذا الكتاب تأملا كافيا و تدبرا وافيا بشرط سلامة فطرته عن آفة الغواية و

الاعوجاج- و مرض الحسد و العناد و عادة العصبية و الافتخار و الاستكبار لم يبق له شك و ريب في مسألة المعاد و حشر النفوس و الأجساد و يعلم يقينا و يحكم بأن هذا البدن بعينه سيحشر يوم القيامة بصورة الأجساد و ينكشف له أن المعاد في المعاد مجموع النفس و البدن بعينهما و شخصهما و أن المبعوث في القيامة هذا البدن بعينه لا بدن آخر مباين له عنصريا كان كما ذهب إليه جمع من الإسلاميين أو مثاليا كما ذهب إليه الإشراقيون فهذا هو الاعتقاد

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ٩، ص ١٩٨

الصحيح المطابق للشريعة و الملة الموافق للبرهان و الحكمة فمن صدق و آمن بهذا فقد آمن بيوم الجزاء و قد أصبح مؤمنا حقا و النقصان عن هذا الإيمان خذلان و قصور عن درجة العرفان و قول بتعطل أكثر القوى و الطبائع عن البلوغ إلى غاياتها و الوصول إلى كمالاتها و نتائج أشواقها و حركاتها و يلزم أن يكون ما أودعه الله في غرائز الطبائع الكونية و جبلاتها من طلب الكمال و التوجه إلى ما فوقها هباء و عبثا و باطلا و هدرا- فلكل قوة من القوى النفسانية و غيرها كمال يخصها و لذة و ألم و ملائمة و منافرة تليق بها- و بحسب كل ما كسبته أو فعلته يلزم لها في الطبيعة الجزاء و الوفاء كما قررته الحكماء من إثبات الغايات الطبيعية لجميع المبادي و القوى عالية كانت أو سافلة **فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ أَيْنَ ما تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعاً** و قوله **وَ لِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيها** و إليه الإشارة بقوله تعالى **ما مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها إِنَّ رَبِّي عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ** و كل ما في الكون من الجواهر الطبيعية دابة لما بيناه من حركاتها الذاتية فالله آخذ بناصية نفوسها و طبائعها و هو موليها نحوه و جاذبها إليه و من تحقق بهذا تيقن بلزوم عود الكل- و لم يشتبه عليه ذلك و هذا مقتضى الحكمة و الوفاء بالوعد و الوعيد و لزوم المكافاة في الطبيعة و المجازاة و لنا رسالة على حدة في هذا الباب بينا فيها حشر جميع الأشياء الكائنة- حتى الجماد و النبات إلى الدار الآخرة و حشر الكل إليه تعالى ببيانات واضحة و قواعد صحيحة برهانية مبناها على أن لا معطل في الطبيعة و لا ساكن في الخليقة فالكل متوجه نحو الغاية المطلوبة إلا أن حشر كل أحد إلى ما يناسبه و يجانسه فللإنسان بحسبه- و للشياطين بحسبهم و للحيوانات بحسبها و للنبات و الجماد بحسبهما كما قال تعالى في حشر

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ٩، ص ١٩٩

أفراد الناس **يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمنِ وَفْداً وَ نَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلى جَهَنَّمَ وِرْداً** و في الشياطين **فَوَ رَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَ الشَّياطِينَ** و في الحيوانات **وَ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ وَ الطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ** و في النبات **وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدانِ** و قوله تعالى **وَ تَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** إلى قوله **وَ أَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ** و في حق الجميع **وَ يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبالَ وَ تَرَى الْأَرْضَ بارِزَةً وَ حَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً وَ عُرِضُوا عَلى رَبِّكَ صَفًّا** و قوله **إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَ مَنْ عَلَيْها وَ إِلَيْنا يُرْجَعُونَ** و قوله تعالى **كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ**

فصل (٣) في دفع شبه المنكرين و شكوك الجاحدين لحشر الأجساد

إن هذه المقدمات و الأصول المذكورة كما أفادت هذا المطلوب على وجه التحقيق- كذلك هي وافية بدفع تلك الشبهة و الشكوك و لا بأس بذكرها على التفصيل و الإشارة إلى دفعها.

منها ما سبق من أنه إذا صار إنسان غذاء لإنسان آخر

فالأجزاء المأكولة إما

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۰۰

أن يعاد في بدن الآكل أو في بدن المأكول و أيا ما كان لا يكون أحدهما بعينه معادا بتمامه و أيضا إذا كان الآكل كافرا و المأكول مؤمنا يلزم إما تعذيب المطيع و تنعيم الكافر أو أن يكون شخص واحد كافرا معذبا و مؤمنا منعما لكونهما جسما واحدا و اندفاعه ظاهر بما مر من أن تشخص كل إنسان إنما يكون بنفسه لا ببدنه و إن البدن المعتبر فيه أمر مبهم لا تحصل له إلا بنفسه و ليس له من هذه الحيثية تعين و لا ذات ثابتة و لا يلزم من كون بدن زيد مثلا محشورا أن يكون الجسم الذي منه صار مأكولا لسبع أو إنسان آخر محشورا بل كلما يتعلق به نفسه هو بعينه بدنه الذي كان فالاعتقاد بحشر الأبدان يوم القيامة هو أن يبعث أبدان من القبور إذا رأى أحد كل واحد واحد منها يقول هذا فلان بعينه و هذا بهمان بعينه أو هذا بدن فلان و هذا بدن بهمان على ما مر تحقيقه و لا يلزم من ذلك أن يكون غير مبدل الوجود و الهوية كما لا يلزم أن يكون مشوه الخلق- و الأقطع و الأعمى و الهرم محشورا على ما كان من نقصان الخلقة و تشويه البنية كما و الأحاديث و المتكلمون عن آخرهم أجابوا عن هذه الشبهة بما لا حاجة إلى ذكره لركاكته-

و منها أن جرم الأرض مقدار محصور محدود ممسوح بالفراسخ و الأميال و الذراع- و عدد النفوس غير متناه

فلا يفي مقدار الأرض و لا يسع لأن تحصل منه الأبدان الغير المتناهية.

و الجواب الحق بما مر من الأصول أن لا عبرة بخصوصية البدن و أن تشخصه و المعتبر في الشخص المحشور جسمية ما أية جسمية كانت و أن البدن الأخروي ينشأ من النفس بحسب صفاتها لا أن النفس يحدث من المادة بحسب هيئاتها و استعداداتها كما في الدنيا.

و لك أن تجيب أن المقادير قد يزداد حجما و عددا من مادة واحدة فإن هيولى

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۰۱

قوة قابلة محضة لا مقدار لها في نفسها و لا لها اختصاص بحد خاص و عدد معين بل يعرض لها المقادير و الانقسامات من خارج و هي في نفسها قابلة للانقسامات الغير المتناهية و ليس أيضا من شرطها في أن يكون أبدانا أن تكون صورة الأرضية باقية بل يجوز انقلابها من الأرضية إلى أجسام حسب ما شاء الله و أيضا لا يلزم أن يكون كل نفس محشورة بالبدن- فإن من النفوس ما فارقت الأجسام صاعدة إلى عالم القدس منخرطة في سلك المقربين- و الجواب الأول هو العمدة.

و منها أن الجنة و النار إذا كانتا موجودتين جسمانيتين فأين مكانهما

و في أي جهة من جهات العالم حصولهما فإن كان حصولهما أو حصول إحداهما فوق محدد الجهات- فيلزم أن يكون في اللامكان مكان و في اللاجهة جهة و إن كان في داخل طبقات السماوات و الأرض أو فيما بين طبقة و طبقة فيلزم إما التداخل و إما الانفصال بين سماء و سماء و الكل مستحيل و مع هذا ينافي قوله تعالى **وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰاوٰاتُ وَ**

الأَرْضُ.

هذا تقرير هذه الشبهة و طريق اندفاعها مكشوف لمن تدبر في الأصول التي بيناها.

أما المتكلمون فحيث لم يدخلوا البيوت من أبوابها ليس في وسعهم التفصي عن أمثال هذا الإشكال فأجابوا عنه تارة بتجويز الخلاء و تارة بعدم كون الجنة و النار مخلوقتين بعد و تارة بانفتاق السماوات على قدر يسع بينها الجنة و ليتهم قنعوا بدين العجائز و اكتفوا بالتقليد و لم يستنكفوا أن يقولوا لا ندري الله و رسوله أعلم.

ثم العجب أن أكثر ما رأينا منهم يخوضون في المعقولات و هم لا يعرفون المحسوسات- و يتكلمون في الإلهيات و هم يجهلون الطبيعيات و يتعاطون الحجج و القياسات و لا يحسنون المنطق و الرياضيات و لا يعرفون من العلوم الدينية إلا مسائل خلافيات و ليس غرضهم في العلم إصلاح النفس و تهذيب الباطن و تطهير القلب عن أدناس الصفات و الملكات

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۰۲

بل طلب الرئاسة و الجاه و إرجاع الخلائق إلى فتاواهم و حكوماتهم و لأجل ذلك يضمرون النفاق و يعادون أهل الحكمة و المعرفة و من أعظم الفتن و المصائب أنهم مع هذه العقول الناقصة و الآراء السخيفة يخاصمون و يعادون الحكماء و العرفاء أكثر من الخصومة و العداوة- مع الكفار و اليهود و النصارى و يعدون هذا من تقوية الدين و حفظ عقائد المسلمين و غاية تقويتهم للدين أن يقولوا إن الحكمة ضلال و إضلال و إن تعلمها بدعة و وبال و إن علم النجوم باطل في أصله و إن الكواكب جمادات و إن الأفلاك لا حياة لها و لا نطق و إن الطلب لا منفعة له و إن الهندسة لا حقيقة لها و إن علوم الطبيعيات أكثرها كفر و زندقة و أهلها ملاحدة و كفرة إلى غير ذلك من مقالاتهم و هوساتهم المشحونة بالتدليس و التلبيس لمخالفة أكثرها لما في كتاب الله و سنة نبيه من تعظيم الحكمة و توقير أهلها و تعظيم النجوم و السماء و الأقسام في كثير من الآيات بها و مدح الناظرين المتفكرين في خلقها و ذم المعرضين عن آياتها لقوله تعالى- **يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماٰواٰتِ** الآية و قوله **وَ كَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّماٰواٰتِ وَ الْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهٰا وَ هُمْ عَنْهٰا مُعْرِضُونَ** فإذا جاءوا إلى دفع مثل هذه المشكلات عن الدين وقعوا في العجز كالحمار في الوحل و الطين و لنرجع إلى ما فارقناه

كشف مقال لدفع إشكال:

أن أعضل شبه الجاحدين للمعاد الجسماني و أعظم إشكالات المنكرين للجنة و النار المحكوم بثبوتهما و تحققهما في الشريعة الحقة التي أتى بها أهل النبوة و الحكمة المؤسسة على الأصول و المباني المحكمة المهمة هو طلب المكان لهما و التزام كونهما في جهة من الجهات- الامتدادية الوضعية و في زمان من الأزمنة المتصرمة و استيجاب كونهما داخل حجب السماوات و تحت حيطة محدد الجهات و عرش المتماديات.

فالجواب كما يستعلم من الأصول المؤسسة عن أصل هذه الشبهة و قلع مادتها- و فسخ صورتها هو أن يقال على منهج أبحاث المتألهين و طريقة إنظار السالكين إلى الله- بأقدام المعرفة و اليقين إن حجتكم هذه مبنية على أن للجنة و النار مكانا من جنس أمكنة هذه الدنيا لكن أصل إثبات المكان على هذا الوجه للجنة و النار باطل فالشبهة منهدمة الأساس منحسمة الأصل و مما يوضح ذلك حسب ما مضت الإشارة إليه أن عالم

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۰۳

الآخرة عالم تام لا يخرج عنه شيء من جوهرة و ما هذا شأنه لا يكون في مكان كما ليس لمجموع هذا العالم أيضا مكان يمكن أن يقع إليه إشارة وضعية من خارجة أو داخلة لأن مكان الشيء إنما يتقرر بحسب نسبته و إضافته إلى ما هو مباين له في وضعه خارج عنه في إضافته و ليس في خارج هذه الدار شيء من جنسه و إلا لم يوجد بتمامه و لا في داخله أيضا ما يكون مفصولا عن جميعه إذا أخذ من هذه الحيثية فلا إشارة حسية إلى هذا العالم عند أخذه تاما كاملا لا من داخله و لا من خارجه فلا يكون له أين و وضع- و لهذا المعنى حكم معلم الفلاسفة بأن العالم بتمامه لا مكان له فقد اتضح أن ما يكون عالما تاما فطلب المكان له باطل و المغالطة نشأت من قياس الجزء على الكل و الاشتباه بين الناقص و الكامل ثم على سبيل التنزل عن هذا لو سأل سائل هل الدار الآخرة مع هذه الدار منتظمتان في سلك واحد و المجموع عالم واحد فحينئذ يكون طلب المكان لهما صحيحا أو كل منهما عالم بتمامه مباين الجوهر و الذات للآخر غير منسلك معها

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۰۴

في سلك واحد لا يجمعهما دار واحدة فحينئذ طلب المكان لهما غير صحيح و أنت تعلم أن الحق هو الثاني إلا أن يراد بكونهما واحدا ضربا آخر من الوحدة فإن العوالم و النشئات متداخلة في المعنى و القوام لا في الوضع و الامتداد مع كون كل منهما عالم تام أ و لا ترى أن أهل العالم متفقون على قولهم هذا العالم و ذلك العالم حسبما ورثوه من أسلافهم و مقدميهم و لو كان المجموع عالما واحدا كان هذا القول باطلا و لا يصح أن يقال هذا الإطلاق من قبيل قولهم عالم العناصر و عالم الأفلاك و عالم الحيوان لأن هذه أقوال مجازية على سبيل التشبيه فإن الدنيا و الآخرة لو لم يكونا عالمين تامين- فلا يكون في الوجود عالم تام لأن المجموع ليس منتظما في سلك واحد إلا بأن يكون أحدهما باطن الآخر و الآخر ظاهره كما أشرنا إليه و هذا كلام آخر فيه غموض فإذا لم يكونا مع مباينة كل منهما للآخر في الوجود مما يشملهما عالم آخر فلا محالة كل منهما عالم تام كما أطلق القول عليه في ألسنة الشريعة إن لله سبحانه عالمين الدنيا و الآخرة و مما يوضح أيضا القول بأن الآخرة ليست من جنس هذا العالم إن الآخرة نشأة باقية يتكلم الإنسان فيها مع الله و هذه نشأة داثرة بائدة أهلها هالكة الذوات و لا ينظر إليهم و اختلاف اللوازم يدل على اختلاف الملزومات و أما مكالمة الأنبياء مع الله تعالى و مخاطبة سيد الرسل ص معه تعالى ليلة المعراج فهي من ظهور سلطان الآخرة على قلوبهم و مما يدل على ذلك قوله تعالى **وَ نُنْشِئَكُمْ فِي مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ** فإنه صريح في أن نشأة الآخرة غير نشأة الدنيا و بالجملة فنحو وجود الآخرة غير نحو وجود الدنيا و لو كانت الآخرة من جوهر الدنيا لم يصح أن يقال إن الدنيا يخرب و الآخرة دار القرار لأن الدنيا إنما هي دنيا بالجوهر و الوجود لا بالعوارض الشخصية و المخصصات الخارجية و إلا لكان كل سنة بل كل يوم دنيا أخرى لتبدل الأشكال و الهيئات و التشخصات و لكان القول بالآخرة تناسخا و لكان المعاد عبارة عن عمارة الدنيا بعد خرابها و إجماع العقلاء على أن الدنيا تضمحل و تفنى ثم لا تعود و لا تعمر أبدا فقد ثبت و تحقق أن الدنيا و الآخرة مختلفتان

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۰۵

في الجوهر الوجود غير منسلكين في سلك واحد فلا وجه لطلب المكان للآخرة و صاحب الذوق السليم يتفطن بهذا على أن من نظر إلى مواضع هذا الكتاب لا يحتاج إلى زيادة مئونة و تفتيش و إنما بسطنا القول في زيادة الكشف و التوضيح شفقة على الظاهريين الذين قصدهم في النسك و العبادات طلب قضاء شهوة البطن و الفرج في الآخرة على وجه ألذ و أدوم فهم في الحقيقة طلاب الدنيا و عند أنفسهم أنهم يطلبون ثواب الآخرة و التقرب إلى الله تعالى.

و منها لزوم مفسدة التناسخ كما مر ذكره

و هذا أيضا شبهة قوية عسرة الانحلال- صعب الزوال على غير من اطلع على طريقتنا و سلك مسلكنا.

و الجواب الذي ذكروه و قرروه في غاية الضعف و القصور و ما تيسر إلى الآن لأحد من الإسلاميين في حل هذا الإشكال شيء يمكن التعويل عليه حتى أن بعضهم ارتكب القول بتجويز التناسخ مع أن استحالته مبرهن عليها و غاية ما تفصوا به عن إشكال التناسخ ما ذكره بعض الأعلام في رسالة لفقها في تحقيق المعاد إن للنفس الإنسانية ضربين من التعلق بهذا البدن أولهما أولى و هو تعلقها بالروح البخاري- و ثانيهما ثانوي و هو تعلقها بالأعضاء الكثيفة فإذا انحرف مزاج الروح و كاد أن يخرج عن صلاحية التعلق اشتد التعلق الثانوي من جانب النفس بالأعضاء و بهذا يتعين الأجزاء تعينا ما ثم عند المحشر إذا جمعت و تمت صورة البدن ثانيا و حصل الروح البخاري مرة أخرى عاد تعلق الروح كالمرة الأولى فذلك التعلق الثانوي يمنع من حدوث نفس أخرى على مزاج الأجزاء فالمعاد هي النفس الباقية لنيل الجزاء انتهى قوله.

و قد سبقت الإشارات إلى بطلانه من أن تعلق النفس بالبدن أمر طبيعي منشؤه المناسبة التامة و الاستعداد الكامل للمادة المخصص لها بهذه النفس دون غيرها و لا بد أن يكون هذا التخصص و الاستعداد مما لم يوجد إلا لهذه المادة الواحدة بالقياس إلى النفس المعينة الواحدة لئلا يلزم التخصص بلا مخصص أو تعلق نفس واحد ببدنين على أنك قد علمت أن منشأ حدوث النفس و ما يجري مجراها هو الحركة الذاتية الاستكمالية

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۰۶

لمادة ما في الصور الجوهرية على سبيل الترقي من الأدنى إلى الأعلى حتى يقع انتهاء الأكوان الصورية إلى النفس و ما بعدها فعلى هذا لا معنى لبقاء المناسبة الذاتية للأجزاء الترابية إليها و مع قطع النظر عما ذكرناه و أصلناه نقول كل من ذاق المشرب الحكمي- يعلم أن الجسم الذي يتعلق به النفس سيما الناطقة التي هي أخيرة مراتب الشرف و الكمال- للأجسام الطبيعية في سلسلة العود إلى العقل الفعال يجب أن يكون مختصا بمزيد استعداد- و تهيؤ مزاج و حرارة غريزية لروح بخاري شبيه بالجرم السماوي و أن التعلقات الطبيعية و الذاتية ليست كالتعلقات الإرادية الواقعة من الإنسان لأجل مصلحة خارجية أو داعية جزافية أو عادية ترغبه و تدعوه إلى التوجه و الالتفات نحو شيء كمن توجه إلى خرابة عاش فيها مدة كانت معمورة ثم هاجر منها لأجل سبب من الأسباب فيلتفت إليها مرة أخرى بعد خرابها- و يريد تعميرها طلبا لما يتذكره من التلذذات و التنعمات التي وقعت منه فيها على سبيل المجازفة الشهوية من غير فائدة فكرية و غاية عقلية أو لملاحظة مصلحة رآها أو فائدة و حكمة راعاها فإن شيئا من هذه الأمور لا يجري في الأسباب الذاتية للغايات الطبيعية ثم إن قولهم إن النفس تتعلق أولا بالأرواح اللطيفة و ثانيا بالأعضاء الكثيفة معناه أن تعلقها

بالذات ليس إلا بالأرواح لأنها القريبة الشبه إلى جوهر النفوس دون الأعضاء لكثافتها و ظلمتها و بعد مناسبتها إلى الجواهر النورانية إلا بالعرض لأجل كونها كالقشر و الغلاف و الوعاء الصائن للجرم الشبيه بالفلك اللائق لأجل اعتداله و لطافته لأن يستوكره الحمام القدسي و الطائر الملكوتي فإذا تمزقت هذه الشبكة و استحالت ترابا و رمادا و طار طائرها السماوي و خلص من هذا المضيق فأي تعلق بقي له بالأجزاء المتفرقة و الذرات

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ٩، ص ٢٠٧

المثبوتة و أي تعلق للنفس بالتراب و الرماد و إن فرض مجتمع الأجزاء و لو كان كذلك لكان كل تراب و رماد ذا نفس لاشتراك الجميع في الترابية و الرمادية و الإضافة إلى الزمان السابق الذي كان فيه التعلق غير باقية أيضا لأن الزمان غير باق

تنبيه تفضيحي:

إن الشيخ الغزالي قد صرح في كثير من مواضع كتبه أن المعاد الجسماني هو أن يتعلق المفارق عن البدن ببدن آخر و استبعد بل استنكر عود أجزاء البدن الأول و قال إن زيدا الشيخ هو بعينه زيد الذي كان شابا و هو بعينه الذي كان طفلا صغيرا و جنينا في بطن الأم مع عدم بقاء الأجزاء ففي الحشر أيضا كذلك و الملتزمون بعود الأجزاء مقلدون من غير دراية.

أقول هذا الكلام في غاية الإجمال و لم يظهر منه الفرق بين التناسخ و الحشر و قد بينا أن الحق في المعاد عود البدن بعينه كالنفس بعينها كما يدل عليه الشرع الصحيح- الصريح من غير تأويل و يحكم عليه العقل الصحيح من غير تعطيل.

ثم قال و ليس هذا بتناسخ فإن المعاد هو الشخص الأول و المتناسخ هو شخص آخر و الفرق بين الحشر و التناسخ أن الروح إذا صار مرة أخرى متعلقا ببدن آخر- فإن حصل من هذا التعلق الشخص الأول كان حشرا واقعا لا تناسخا.

أقول تقريره للمعاد الجسماني بأنه عود للشخص مع عدم عود البدن و تصريحه بأن الشخص إنما هو مجموع الروح و البدن ظاهره متناقض مشكل و أشكل منه ما قرره في الفرق بين التناسخ و الحشر أن الشخص الثاني في الأول غير الأول و في الثاني

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ٩، ص ٢٠٨

عينه إذ في هذا الفرق تحكم لا يخفى.

و أعجب من هذه كلها أنه قال في موضع آخر بهذه العبارة إن الروح يعاد إلى بدن آخر غير الأول و لا يشارك له في شيء من الأجزاء.

ثم قال فإن قيل هذا هو التناسخ قلنا سلمنا و لا مشاحة في الأسماء و الشرع جوز هذا التناسخ و منع غيره.

أقول هذا الكلام مما تلقاه كثير من فضلاء الزمان بالقبول و لعلهم زعموا أن الإشكال المذكور في الحشر هو لزوم التناسخ بحسب المفهوم و إطلاق اللفظ أو توهموا أن محالية التناسخ من جهة الشرع إنما الإشكال لزوم مفسدة التناسخ بحسب العقل و هو اجتماع نفسين على بدن واحد سواء سمي تناسخا أو حشرا.

و قال في موضع آخر اعلم أن هذا يستنكره من يبطل حشر الأجساد و يحيل رد النفوس إلى الجسد و ليس يقوم على

استحالته برهان يقيني و كلما ذكره الأوائل في الدلالة على استحالته ليس ببرهان محقق و الشرع قد ورد به فيجب تصديقه.

و الدليل على أن ذلك ليس مبرهنا أن أفضل متأخري الفلاسفة أبا علي ابن سينا قد أثبت ذلك في كتاب النجاة و الشفاء قال لا يبعد أن يكون بعض الأجسام السماوية- موضوعا لتخيل النفس بعد الموت و حكى ذلك عمن عظمت رتبته إذ قال و قد قال من لا يجازف في الكلام من العلماء إن ذلك غير ممتنع و هذه القضية تدل على أنه شاك

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۰۹

في هذا الأصل و لم يقم عنده برهان عليه و لو كان محالا عنده لما وصف قائله بأنه لا يجازف في الكلام بل أي مجازفة تزيد على القول بالمحال.

و ربما يقول قائل إن ذلك إنما ذكره على سبيل المجاملة و التقية و إلا فقد ذكر في مسألة التناسخ من كتاب النفس استحالة تناسخ الأبدان لنفس واحدة و ذلك بعينه دليل إبطال الحشر للأجساد.

فنقول ما ذكره في استحالة التناسخ أيضا ليس ببرهان محقق فإنه قال لو عادت النفس جسدا و استعد للقبول لفاضت إليه نفس من واهب الصور فإن المستعد يستحق بذاته قبول الصورة فيؤدي إلى أن يفيض إليه نفس و يتعلق به النفس المستنسخة فيجتمع نفسان لبدن واحد و هو محال هذا ما ذكره و يمكن أن يستعمل في إعادة حشر الأجساد- لكنه دليل ضعيف إذ يقال يجوز أن يختلف الاستعدادات فيكون للمادة من الاستعدادات ما يناسب المفارقة الموجودة من قبل حتى يختص بتدبيرها و لا يحتاج إلى إفاضة نفس جديدة فإنه لو استعدت في الأرحام نطفتان لقبول النفس في حالة واحدة- فاضت إليهما نفسان من واهب الصور و اختص كل واحد منهما بنفس و ليس اختصاصه بالحلول فيه فإن النفس لا تحل في الجسد حلول الأعراض لكن اختصاص النفس بأحد الجسمين لمناسبة بينهما في الأوصاف في أحد المستعدين اختصاص إحدى النفسين دون الأخرى فإذا جاز هذا التخصيص في النفسين المتماثلتين فلم لا يجوز في النفوس المفارقة- فإذا توفر على المستعد حقه من النفوس المفارقة المناسبة له لم لا يفيض إليه نفس جديدة من واهب الصور و لتقرير هذا الكلام عرض لست أخوض فيه و إنما المقصود بيان أن من أنكر حشر الأجساد لا برهان معه انتهت عبارته.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۱۰

أقول بطلان التناسخ مبرهن عليه كما مر بيانه و أما ما جوزه الشيخ و نقله ممن يعتقد أنه من العلماء الذين لا يجازفون فليس إلا كون بعض الأجرام السماوية موضوعا لتخيل النفس و صرح بأن هذا التعلق ليس بأن يصير ذلك الجوهر النفساني المفارق عن البدن نفسا لذلك الجرم و إلا لزم كون ذلك الجرم الفلكي ذا نفسين و هذا أمر محال في نفسه و عند التناسخية أيضا فإن القائلين بالتناسخ فكيف جوز مثل الشيخ أمرا لم يجوزه أحد من العقلاء و أما الذي قررناه و ألزمناه عليه فذلك حديث آخر و هو مسلك عميق دقيق و منهج يمكن الذهول عنه لأكثر العقلاء.

و أما ما تفصى به عن محالية التناسخ من اختلاف الاستعدادات فلا فائدة فيه في دفع المفسدة بل يؤكد لزومها كما يظهر عند التأمل فإن الواقف بالقوانين العقلية يعلم

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۱۱

أن المادة لا تتهيأ و لا تستعد لفيضان صورة إلا عند تلبسه بصورة سابقة مقومة لها هي المعدة للاحقة و تلك الصورة السابقة أقرب الأشياء إلى الصورة اللاحقة فالمادة المستعدة للنفس لا تستعدها إلا بعد استيفائها جميع المراتب الصورية التي تحتها بالقابلية و الاستعداد و هذا شيء مطابق للبرهان معتضد بالتجربة و الوجدان فعلى هذا كان تحقيق البعث و الحشر للأبدان أصعب و أشكل فباب الوصول إلى معرفة المعاد الجسماني مسدود إلا على من سلك منهجنا و ذهب في طريقتنا و هو طريق أهل الله و الراسخين في العلم و الإيمان الجامعين بين الكشف و البرهان المقتبسين نور الحكمة من مشكاة النبوة و الله ذو الفضل العظيم

و منها أن الإعادة لا لغرض عبث و جزاف لا يليق بالحكيم

و الغرض إن كان عائدا إليه كان نقصا له فيجب تنزيهه عنه و إن كان عائدا إلى العبد لزم العجز و خلاف الحكمة و العدالة فإن ذلك الغرض إن كان إيصال ألم فهو غير لائق بالحكيم العادل فكيف عن خالق الحكمة و العدل و إن كان إيصال لذة فاللذات سيما الحسيات دفع آلام فإن أكل الطعام و إن كان حسنا لذيذا لا يلتذ به من كان ممتلئا شبعا و إنما يستلذه الجائع و كذا سائر اللذات الحسية فإن العلماء و الأطباء بينوا و قرروا– أنها دفع الآلام فلزم أنه تعالى يؤلم العبد أولا حتى يوصل إليه لذة حسية و ذلك أيضا لا يليق بالحكيم العادل و كيف يليق به أن يؤلم أولا أحدا ليدفع عنه هذا و من ذا الذي يريد إحسانا بأحد فيقطع بعض أعضائه و يجرحه ثم يضع عليه المراهم ليلتذ بها

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۱۲

و الأشاعرة أجابوا عن هذا بمنعهم لزوم الغرض في أفعال الله و قبح الخلو عنه– ثم بمنع كون الغرض منحصرا في إيصال اللذة و الألم ثم بمنع كون اللذة دفعا للألم– ثم بمنع كون اللذات الأخروية كالدنيوية حتى يستلزم كونها أيضا دفع آلام كهذه.

و أجابت المعتزلة عنه بأن الغرض في المعاد نيل الجزاء و ظهور صدق الأنبياء– أقول قد عرفت الفرق بين الغرض و الضروري و أن للأفعال غايات طبيعية و لوازم ضرورية و أن الموت هو الانتقال من هذه النشأة إلى نشأة أخرى فوقها و أن اللذات الأخروية و مقابلها من الآلام هي مما كسبته أو اكتسبته أيدي النفوس إرادة أو عادة– فلحقته اللوازم و التبعات و الله تعالى منزه عن حسن طاعة المطيعين و قبح سيئة المسيئين– و ليس فعل الله في عباده من إثابة أهل الثواب و عقوبة أهل العقاب يضاهي أفعال الملوك و السلاطين لأنهم ذوي أغراض و حاجات فينفعلون من أفعال أصدقائهم و أعدائهم– فيكرمون صديقهم طلبا للكرامة و تخلصا من الدناءة و ينتقمون من عدوهم تشفيا من الغيظ و إنما يضاهي فعله تعالى فعل الطبيب في المرضى أمر بالاحتماء و تناول الدواء– و نهى عن ترك الاحتماء و فعل ما يزيد في الداء فمن أطاع أمره خلص و نجا و من تمرد هلك و هوى و هو فارغ من إطاعة المريض و تعصيه فكذلك النفوس في هذا العالم بمنزلة المرضى و الأرض دار المرض و الأنبياء هم الأطباء المبعوثون من قبل الله– فمنهم من أطاع و منهم من عصى و الله بريء من المشركين و رسوله **وَ قُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شٰاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شٰاءَ فَلْيَكْفُرْ** ثم نقول لذات الآخرة و آلامها ليست من مقولة لذات الدنيا و آلامها حتى يكون لذاتها دفع الآلام كما في الدنيا فإن هذه اللذات

الدنيوية كلها انفعالات للنفس بما يرد عليها من الخارج و يؤثر فيها بخلاف اللذات الأخروية فإنها ابتهاجات للنفس بذاتها و بلوازمها و أفعالها من حيث

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۱۳

إنها أفعالها و لما كان الفعل و الانفعال مقولتان مختلفتان لا اشتراك لهما في أمر ذاتي- فكذا اللذة الفعلية غير اللذة الانفعالية في الجنس و الحد فلا مجانسة بينهما فلا يقاس إحداهما بالأخرى ففي الجنة جميع الملاذ النفسانية على وجه الكمال فللمشاعر الحسية كلها لذات على وجه أعلى و أتم و أشرف مبناها على ترك هذه اللذات الفانية- التي إذا أمعن فيها ينقلب هناك بعينها آلام و مؤذيات فينبغي للإنسان أن يلطف نفسه و يصفي جوهرة و يزهد في الدنيا و يحصل هاهنا قوة إدراك الخيرات و الشوق إلى نيل السعادات الباقيات حتى إذا خرج من القوة إلى الفعل و انتقل من النقص إلى الكمال- و برز من الأغشية و القشور و الأجداث و القبور و يحصل له ما في الصدور و كان جميع ما يتمناه و يهواه حاضرا لديه و متمثلا بين يديه بل ليس في القيامة للنفوس إلا ما قصدته و نوته فإن كان مقصودها و مناها أمورا صحيحة حقة فازت بها فوزا عظيما- و إن كانت أمورا زائلة مستحيلة من باب المقاصد الدنيوية و المطالب الشهوية و الغضبية و العقائد الوهمية الشيطانية فأتتها فانفسخت صورتها و اضمحلت مادتها و بقيت الحسرة و الندامة و الغصة و العذاب الأليم لأجل الركون إليها و الاعتياد بها و أنت تعلم أن الدنيا و ما فيها مضمحلة في جنبة الآخرة اضمحلال الجمد و ذوبان الثلج عند طلوع

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۱۴

الشمس و سلطان نورها و شدة حرارتها و حال أهل الدنيا و استيناسها بالشهوات الدنيوية بعينها كحال الخفافيش و استيناسها بظلمات الليل فإذا طلعت شمس الآخرة عند صباح القيامة- بعد غروبها في أفق الأجسام الكائنة في ليل الدنيا يلحقهم من التوحش و الاضطراب مثال ما يلحق الخفافيش و الغرض من هذا التمثيل زيادة الوضوح و الانكشاف أو تفهيم العقول الضعيفة القاصرة عن درك حقائق الأكوان و النشئات و إلا فالدعوى ثابتة بالبرهان غير محتاج إلى التمثيل و كذلك جميع الأمثال الواردة في القرآن و لسان النبوة الغرض فيها تنبيه النفوس العامية عن أحوال الآخرة كما قال تعالى **وَ تِلْكَ الْأَمْثٰالُ نَضْرِبُهٰا لِلنّٰاسِ وَ مٰا يَعْقِلُهٰا إِلاَّ الْعٰالِمُونَ** و لعل الغرض للحكماء الكاملين من وضع باب التمثيل في كتبهم المنطقية- أنما كان لضعفاء العقول الذين لا يمكنهم إدراك روح المعنى و حقيقته إلا في قالب محسوس محاك لها فإن كلا من أشخاص الحقيقة الإنسانية مثال محسوس مطابق لها و كذلك جميع المحسوسات الطبيعية مثل و أشباح لأنواعها العقلية و كذلك الدنيا و ما فيها مثال الآخرة و ما فيها فإن العوالم متطابقة متحاذية و من أراد تعريف نشأة أخرى- لمن لم يصر بعد من أهلها و لم يتجاوز عن نشأته التي تكون فيها فلا يمكن ذلك إلا بوجه التمثيل و لأجل ذلك بناء الشرائع الحقة لكونها نازلة لعامة الناس على باب التمثيلات.

ردع و تفريع:

إن من الفلاسفة الإسلاميين من فتح على قلبه باب التأويل فكان يأول الآيات الصريحة في حشر الأجسام و يصرف الأحكام الأخروية على الجسمانيات إلى الروحانيات قائلا أن الخطاب للعامة و أجلاف العرب

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۱۵

و العبرانيين و هم لا يعرفون الروحانيات و اللسان العربي مشحون بالمجازات و الاستعارات- و العجب منه كيف غفل كجمهور الفلاسفة عن وجود عالم آخر جسماني فيه أجسام و إشكال أخروية مع أعراضها كما قررناه ثم كيف حمل الآيات القرآنية الناصة الصريحة- في أحوال المعاد الجسماني على الأمور العقلية مع تصديقه للرسول و إيمانه بما في القرآن.

و فيه مبالغات و تأكيدات لما ذكرناه أقول منشأ ذلك أنه عجز عن إثبات هذا المقصد بالدليل العقلي و كذا عن إمكانه لغاية غموضه كما يظهر لمن تدبر فيما قررناه فاضطر إلى التأويل كما وقع لغيره- من علماء الإسلام في كثير من الآيات الواردة في أحوال المبدإ الظاهرة في التشبيه و التجسيم فما فعله لا يوجب التكفير كما لا يوجب فيما فعله غيره.

و أما ما أورده عليه بعض المتأخرين من أن الأمر في باب المعاد و لو كان كما زعمه يلزم أن يكون هادي الخلائق و الداعي لهم إلى الحق مضلا لهم و مقررا لأكاذيب- فإن الأجلاف و العبرانيين كما قال لا يفهمون من هذه الألفاظ إلا الظواهر التي زعم أنها غير مقصودة و هذا كما ترى مخالف للهداية فالاعتقاد به مناف لدعوى الإيمان- بصدق الرسول و حقية القرآن.

فأقول فيه نظر من وجهين الأول أن القرآن يشتمل على المنافع الدنيوية و الأخروية متاعا لكم و لأنعامكم و لا يلزم أن يعود منفعته الأخروية إلى أهل الجلافة و القسوة بل المنافع الأخروية يختص بنيلها أهل الصفوة و انشراح الصدر و هؤلاء الحمقى بمعزل عن الهداية و الضلال جميعا كما قال تعالى **وَ لَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ** الآية.

و الثاني أن هذه الظواهر المذكورة في القرآن لو لم يكن أمثالا و حكايات فيها

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۱۶

تصوير الحقائق و تمثيل الأمور الأخروية لكان الأمر كما ذكره لكن المقصود منها تمثيل الحقائق و تصوير النشأة الباقية فلا يلزم ما ذكره و إلا فجميع باب التمثيل- يلزم أن يكون إضلالا.

و منها ما تشبث به أكثر الطبيعيين و الدهريين

المتشبهين بالفلاسفة أن حدوث الإنسان و غيره من المركبات العنصرية لا يكون إلا من الأسباب السماوية و القوابل الأرضية و بإعداد حركات فلكية و استحالات مادية و انقلابات زمانية تحتاج إلى مضي أزمنة و دهور كثيرة- لأن هذا مبلغهم من العلم حيث لم يرتفع نظرهم من هذه النشأة الطبيعية إلى نشأة أخرى يحصل الأشياء الصورية فيها بمجرد الأسباب الفاعلية لا جرم أنكروا طريق الوجود و الإيجاد إلا على نهج التحريك و الإعداد للاستعداد و لو يعلموا الفرق أيضا بين الوجودين اللذين للإنسان فقاسوا الفطرة الثانية بالفطرة الأولى في جميع الأحكام و قد نبه الله تعالى في كثير من الآيات القرآنية على أن إنشاء الآخرة و إيجاد الأمور الأخروية على وجه الإعادة كإيجاد هذا العالم في الابتداء بمحض إفاضة الله تعالى كقوله **كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ** فكما أن وجود الأفلاك و الكواكب و الأركان ليس بحركة و زمان و استعداد و إعداد- لأسباب قابلية بل بعناية ربانية فكذلك حكم النشأة الأخروية لأن الموجودات هناك صورة مستقلة الوجود بلا مادة فليس لها من الأسباب إلا واهب الصور و الصور هناك قائمة بالفاعل لا بالقابل كما مر مرارا.

و منها أن الحشر و بعث الأبدان إما أن يقع لبعضها أو لجميعها

فالأول ترجيح من غير مرجح لأن استحقاق الثواب و العقاب مشترك بين الناس أجمعين فلا وجه لبعث البعض دون البعض و الثاني يوجب التزاحم المكاني لأجساد الناس و حسابهم و كتابهم- و إليه الإشارة بقوله تعالى **أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَ وَ آباؤُنَا الْأَوَّلُونَ** فأزال الله تعالى هذا الاستبعاد و الاستنكار بقوله تعليما لنبيه ص **قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلى‏ مِيقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ** فنبه تعالى عباده بأن لا تزاحم بين الأجساد في نحو الوجود الأخروي لما

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۱۷

ذكرناه أن الصور هناك غير قائمة بالمواد الوضعية المقيدة بالجهات المكانية و أنها ناشئة من تصورات نفسانية كما لا تزاحم في الصور الموجودة في أذهاننا هاهنا لأن لها نحوا آخر من الكون و كذا ميقات الآخرة و ساعة القيامة يوم معلوم عند الله و خواص عباده- لا يصل إلى إدراكه أفهام المحجوبين عن النشأة الآخرة المقيدين بأمكنة الدنيا و أزمنتها- و ليس يصلح لإدراك أمور الآخرة هذه المشاعر و الحواس فإن أمور القيامة كلها أسرار- غائبة عن هذا العالم البشري فلا يتصور أن يحيط بها إنسان ما دام في الدنيا و لم يتخلص عن أسر الحواس و تغليظ الوهم و لذلك أكثر شبه المنكرين للبعث مبناها على قياس الآخرة بالأولى و قول المنكرين **مَتى‏ هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ*** سؤال عما يستحيل الجواب عنه عن [على خ] موجبه فإن أمر الساعة إذا كان خارجا عن سلسلة الزمان و كان على شبه الإبداع كلمح البصر أو هو أقرب و كان متى سؤالا عن الزمان المخصوص استحال جواب السائل عنه إلا بشي‏ء مجمل و هو أن علمه عند الله كقول الأكمه إذا وصفنا له المبصرات المتلونة فقال كيف يدرك هذه الألوان فالجواب الحق من ذلك أن يقال له العلم بها عند البصر فالجواب الحق من الكفار و أصحاب الحجاب عن سؤالهم عن وقت قيام الساعة أن يقال لهم الجواب الإلهي قل علمها عند الله و عنده علم الساعة فمن تجرد عن غشاوة الدنيا و رجع إلى الله و حشر عنده

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۱۸

فلا بد أن يعرف حقيقة الساعة بالضرورة و لذلك قال أعلم الخلق لا تقوم الساعة و في وجه الأرض من يقول الله الله فإن من كان بعد على وجه الأرض لم يحشر بعد إلى الله- لأن القيامة من داخل حجب السماوات و الأرض و منزلتها من هذا العالم منزلة الجنين من بطن الأم فالنفس الإنسانية ما دام لم تولد ولادة ثانية و لم تخرج عن بطن الدنيا- و مشيمة البدن لم تصل إلى فضاء الآخرة و ملكوت السماوات و الأرض

كما قال المسيح ع: لن يلج ملكوت السماوات من لم يولد مرتين

و هذه الولادة الثانية حاصلة للعرفاء الكاملين بالموت الإرادي و لغيرهم بالموت الطبيعي فما دام السالك خارج حجب السماوات و الأرض فلا تقوم له القيامة لأنها داخل هذه الحجب و إنما الله داخل الحجب و الله عنده غيب السماوات و الأرض و عنده علم الساعة فإذا قطع السالك في سلوكه هذه الحجب- و تبحبح حضرة العندية صار سر القيامة عنده علانية و علمه عينا

فصل (٤) في القبر الحقيقي و أنه روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران

قد علمت أن الموت حق و أن الطبيعي منه نهاية الرجوع عن الدنيا و ابتداء الرجوع إلى الله فاعلم أن الروح إذا فارقت البدن الطبيعي مع بقاء تعلق ما لها

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ٩، ص ٢١٩

بالبدن لا بأجزاء مادية كما زعمه جمع من المتأخرين لما مر بطلانه غير مرة بل بجملة بدنه من حيث صورته و هيئة هيكله الباقية في ذكره فإن النفس إذا فارقت البدن و حملت القوة الوهمية المدركة للمعاني الجزئية بذاتها و للصور الجسمانية باستخدام الخيال و قد علمت من طريقنا استقلال القوة الخيالية في الوجود و أنها باقية بعد البدن- و إنما حاجتها إلى هذا البدن الكائن المادي في الابتداء لا في البقاء فهي عند المفارقة مدركة للجزئيات و الماديات بصورهما كما كانت مدركة في الدنيا فإذا مات الإنسان فيتخيل ذاتها مفارقة عن الدنيا و يتوهم عين الإنسان الميت و المقبور الذي مات على صورته و تجد بدنها في القبر و تدرك الآلام الواصلة إليه على سبيل العقوبات الحسية على ما وردت به الشرائع الحقة فهذا عذاب القبر و إن كانت سعيدة تخيلت الموائد الشرعية على صورة ملاءمة على وفق ما كانت تعتقده من الجنات و الأنهار و الحدائق و الولدان و الحور العين- و الكأس من المعين فهذا ثواب القبر

كما قال ص: القبر إما روضة من رياض الجنة- أو حفرة من حفر النيران

فالقبر الحقيقي هذه الهيئات و عذاب القبر و ثوابه ما ذكرناه- و البعث عبارة عن خروج النفس عن غبار هذه الهيئات كما يخرج الجنين من القرار المكين- و الفرق بين حالة القبر و حالة البعث كالفرق بين حالتي الإنسان في الرحم و عند الخروج منه فإن حالة القبر أنموذج من أحوال القيامة فإن الإنسان لكونه قريب العهد

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ٩، ص ٢٢٠

من الدنيا لم يستحكم في نفسه قوة انكشاف الآخرة على وجه الكمال كما لم يستحكم في الجنين قوة الإحساس بالمحسوسات فما دامت النفس حالها على هذا المنوال من الضعف و إدراكه كإدراك النائم يقال إنها في عالم القبر و البرزخ و إذا اشتدت قوتها قامت قيامتها و الذي يوضح لك كيفية ضغطة القبر و إن كان جسد الميت ساكنا أو كان في الهواء- أو الماء أن من كان في ضيق شديد أو تفرق اتصال بالنار و غيرها أو وقع بين حجرين عظيمين- فإن الذي يؤلمه و يؤثر في نفسه بالذات ليس هذه الأمور الواقعة على بدنه بل صورتها الواصلة إلى نفسه لعلاقة لها مع البدن حتى أنه لو فرض حصول تلك الصور إلى النفس- من سبيل آخر لا من جهة هذه الأسباب المادية لكان التأثير بحالها ما دامت النفس ذات علاقة بهذا البدن سواء كان البدن بعينه باقيا أم لا فضغطة القبر و عذابه من هذا القبيل الذي ذكرناه و كذلك ثوابه و راحته فسعة القبر و ضيقه تابعان لانشراح الصدر و ضيقه

فصل (٥) في الإشارة إلى عذاب القبر

قال بعض العلماء كل من شاهد بنور البصيرة باطنه في الدنيا لرآه مشحونا بأنواع المؤذيات و السباع كالشهوة و الغضب و المكر و الحسد و الحقد و العجب و الرياء و هي التي لا تزال تفترسه و تنهشه إن سها عنها بلحظة إلا أن أكثر الناس محجوب العين عن مشاهدتها فإذا انكشف عنه الغطاء و وضع في قبره عاينها و قد تمثلت بصورها و أشكالها الموافقة لمعانيها فيرى بعينه العقارب و الحيات قد أحدقت به و إنما هي ملكاته و صفاته الحاضرة الآن في نفسه و قد انكشف

له صورها الباطنية الحقيقية فإن لكل معنى صورة يناسبها فهذا عذاب القبر إن كان شقيا و إن كان سعيدا كان بخلافه

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ٩، ص ٢٢١

فصل (٦) في الأمر الباقي من الإنسان

قد أشرنا إلى أن النفس إذا فارقت البدن بقي لها من البدن أمر ضعيف الوجود- فوقع في رواية الحديث النبوي التعبير عنه بعجب الذنب و اختلفت العلماء في معناه فقيل- هو العقل الهيولاني و قيل بل الهيولى و قال أبو حامد الغزالي إنما هو النفس و عليها تنشأ النشأة الآخرة و قال أبو يزيد الوقواقي هو جوهر فرد يبقى من هذه النشأة لا يتغير و قال الشيخ العربي في الفتوحات إنه العين الثابت من الإنسان و قال المتكلمون إنه الأجزاء الأصلية و عندنا القوة الخيالية لأنها آخر الأكوان الحاصلة في الإنسان من القوى الطبيعية و النباتية و الحيوانية المتعاقبة في الحدوث للمادة الإنسانية في هذا العالم- و هي أول الأكوان الحاصلة له في النشأة الآخرة و بيان ذلك أن شيئا من أشياء الدنيا- و موادها و صورها و قواها لا يمكن أن ينتقل بعينه و شخصه من هذه الدنيا إلى عالم الآخرة إلا بعد تحولات و تكونات فالإنسان لا يستعد للحشر إلا بقوة كمالية هي صورة أخيرة للطبائع الكونية و الصور الهيولانية و هي العنصرية و الجمادية و النباتية- و الحيوانية اللمسية أولا ثم الذوقية ثم الشمية إلى السمعية و البصرية فإنه إذا حدث الإنسان فأول ما يحدث فيه بعد العنصرية و الجمادية قوة بها يغتذي و هي القوة الغاذية ثم من بعد ذلك القوة التي بها يحس الملموس و هي أوائل الكيفيات المحسوسة- مثل الحرارة و البرودة و غيرهما ثم التي بها يحس الطعوم ثم التي بها يحس الروائح ثم التي بها يحس الأصوات و التي بها يحس الألوان و المبصرات كلها مثل

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ٩، ص ٢٢٢

الشعاعات و يحدث مع الحواس القوة النزوعية التي بها يقع الاشتياق و الكراهة ثم ينتهي إلى قوة من شأنها أن يرتسم عندها مثل المحسوسات الخمسة الخارجية بعد غيبتها عن مشاهدة الحواس محفوظة عندها عن البطلان و الفساد و إن بطلت أو فسدت موادها الخارجية التي هي بمنزلة الأبدان لها لأن نشأتها غير نشأة صورها المحفوظة عند الخيال- كما أن نشأة بدن الإنسان غير نشأة روحها الباقية بعد فساده فهذه القوة الحافظة لمثل المحسوسات الخارجية هي الباقية من الإنسان بعد خراب البدن فتصلح لأن تقوم عليها النشأة الآخرة لأنها صورة الصور الدنيوية و الكمال الأخير لهذه الكمالات المتعاقبة- و هي المادة الأولى للصور و الكمالات الأخروية المتفاضلة في الشرف و الدنو من المبدإ الفعال فهي من شأنها أن تكون برزخا متوسطا جامعا بين الدنيا و الآخرة و تكون سقف الدنيا و فرش الآخرة

فصل (٧) في مادة الآخرة و هيولى صورها الباقية

اعلم أن كل هيولى هي ألطف وجودا فهي أسرع قبولا للصورة و أيضا كل هيولى هي أبسط جوهرا و أشد روحانية فهي أشرف صورة و كما لما سبق من أن التركيب بين المادة و صورتها تركيب اتحادي كالتركيب بين الجنس و الفصل فلا بد أن يكون بينهما مناسبة قوية موجبة للاتحاد و لنوضح ذلك بمثال أ لا ترى أن الماء العذب لما كان جوهره ألطف من جوهر التراب صار أسرع انفعالا و أحسن قبولا من التراب لكل ما يقبله من الأشكال و الأصباغ و الطعوم و غيرها و هكذا لما كان الهواء ألطف منهما- و أشرف و أشد سيلانا صار أسرع انفعالا و أسهل قبولا لما يقبله و جميع مقبولاته

أشرف و ألطف من مقبولات الأرض و الماء و هي الروائح و الأصوات و هكذا الشعاع

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۲۳

و الضياء يكون قبوله لما يقلبه في أسرع زمان بل في آن و ما يقبله من الألوان و الأشكال- هي أشد روحانية و قربا من عالم الروحانيات و كذا الروح النفساني المنبعث من تجويف القلب الصاعد إلى تجويف الدماغ هو ألطف و أشرف مما سبق من المذكورات الثلاثة- فيقبل جميع ما قبلتها الثلاثة من الكيفيات و الطعوم و الروائح و الألوان على وجه ألطف و أشرف و إلى هاهنا تنتهي لطافة المواد الجسمانية الطبيعية و هذا أيضا باب يخفى على كثير من الناظرين في العلوم فلا يصرفون إعمال رؤيتهم فيه و لا ينظرون بعين التأمل و الاعتبار حتى ينكشف لهم أن جوهر النفس له مراتب متفاوتة في قوة الوجود و ضعفه و كمال اللطافة و نقصها و أن أدنى مراتب اللطافة في النفس هو أشد بكثير من لطافة جوهر النور الحسي و لذلك يقبل رسوم سائر المحسوسات و المتخيلات و المعقولات عند تكونها في مراتب أنوار الحس و الخيال و العقل فأول مادة تقبل النشأة الآخرة هي القوة الخيالية من النفس فيتمثل لها و تقوم بها أمثلة المحسوسات- و صورها المفارقة عن موادها.

و اعلم أن الفرق بين هيولى الصور الدنيوية و هيولى الآخرة غير ما ذكرناه بأمور أخرى.

و منها أن ما يحل هذه الهيولى لا يحلها إلا بعد حركة استعدادية

و زمان سابق و جهات قابلية و أسباب خارجية بخلاف المادة الأخروية فإن الصور الفائضة عليها- إنما تفيض عليها من المبدإ الفياض من جهة المقومات و الأسباب الداخلية و جهاتها الفاعلية على وجه اللزوم عند تأكدها.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۲۴

و منها أن المادة الدنيوية إذا أزيلت صورتها عنها فتحتاج في استرجاعها إلى استيناف تأثير

من سبب خارجي مصور للمادة بها تارة أخرى كصورة البياض و الحلاوة و غيرهما إذا حصلت في مادة ثم زالت عنها فلا يكتفي ذات القابل بذاته في استرجاع تلك الصورة بخلاف القوة النفسانية إذا غابت عنها الصورة الحاصلة فيها فلا يحتاج في الاستحضار و الاسترجاع إلى كسب جديد و تحصيل مستأنف بل يكتفي بذاتها و مقوماتها في ذلك الاستحضار لا إلى سبب منفصل و إليه أشير بقوله تعالى لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ إشارة إلى أن الأسباب الاتفاقية غير حاصلة في ذلك العالم و سلسلة الإيجاد منحصرة في الأمور الداخلة الناشئة من المبدإ الأول دون العرضيات و المعدات الخارجية الواقعة في عالم الاتفاقات و الحركات المحصلة للاستعدادات كما قال تعالى الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ و قال فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ

فصل (۸) في البعث

أما البعث فهو خروج النفس عن غبار هذه الهيئات المحيطة بها كما يخرج الجنين من القرار المكين و قد مرت الإشارة إلى أن القبر الحقيقي هو انغمار النفس

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۲۵

و انحصارها بعد موت البدن في تلك الهيئات المكتفنة فهي ما بين الموت و البعث بمنزلة الجنين أو النائم لم تقو قواها و مشاعرها لإدراك المدركات الآخرة فإذا جاء وقت القيام- انبعث الإنسان من هذا الانغمار قادما إلى الله تعالى متوجها إلى الحضرة الإلهية إما مطلقا حرا عن قيد التعلقات و أسر الشهوات فرحانا بذاته مسرورا بلقائه تعالى و من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه و إما مقبوضا مأسورا بأيدي الزاجرات القاسرات كارها للقائه تعالى و من كره لقاء الله كره لقاءه

فصل (۹) في الحشر

قد سبق أن الإنسان نوع واحد متفق الأفراد في هذا العالم و أما في النشأة الآخرة فأنواعه متكثرة كثرة لا تحصى لأن صورته النفسانية هي مادة قابلة لصورة أخروية شتى بحسب هيئات و ملكات مكتسبة ألبسها الله يوم الآخرة بصور تناسبها فيحشر إليها و بها كما قال تعالى **يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجاً** فحشر الخلائق مختلفة الأنحاء حسب الأعمال و الملكات و الآراء فلقوم على سبيل الوفود **يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمٰنِ وَفْداً** و لقوم على سبيل التعذيب **وَ يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْداءُ اللهِ إِلَى النَّارِ** و لقوم كما قال تعالى **وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمىٰ** و لقوم كما قال **وَ نَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً** و لقوم **إِذِ الْأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ وَ السَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ** و لقوم على سبيل التعظيم و التكريم كقوله **سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ** و قوله **ادْخُلُوها بِسَلامٍ آمِنِينَ** و لقوم و هم الأسارى كما قال تعالى **خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ**

الحکمة المتعالية فی الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۲۶

صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً فَاسْلُكُوهُ و بالجملة كل أحد إلى غاية سعيه و عمله و إلى ما يحبه و يهواه حتى أنه لو أحب أحد حجرا لحشر معه لقوله تعالى

الحکمة المتعالية فی الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۲۷

إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ و قوله تعالى **احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ أَزْواجَهُمْ** فإن تكرر الأفاعيل كما مر يوجب حدوث الملكات و كل ملكة تغلب على نفس الإنسان تتصور في القيامة بصورة تناسبها **قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلىٰ شاكِلَتِهِ** و لا شك أن أفاعيل الأشقياء المردودين أنما هي بحسب هممهم القاصرة النازلة في مراتب البرازخ الحيوانية و تصوراتهم مقصورة على الأغراض الشهوية البهيمية و الغضبية السبعية الغالبة على نفوسهم فلا جرم يكون حشرهم في القيامة على صور تلك الحيوانات و هيئاتها فإن الأبدان سيما الأخروية بهيئاتها و أشكالها المحسوسة قوالب للنفوس بهيئاتها و صفاتها المعنوية و أشير إليه بقوله تعالى **وَ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ** و قوله **يا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ** و في الحديث

قوله ص: يحشر الناس على صور نياتهم

و قوله ص: يحشر بعض الناس على صورة تحسن عندها القردة و الخنازير

. تبصرة أخروية:

إن في داخل بدن كل إنسان و مكمن جوفه حيوانا صوريا بجميع أعضائه و أشكاله و قواه و حواسه هو موجود قائم بالفعل

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۲۸

لا يموت بموت هذا البدن و هو المحشور يوم القيامة بصورته المناسبة لمعناه و هو الذي يثاب و يعاقب و ليست حياته كحياة هذا البدن المركب عرضية واردة عليه من الخارج و إنما حياته كحياة النفس ذاتية و هو حيوان متوسط بين الحيوان العقلي و الحيوان الحسي يحشر في القيامة على صورة هيئات و ملكات كسبتها النفس بيدها العمالة و بهذا يرجع و يأول معنى التناسخ المنقول عن الحكماء الأقدمين كأفلاطون و من سبقه مثل سقراط و فيثاغورس- و غيرهما من الأساطين كما مرت الإشارة إليه و كذا ما ورد في لسان النبوات و عليه يحمل الآيات المشيرة إلى التناسخ و كذا قوله تعالى **وَ إِذٰا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنٰا لَهُمْ دٰابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النّٰاسَ كٰانُوا بِآيٰاتِنٰا لاٰ يُوقِنُونَ** و قوله تعالى **وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيٰاتِنٰا فَهُمْ يُوزَعُونَ** و قوله تعالى **يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ** كل ذلك إشارة إلى انقلاب النفوس في جوهرها و صيرورتها من أفواج الأمم الصامتة- و خروجها يوم النشور إذا بعثر ما في القبور و حصل ما في الصدور على صورة أنواع الحيوانات من السباع و المؤذيات و البهائم و الوحوش و الشياطين

تذكرة توضيحية: ظن أجناس العوالم و النشئات ثلاثة

إحداها النشأة الأولى

و هي عالم الطبيعيات و الماديات الحادثات و الكائنات الفاسدات.

و ثانيها النشأة الوسطى

و هي عالم الصور المقداريات و المحسوسات الصوريات بلا مادة.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۲۹

ثالثها النشأة الثالثة

و هي عالم الصور العقليات و المثل المفارقات فالنشأة الأولى بائدة داثرة متبدلة زائلة بخلاف الأخيرتين و خصوصا الثالثة و هي مأوى للكمل و مرجع الكاملين و معاد المقربين و الإنسان حقيقة مجتمعة بالقوة من هذه العوالم و النشئات بحسب مشاعره الثلاثة مشعر الحس و مبدؤه الطبع و مشعر التخيل و مبدؤه النفس و مشعر التعقل و مبدؤه العقل و النفس الإنسانية في بداية تكونها و أول خلقتها هي بالقوة في نشئاتها الثلاث لأنها كانت قبل وجودها في مكمن الإمكان و كتم الخفاء كما قال تعالى **وَ قَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ تَكُ شَيْئاً** و قوله تعالى **هَلْ أَتىٰ عَلَى الْإِنْسٰانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ- لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً** و كلما كان وجوده أولا بالقوة فلا بد أن يكون متدرج الحصول- في أصل الوجود و كمالاته و يكون مترقيا من الأدنى إلى الأعلى و متدرجا من الأضعف إلى الأقوى فلها في كل من نشئاتها الثلاث مراتب و هي قوة و استعداد و كمال مثال ذلك كالكتابة فلها قوة كما للطفل و استعداد كما للأمي المتعلم المحصل لأسباب الكتابة و آلاتها و لكن لم يتعلم بعد و الكمال للقادر على الكتابة متى شاء من غير كسب جديد- لأجل حصول ملكة راسخة في هذه الصناعة و هو قد يكون محجوبا عن الكتابة ممنوعا عنها لا مانع داخلي بل لمانع و حجاب خارجي كما للعين الصحيحة إذا لم يبصر لأجل غطاء من خارج و قد لا يكون كذلك لزوال المانع و الحجب الخارجية فالقوة في الإحساس كما للجنين عند كونه في الرحم و الاستعداد له كما للطفل عند تولده تام الآلات للحواس- و الكمال فيه كما

للصبي حين ترعرعه و كذا قياس مراتب التخيل و مراتب التعقل و يقال لها العقل الهيولاني و العقل بالفعل و العقل الفعال فالأول قوة و الثاني استعداد- و الثالث كمال و الرابع فوق كمال فهذه كلها مراتب متعاقبة الحصول في الإنسان بحسب جوهره و ذاته فمن غلب عليه واحد من هذه الكمالات الثلاثة أعني الحسي و النفسي و العقلي كان مآله إلى عالمه و أحكام نشأته و لوازمها فمن غلبت عليه نشأة الحس و الاستكمال- بالمستلذات الحسية و المألوفات الدنيوية فهو بعد وفاته أليف غصة شديدة و رهين عذاب أليم لا أن الدنيا و لذاتها أمور مجازية لا حقيقة لها و الإحساس بها انفعالات تنفعل النفس

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۳۰

بها عند الحدوث و يزول بسرعة عنها و لا تدوم و لكن يبقى الأثر و العادة في المحبة و الاشتياق- فمن عشقها و اشتاقها كان كمن أحب أمرا معدوما محبة مفرطة و طلب شيئا باطلا طلبا شديدا- و حيث لم يكن لمحبوبه أثر و لا لطلبه ثمر فهو في هذه الحال في غصة شديدة و ألم دائم كذلك حال طلبة الدنيا الراغبين في مشتهياتها إلا أنهم ما داموا في الدنيا يشتبه ذلك عليهم و يزعمون أن لمحبوباتهم حقيقة فيأكلون و يتمتعون كما تأكل الأنعام و النار مثوى لهم- لأنه إذا طلعت شمس الآخرة و قامت اضمحلت بها رسوم المجازات و ذابت بإشراقها أكوان المحسوسات اضمحلال الظلال و ذوبان الجميد بحرارة ارتفاع الشمس في أوان الصيف فبقي المحب للدنيا و المحسوسات المادية محترقا بنار الجحيم معذبا بالعذاب الأليم- فيكون حشره إلى دار البوار و مرجع الأشرار و مهوى الفسقة و الكفار و إن غلب عليه رجاء يوم الآخرة و الميل إلى ما وعده الله و رسوله من الجنة و نعيمها و سرورها و حورها و قصورها- و الخوف من عذاب الآخرة و نار جهنم و آلامها و العمل بمقتضى الوعد و الوعيد فمآله الوصول

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۳۱

إلى نعيم الجنة و الخلاص من عذاب النار و إن غلبت عليه القوة العقلية و استكملت بإدراك العقليات المحضة و العلم باليقينيات الحقيقية من طريق البراهين و الأسباب العقلية الدائمة- فمآله إلى عالم الصور الإلهية و المثل النورية و الانخراط في سلك المقربين و القيام في صف الملائكة العليين بشرط أن يكون عقائده مشفوعة بالزهد الحقيقي خالصة عن أغراض النفس و الهوى و عن مشتهيات الدنيا فارغة عن جميع ما يشغل سره عن الحق و ذلك هو الفضل العظيم و المن الجسيم.

و ليعلم أن الزهد الحقيقي و النية الخالصة عن شوب الأغراض النفسانية لا يمكن أن يتيسر إلا للطائفة الأخيرة و هم العرفاء الكاملون دون الجهال الناسكين مع أن الغرض الأصلي من النسك هو تخليص القلب عن الشواغل و التوجه التام إلى المبدإ الأصلي- و الاشتياق إلى رضوان الله تعالى و ليت شعري كيف يشتاق و يتوجه نحو المبدإ الأول و دار كرامته من لا يعرفهما و لا يتصورهما.

فإن قلت فيلزم الدور مما ذكرت لأن الاشتياق و السلوك إليه تعالى يتوقف على العلم به و العلم به يتوقف على السلوك نحوه و الاشتياق نحوه لأن العلم هو الغاية القصوى- قلت نعم العلم هو الأول و الآخر و المبدأ و المنتهى و لكن لا يلزم الدور المستحيل لتفاوت مراتب العلم بالقوة و الضعف فالذي هو مبدأ أصل العمل نحو من العلم الحاصل بالتصديق

الظني أو الاعتقاد التقليدي لساكن النفس فإن ذلك مما يصلح لأن يصير مبدأ لعمل الخير و الذي هو الغاية القصوى للعمل و السلوك على الصراط المستقيم هو نحو آخر من العلم و هو المشاهدة الحضورية و الاتصال العلمي المسمى بالفناء في التوحيد عند الصوفية

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۳۲

فصل (۱۰) في أن للنفس الإنسانية أنحاء كثيرة من الحشر بعضها قبل حدوث هذا البدن الطبيعي و بعضها بعده

قد سبق أن للنفس الإنسانية كينونة سابقة على هذا الكون النفساني كما دلت عليه الأحاديث النبوية من طريق أهل بيته ع و ذهب إليه أفلاطون كما هو المشهور- و من قدح على مذهبه من أتباع المشائيين بما هو مذكور في الكتب المشهورة لم يعرف مذهبه و زعم أن مراده أن النفس من حيث نفسيتها و نحو وجودها النفسي متقدمة على هذا البدن ليلزم إما التناسخ و إما وحدة النفوس و إما تكثر أفراد نوع واحد من غير عوارض مخصصة خارجية و مادة متخصصة بها حاملة لها و قد مرت الإشارة إلى أن مقصوده ليس كما زعموه بل الحق أن للنفس قبل صيرورتها نفسا ناطقة أنحاء أخرى من الكون بعضها في هذه النشأة الدنيوية و بعضها قبل هذه النشأة و بعضها بعد هذه النشأة- أما التي في هذه النشأة فبعضها حيوانية و بعضها طبيعية نباتية و غير نباتية و الانتقالات التي تقع من بعضها إلى بعض لا تكون إلا بحركة و زمان و مادة مستحيلة كائنة فاسدة و أما التي قبل هذه النشأة فبعضها مثالية و بعضها عقلية و بعضها قضائية إلهية و الانتقالات الواقعة هناك- على سبيل النزول الوجودي بالإفاضة و الإبداع من غير زمان و حركة و أما التي بعدها فبعضها حيوانية حسية و بعضها نفسانية خيالية و بعضها عقلية قدسية فظهر لمن تدبر و تأمل فيما ذكرناه سابقا و لاحقا بالنهج البرهاني أن للإنسان أنواعا من الحشر.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۳۳

و مما يؤيد ما ذكرناه ضربا من التأييد ما قاله الشيخ محيي الدين الأعرابي في الباب الرابع و الثمانين و مأتين اعلم أن الروح الإنساني أوجده الله مدبرا لصورة حسية سواء كان في الدنيا أو في البرزخ أو في الدار الآخرة أو حيث كان فأول صورة لبسها- الصورة التي أخذ عليه فيها الميثاق بالإقرار بربوبية الحق عليه ثم إنه حشر من تلك الصورة إلى هذه الصورة الجسمية الدنياوية و حبس بها في رابع شهر من تكون صورة جسده- في بطن أمه إلى ساعة موته فإذا مات حشر إلى صورة أخرى من حين موته إلى وقت سؤاله فإذا جاء وقت سؤاله حشر من تلك الصورة إلى صورة جسده الموصوف بالموت فيحيي به و يؤخذ بأسماع الناس و أبصارهم عن حياته بذلك الروح إلا من خصه الله بالكشف من نبي أو ولي ثم يحشر بعد السؤال إلى صورة أخرى في البرزخ يمسك فيها بل تلك الصورة عين البرزخ و النوم و الموت في ذلك على السواء إلى نفخة البعث فيبعث من تلك الصورة و يحشر إلى الصورة التي كان فارقها في الدنيا إن كان بقي عليه سؤال- فإن لم يكن من أهل ذلك الصنف حشر في الصورة التي يدخل بها الجنة و المسئول يوم القيامة إذا فرغ من سؤاله حشر إلى الصورة التي يدخل بها الجنة أو النار و أهل النار كلهم

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۳۴

مسئولون فإذا دخلوا الجنة و استقروا فيها ثم دعوا إلى الرؤية و نودوا حشروا في صورة لا تصلح إلا للرؤية فإذا عادوا حشروا في صورة تصلح للجنة و في كل صورة تنسى صورته التي كان عليها و يرجع حكمه إلى حكم الصورة التي انتقل إليها و حشر فيها- فإذا دخل سوق الجنة و رأى ما فيه من الصور فأية صورة رآها و استحسنها حشر فيها فلا يزال في الجنة دائما يحشر من صورة إلى صورة إلى ما لا نهاية له ليعلم بذلك الاتساع الإلهي فلا يزال يحشر في الصور دائما يأخذها من سوق الجنة و لا يقبل منها إلا ما يناسب صورة التجلي الذي يكون في المستقبل لأن تلك الصورة هي كالاستعداد الخاص لذلك التجلي فاعلم هذا فإنه من لباب المعرفة الإلهية و لو تفطنت لعرفت أنك الآن كذلك تحشر في كل نفس في صورة الحال التي أنت عليها و لكن يحجبك عن ذلك رؤيتك المعهودة و إن كنت تحس بانتقالك في أحوالك التي عنها تنصرف في ظاهرك و باطنك- و لكن لا تعلم أنها صورة لروحك تدخل فيها في كل آن و يحشر فيها و يبصرها العارفون صورا صحيحة ثابتة ظاهرة العين فالعارف يقدم قيامته في موطن التكليف الذي يئول إليها جميع الناس فيزن على نفسه أعماله و يحاسب نفسه هاهنا قبل الانتقال كما حرص الشرع عليه فقال حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا و لنا فيه مشهد عظيم عايناه و انتفعنا بهذه المحاسبة انتهت عبارته و إنما نقلنا بطوله لما فيها من الفوائد النفيسة و للاتفاق في كثير من وجوه الحشر المذكورة فيها لما ذكرناه و إن وقعت المخالفة في البعض لأن من عادة الصوفية الاقتصار على مجرد الذوق و الوجدان فيما حكموه عليه و أما نحن فلا نعتمد كل الاعتماد على ما لا برهان عليه قطعيا و لا نذكره في كتبنا الحكمية.

تذكرة فيها تبصرة:

اعلم أيها السالك إلى الله تعالى و الراغب في دار كرامته أن هذه الأمور الجسمانية و الصور المادية جعلها الله كلها مثالات

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۳۵

دالات على الأمور الروحانية القدرية كما أنها مثالات دالات على الأمور الرحمانية القضائية التي هي عالم الجبروت و حضرة الربوبية دلالة المعلول على العلة و ذي الغاية على الغاية و دلالة الناقص على كماله و الصورة على حقيقتها و معناها لأن العوالم كما علمت متطابقة متحاذية حذو النعل بالنعل و جميعا منازل و مراحل إلى الله تعالى- و هي أيضا صورة الأسماء الإلهية فإن الأسماء على كثرتها و تفصيلها باعتبار مفهوماتها لا باعتبار حقيقتها و وجودها الذي هو أحدي محض لا اختلاف فيه أصلا كما سبق بيانه- فهي إنما تنزلت أولا إلى عالم العقول المقدسة و الأنوار المجردة الإلهية و العلوم التفصيلية الإلهية ثم تنزلت إلى عالم الصور النفسانية و المثل المقدارية ثم إلى عالم الصور المادية و هي ذوات الجهات و الأوضاع المكانية فكما أن النزول و الصدور من المبدإ الأعلى على هذا المنوال بهذا الترتيب فكذلك الرجوع و الحشر إليه و الورود عليه لا بد أن يكون بتلك الدرج و المراقي على عكس الترتيب النزولي

فصل (۱۱) في أن للإنسان حشرا كثيرا كثرة لا تحصى

قد سبق أنه جعل الله مقامات الحواس و التخيلات و التعقلات درجا و مراقي يرتقي بها السالك إليه تعالى فلا بد أن ينزل أولا في عالم المحسوسات المادية ثم في عالم المحسوسات المجردة عن المادة المرئية بعين الخيال لصيرورة

الحس خيالا ثم في عالم الصور المفارقة لصيرورة الخيال عقلا بالفعل و في كل من هذه العوالم الثلاثة طبقات كثيرة متفاوتة في اللطافة و الكثافة و ما هو أعلى من هذه العوالم يكون

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۳۶

عدد طبقاته أكثر و التفاوت بين أسفله و أعلاه أشد فلا يبلغ الإنسان إلى أدنى درجات عالم النهايات إلا بعد طي درجات عالم الأوساط كلها و لا يبلغ إلى أدنى درجات عالم الأوساط إلا بعد طي درجات عالم البدايات كلها و هو عالم المحسوسات المادية- فجميع العوالم و درجاتها هي منازل السائرين إلى الله تعالى ففي كل منزل منها للسالك خلع و لبس جديد و موت و بعث منه و حشر إلى ما بعده فعدد الموت و البعث و الحشر كثير لا يحصى و قيل بعدد الأنفاس و هو الصحيح عندنا بالبرهان الذي أقمنا على أن لا ساكن في هذا العالم من الجواهر الطبيعية سيما الجوهر الإنساني المتحرك في ذاته إلى عالم الآخرة ثم إلى الحضرة الإلهية و لا بد من وروده أولا إلى أولى مراتب المحسوسات ثم يرتقي قليلا قليلا إلى أن يتخلص منها و إليه الإشارة بقوله تعالى- **وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها كانَ عَلى‏ رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيًّا** فإن كل واحد من أفراد الناس بواسطة وقوعه في عالم الطبيعية الكائنة يحصل له استحقاق عذاب النار لو لم يتبدل نشأته و لم ينجبر سيئته الفطرية بفعل الطاعات و ترك الشهوات كما قال تعالى **فَأُوْلئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ**.

فإن قلت هذا الذي ذكرت ينافي معنى

قوله ع: كل مولود يولد على الفطرة الحديث

. قلت لا منافاة بينهما لأن المذكور في الحديث هو فطرة الروح لأنها بحسب ذاتها من عالم القدس و الطهارة و الذي كلامنا فيه هو ابتداء نشأة البدن و وقوع النفس فيها فهي فطرة البدن الذي حصل من الأجسام الحسية المادية التي وجودها أخس الوجودات و أظلمها و أبعدها عن الله و ملكوته

و قد ورد في الحديث النبوي ص: أنه تعالى ما نظر إلى الأجسام مذ خلقها

و بما ذكرناه أيضا اندفع التدافع بين حديثين

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۳۷

مشهورين أحدهما كل مولود يولد على الفطرة و الآخر أن الله قد خلق الخلق في ظلمة- ثم رش عليها من نوره الحديث و اعلم يا حبيبي أنه كما لا بد من ورودك إلى هذا العالم الحسي فلا بد لك في الخلاص عنه و عن علائقه من معرفة الأمور المحسوسة لأن المهاجرة عنها أنما يكون بالزهد فيها و هو لا يحصل إلا بمعرفتها و العلم بدناءتها و خستها و لأن الدنيا و الآخرة واقعتان تحت جنس المضاف من جهة الدنو و العلو و الدناءة و الشرف- و الأولوية و الأخروية و معرفة أحد المضافين يستلزم معرفة الآخر معا و كذا جهالة أحدهما مع جهالة الآخر فمن لم يعرف الدنيا و خستها لم يعرف الآخرة و شرفها و من لم يعرف الآخرة و شرفها كيف اختارها و اشتاق إليها و لهذا و لوجوه أخرى اعتنى الحكماء بالبحث عن الأجسام الطبيعية و أحوال المحسوسات لينتقلوا منها إلى ما وراء المحسوسات- و ما بعد الطبيعيات كما قال تعالى **وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولى‏ فَلَوْ لا تَذَكَّرُونَ**

فصل (۱۳) في تذكر أن الموت حق و البعث حق

قد علمت من تضاعيف ما أسلفنا ذكره من أن لكل شيء جوهري حركة جبلية نحو الآخرة و تشوقا طبيعيا إلى عالم القدس و الملكوت و له عبادة ذاتية تقربا

الحكمة المتعالية فی الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۳۸

إلى الله تعالى سيما الإنسان لكونه أشرف الأنواع الواقعة تحت الكون و الفساد فله كما سبق مرارا انتقالات و تحولات ذاتية من لدن حدوثه الطبيعي إلى آخر نشأته الطبيعية ثم منها إلى آخر نشأته النفسانية و هلم إلى آخر نشأته العقلية و علمت أيضا أنه أول ما اقتضت النفس و توجهت إليه تكميل هذه النشأة الحسية و تعمير مملكة البدن بالقوى البدنية و الآلات و البدن بمنزلة الراحلة أو السفينة لراكب النفس في السفر إلى الله تعالى في بر الأجسام و بحر الأرواح ثم إذا كملت هذه النشأة و عمرت هذه المرحلة عبرت منها و أخذت في تحصيل نشأة ثانية و دخلت في منزل آخر أقرب إلى مبدئها و غايتها و هكذا يتدرج في تكميل ذاتها و تعمير باطنها و تقوية وجودها بإمداد الله و عنايته و كلما ازدادت في قوة جوهرها المعنوي و اشتدت نقصت في صورتها الظاهرية و ضعف وجودها الحسي فإذا انتهت بسيرها الذاتي و حركتها الجوهرية إلى عتبة باب من أبواب الآخرة عرض لها الموت عن هذه النشأة و الولادة في النشأة الثانية فالموت نهاية السفر إلى الآخرة و بداية السفر فيها إلى غاية أخرى هي النشأة الثالثة و قد مر أيضا أن النفس الإنسانية في مبدإ تكونها كالجنين في بطن الدنيا و مشيمة البدن فيتربى شيئا فشيئا في هذه الدنيا كما يتربى الجنين في بطن أمه- و الموت سواء كان طبيعيا أو إراديا عبارة عن الخروج عن بطن الدنيا إلى سعة الآخرة- فاتضح و انكشف بما ذكرناه سابقا و لاحقا أن الموت أمر طبيعي للنفس و كل أمر طبيعي لشيء يكون خيرا و تماما له و كل ما هو خير و تمام لشيء فهو حق له فثبت أن

الحكمة المتعالية فی الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۳۹

الموت حق للنفس فأما الفساد و الهلاك الذي يطرأ البدن فإنما هو أمر واقع بالعرض لا بالذات كسائر الشرور الواقعة في هذا العالم بالعرض تبعا للخيرات و الغايات الطبيعية- فالعدالة الإلهية تقتضي رعاية ما هو الأشرف و الأفضل فالحياة الروحانية للإنسان- أشرف من هذه الحياة الطبيعية البدنية على أنك لو نظرت نظرا حكميا في البدن- من حيث هو بدن طبيعي لوجدت قوامه و تمامه بالنفس و قواها و هذيته و تشخصه بها- بل وجدته متحدا بها اتحاد المادة المبهمة بالصورة المعينة و اتحاد الناقص بالتام و القوة بالفعل فلو فرض تفرده بذاته دون النفس و قواها لم يبق له إنية و حقيقة إلا العناصر و الأجزاء المتداعية للافتراق و هي بحالها كما كانت قبل الموت و بعده.

و اعلم أن الأجسام الواقعة تحت تصرف النفوس و الأرواح هي في نفسها مضمحلة مقهورة مستهلكة و كلما كانت النفوس أشرف و أقوى كانت الأبدان المتصرفة فيها أضعف قوة و أقل إنانية و أنقص وجودا و كلما أمعنت النفس في القوة و الحياة و الكمال أمعن البدن في الضعف و الموت و الزوال حتى إذا بلغت غايتها من الاستقلال- انعدم البدن بالكلية و زال و هذا المعنى مشاهد في الأجسام الطبيعية أ لا ترى أن جسمية الجماد أقوى و أحكم من جسمية النبات و هي أقوى من جسمية الحيوان- و هي من جسمية الإنسان بحسب تفاوت نفوسها و أرواحها في القوة و التمام.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۴۰

قال بعض العرفاء إن الموت أثر تجلي الحق لموسى النفس الناطقة فيندك جبل إنية البدن اندكاكا و تجليه تعالى أنما يكون في عالم الملكوت للنفس التي قويت نسبتها إلى ذلك العالم فعند ما قويت لشيء جهة الروحانية و الملكوتية اضمحلت منه جهة الجسمانية و الملك لأنهما ضدان و إن الدنيا و الآخرة ككفتين رجحان إحداهما يوجب نقصان الأخرى و هذا الذي ادعيناه غير منقوض بالفلك و ما فيه لأن كمالات الأفلاك و الكواكب و خصائصها الكمالية كلها من جهة نفوسها لا من جهة أجسادها- فإن امتناعها عن قبول الانقسام و دخول جسم فيها من خارج و ورود آفة و فساد و استحالة- و غير ذلك كلها ليس إلا من جهة نفوسها لا من جهة أجسادها و لأجل قوة أو صلابة في جسميتها إذ لا طبيعة أخرى لها و لا قوة فيها إلا ما يكون من لوازم نفوسها فجسمية الفلك بما هي مادة لها لا بما هي جنس و قد علمت الفرق بينهما مرارا هي أضعف الأجسام بل الفلك كله نفس إلا أمرا شبيها بالهيولى الأولى أو أرفع منها قليلا لتمكن فيه قبول الأوضاع و الحركات و أما أجسام الآخرة فقد علمت أنها بعينها نفوسها و علمت أن وجودها وجود

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۴۱

إدراكي نفساني و حياتها حياة ذاتية لا عرضية كهذه الأجسام المادية

حكمة إلهية:

إن الله تعالى قد جعل لواجب حكمته في طبع النفوس محبة الوجود و البقاء و جعل في جبلتها كراهة الفناء و العدم- و هذا حق لما علمت أن طبيعة الوجود خير محض و نور صرف و بقاؤه خيرية الخير و نورية النور و الطبيعة لم تفعل شيئا باطلا و كلما ارتكز فيها لا بد أن يكون له غاية- يترتب عليه و ينتهي إليها فعلم من هذا أن محبة النفوس للبقاء و كراهتها للموت ليست إلا لحكمة و غاية هي كونها على أتم الحالات و أكمل الوجودات فكون النفوس مجبولة على طلب البقاء و محبة الدوام دليل على أن لها وجودا أخرويا باقيا أبد الدهر و ذلك لأن بقاءها في هذه النشأة الطبيعية أمر مستحيل فلو لم يكن لها نشأة أخرى باقية تنتقل إليها لكان ما ارتكز في النفس و أودع في جبلتها من محبة البقاء السرمدي و الحياة الأبدية باطلا ضائعا و لا باطل في الطبيعة كما قالته الحكماء الإلهيون.

عقد و حل:

و لك أن تقول إذا كان موت البدن في هذه النشأة الفانية- حياة النفس في النشأة الباقية و إن للنفس توجها جبليا إلى الانتقال إلى عالم الآخرة عن هذا العالم و حركة ذاتية جوهرية إلى القرب من الله تعالى و الدخول في عالم الأرواح و الاجتناب عن دار الظلمات و الحجب الجسمانية فإن التجسم عين الحجاب و الظلمة و الجهل فما سبب كراهة النفوس و توحشها عن الموت و طرح الجسد و فيه تعري النفس عن ثقله و كثافته و خلاصها عن الحبس و انطلاقها

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۴۲

عن السجن و قيده.

فنقول في كراهة الموت البدني للنفوس الإنسانية سببان فاعلي و غائي أما السبب الفاعلي فهو أن أول نشئات النفس هي

هذه النشأة الطبيعية البدنية و لها الغلبة على النفوس- ما دامت متصلة بالبدن متصرفة فيه فيجري عليها أحكام الطبيعة البدنية و يؤثر فيها كلما يؤثر في الجوهر الحسي و الحيوان الطبيعي من الملائمات و المنافيات البدنية- و لهذا تتألم و تتضرر بتفرق الاتصال و الاحتراق بالنار و أشباه ذلك لا من حيث كونها- جواهر نطقية و ذواتا عقلية بل من حيث كونها جواهر حسية و قوى تعلقية فتوحشها من الموت البدني و كراهتها إنما يكون لحصة لها من النشأة الطبيعية و هي متفاوتة بحسب شدة الانغمار في البدن و الانكباب فيه على أنا لا نسلم الكراهة عند الموت الطبيعي الذي يحصل في آخر الأعمار الطبيعية دون الآجال الاخترامية و أما ما يقتضيه العقل التام و قوة الباطن و غلبة نور الإيمان بالله و اليوم الآخر و سلطان الملكوت فهو محبة الموت الدنيوي و التشوق إلى الله و مجاورة مقربيه و ملكوته و التوحش عن حياة الدنيا و صحبة الظلمات و مجاورة المؤذيات فالعارف يتوحش من صحبة حيوانات الدنيا- توحش الإنسان الحي من مقارنة الأموات و أصحاب القبور و أما السبب الغائي و الحكمة في كراهة الموت هو محافظة النفس للبدن الذي هو بمنزلة المركب في طريق الآخرة و صيانته عن الآفات العارضة ليمكن لها الاستكمالات العلمية و العملية إلى أن يبلغ كمالها الممكن و كذا إرادة الله تعالى تعلقت بإبداع الألم و الإحساس به في غرائز الحيوانات و الخوف في طباعها عما يلحق أبدانها من الآفات العارضة و العاهات الواردة عليها حثا لنفوسها على حفظ أبدانها و كلالة أجسادها و صيانة هياكلها من الآفات العارضة لها إذ الأجساد لا شعور لها في ذاتها و لا قدرة على جر منفعة أو دفع مضرة- فلو لم يكن الألم و الخوف في نفوسها لتهاونت النفوس بالأجساد و خذلتها و أسلمتها إلى

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۴۳

المهالك قبل فناء أعمارها و انقضاء آجالها و لهلكت في أسرع مدة قبل تحصيل نشأة كمالية برزخية و تعمير الباطن و ذلك ينافي المصلحة الإلهية و الحكمة الكلية في إيجادها و ليس الأمر في الآلام و الأوجاع المودعة في الحيوانات كما ظنه قوم من التناسخية من أنها من باب العقوبة لها بل لما ذكرناه

فصل (۱۳) في الإشارة إلى حشر جميع الموجودات حتى الجماد و النبات إلى الله تعالى كما يدل عليه الآيات القرآنية

اعلم أن الممكنات كما مر على طبقات

أولاها المفارقات العقلية و هي صور علم الله- و ثانيها هي الأرواح المدبرة تدبيرا كليا للأجرام العلوية و السفلية المتعلقة بها ضربا من التعلق.

و ثالثها الأرواح المدبرة تدبيرا جزئيا و النفوس الخيالية المتعلقة بالأجسام السفلية البخارية و الدخانية أو النارية منها و ضرب من الجن و الشياطين.

و رابعها هي النفوس النباتية.

و خامسها الطبائع السارية في الأجسام المنقسمة بانقسامها.

و سادسها الأجسام الهيولوية و هي الغاية في الخسة و البعد عن المبدإ الأول- و جميعها محشورة إليه تعالى و نحن بصدد إثبات هذا المطلب إجمالا و تفصيلا بتوفيق ربنا الأعلى.

فنقول أما الوجه الإجمالي

فهو كما مر أنه تعالى لم يخلق شيئا إلا لغاية و ما

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۴۴

من ممكن إلا و له فاعل و غاية و من الموجودات و هي المركبات ما له علل أربع الفاعل و الغاية و المادة و الصورة و لكل غاية غاية أخرى و لا يتسلسل إلى غير النهاية بل ينتهي إلى غاية أخيرة لا غاية لها كما أن لكل مبدإ مبدأ حتى ينتهي إلى مبدإ أول لا مبدأ له و قد ثبت بالبرهان أن بارئ الكل لا غاية في فعله سوى ذاته و أنه غاية الغايات كما أنه مبدأ المبادي و لا شك أن غاية الشيء ما له أن يصل إليه إلا لمانع خارجي- و كلما لا يمكن الوصول إليه لم يكن إطلاق الغاية عليه إلا بالمجاز فلم يكن غاية بالحقيقة و قد فرضناها غاية هذا خلف فثبت بما ذكرناه أن جميع الممكنات بحسب الطبائع و الغرائز طالبة إياه تعالى منساقة إليه متحركة نحوه انسياقا معنويا و حركة ذاتية و هذه الحركة و الرغبة لكونهما مرتكزين في ذاتها من الله لم تكونا هباء و عبثا و لا معطلا فلا محالة غايتها كائنة متحققة مترتبة عليها إلا لعائق قاصر و القسر لكونه خلاف الطبع لا يكون دائميا بل منقطع كما سبق بيانه فيزول القواسر و الموانع و لو بعد زمان طويل فتعود الأشياء كلها إلى غاياتها الأصلية و غاية الشيء أشرف لا محالة من ذلك الشيء فغاية كل جوهر هي أقوى جوهرية و أتم وجودا و أشرف مرتبة من ذلك الجوهر و هكذا ننقل الكلام إلى تلك الغاية حتى تنتهي إلى غاية أخيرة لا أشرف منها- و لا غاية بعدها دفعا للتسلسل و هي غاية الغايات و منتهى الحركات و الرغبات و مأوى العشاق الإلهيين و المشتاقين و ذوي الحاجات فالكل محشور إليه تعالى و هو المطلب.

و أما البيان التفصيلي فلنورده في دعاو

الدعوى الأولى في حشر العقول الخالصة إلى الله تعالى

قد سبق مرارا أنها مستهلكة الهويات في هويته تعالى و أنها باقية ببقاء الله راجعة إليه و لنوضح ذلك بذكر وجوه من البراهين.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۴۵

[البرهان] الأول

أن هوياتها وجودات صرفة و إنيات محضة لا يشوبها عدم و أنوار خالصة لا يخالطها ظلمة و إنما التفاوت بينها و بين نور الأنوار بالنقص و التمام و كذا بين بعضها مع بعض ليس إلا بالشدة و الضعف و متى كانت كذلك كان لها اتصال معنوي و لم تكن معزولة الهويات عن الهوية الإلهية و لأن تمام هو بالحقيقة ذلك الشيء و أحق به منه.

البرهان الثاني

أن قاعدة إمكان الأشرف يقتضي أن يكون بين المبدإ الأول- و ما فرض أقرب الموجودات إليه اتصال معنوي و كذا بين الموجود و ما يتلوه و هكذا إلى آخر الإنيات المحضة و الأنوار الصرفة فيكون الكل كأنه ذات واحدة لها اتصال واحد متفاوتة المراتب في شدة الإشراق و كمالية الوجود و لها جنبة عالية غير متناهية في الشدة و جنبة أخرى متناهية في الشدة مع عدم تناهيها في المدة و العدة و ذلك لأنه لو لم يكن بينها هذا الاتصال يلزم انحصار غير المتناهي بين حاصرين كما بيناه و لا مخلص إلا بكونها من مراتب الإلهية و درجات الربوبية كما أشير إليه بقوله تعالى- رَفِيعُ

الدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِ فهي واصلة إليه راجعة إلى ذاته.

البرهان الثالث

أن العقل حيث لا حجاب بينه و بين الحق تعالى له أن يشاهد

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۴۶

بذاته ذات الأول لكن لا على وجه الاكتناه و إلا لكان محيطا به قاهرا عليه هذا محال- و إذ لا واسطة بينهما و لا حجاب يوجب البينونة فلا محالة يتجلى الحق عليه بصريح الذات- إذ لا جهة أخرى و لا صفة زائدة فذاته تعالى متجل بذاته على العقل الأول فذات العقل الأول هي صورة هذا التجلي إذ ليس له قابل للتجلي غير ذاته فما به التجلي و المتجلي و المتجلى له كلها شيء واحد و ليس هناك أمران ذات العقل و تجلي الحق له إذ يمتنع أن يصدر عنه تعالى بجهة واحدة صورتان صورة العقل و صورة التجلي و يستحيل أن يتكرر وجودان لشيء واحد فثبت من ذلك أن وجود العقل بعينه عبارة عن تجليه تعالى بصورة ذاته عليه و صورة ذات الحق ليست بأمر مغاير لذاته فذات العقل كأنها صفحة مرآة يتراءى فيها صورة الأول و كما ليس في صفحة المرآة لون و لا شيء وجودي إلا الصورة المرئية و لا الصورة المرئية أمر مغاير لحقيقتها فكذلك ليس للعقل هوية إلا صورة هوية الأول و الصورة ليست بأمر مفارق لذي الصورة و لا تفاوت جهة فيها إلا كونها مثالا له و حكاية عنه و هو ذاتها و حقيقتها فالذات الإلهية هي حقيقة العقل و العقل مثالها و كل ذي حقيقة راجع إلى حقيقته فالعقل الأول محشور إليه تعالى- و كذا العقول البواقي محشورة إليه بالبيان المذكور لأن المحشور إلى المحشور إلى شيء محشور إلى ذلك الشيء.

البرهان الرابع

قد مر في مباحث العقل و المعقول من الفن الكلي البرهان على ثبوت الاتحاد بين العاقل و معقوله بالذات و ثبت في مباحث علمه تعالى أن المفارقات العقلية هي بعينها علومه التفصيلية بالأشياء لا بصورة زائدة عليها فإذا كانت ذاتها عين عقله تعالى بالموجودات و عقل الشيء كما علمت غير مباين عنه فهي لا محالة راجعة

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۴۷

محشورة إليه تعالى صائرة إياه.

البرهان الخامس

قد سبق في مباحث علم الله تعالى أن الصور العقلية الإلهية- قائمة بذاته تعالى قواما ذاتيا لا على وجه الحالية و المحلية و أنها من لوازم ذاته الغير المجعولة الثابتة له باللاجعل الثابت لذاته تعالى الواجبة بالوجوب الثابت له الباقية ببقائه تعالى فلا محالة محشورة إليه تعالى فثبت بهذه البراهين أن عالم العقل و الصور الإلهية و الأنوار المفارقة كلها عائدة إليه فانية من ذاتها باقية ببقاء الله و الله معادها كما أنه مبدؤها

الدعوى الثانية في حشر النفوس الناطقة

إلى الله تعالى هذه النفوس إما كاملة كمالا عقليا أو ناقصة أما النفوس الكاملة فهي التي خرجت ذاتها من حد العقل بالقوة إلى حد العقل بالفعل فصارت النفس عقلا بالفعل و كلما صارت النفس عقلا بالفعل انتقلت عن ذاتها و اتحدت

بالعقل الذي هو كمالها فحشرت إليه و كلما كان محشورا إلى العقل كان محشورا إليه تعالى لأن المحشور إلى المحشور إلى شيء كان محشورا إلى ذلك الشيء فالنفوس الكاملة محشورة إليه تعالى و هو المطلوب و أما النفوس النطقية الناقصة فلا يخلو إما أن تكون مشتاقة إلى الكمال العقلي أو لا و النفوس الغير المشتاقة إلى ذلك الكمال سواء كان عدم اشتياقها إليه بحسب أصل الفطرة كما هو حال الأنعام أو من جهة أمر عارض عليها كما قال تعالى **نَسُوا اللهَ فَأَنْساٰهُمْ أَنْفُسَهُمْ** فهي محشورة إلى عالم متوسط بين

الحكمة المتعالية فی الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۴۸

العقلي و المادي و هو عالم الأشباح المقدارية و عالم الصور المحسوسة المجردة و هي قوالب و حكايات و ظلال لما في العالم العقلي من الصور العقلية و بها قوامها و دوامها و كيفية حشرها ككيفية حشر سائر النفوس البهيمية و السبعية **إِنْ هُمْ إِلاّٰ كَالْأَنْعٰامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً** و سيجيء حال معاد النفوس الحيوانية و أما النفوس المشتاقة إلى العقليات- الغير البالغة إلى كمالها العقلي فهي مترددة في الجحيم معذبة دهرا طويلا و قصيرا بالعذاب الأليم ثم يزول عنها الشوق إلى العقليات إما بالوصول إليها إن تداركته العناية الإلهية بجذبة ربانية أو شفاعة ملكية أو إنسانية لقوة الشوق و ضعف العلائق أو بطول المكث في البرازخ السفلية و الاستيناس إليها فيزول عنها العذاب و يسكن عند المآب إما إلى الدرجة العليا و إما إلى المهبط الأدنى فيحشر إلى الله من جهة أخرى من غير تناسخ كما سيظهر.

الدعوى الثالثة في حشر النفوس الحيوانية

هذه النفوس الحيوانية إن كانت بالغة حد الخيال بالفعل غير مقتصرة على حد الحس فقط فهي عند فساد أجسادها لا تبطل بل باقية في عالم البرزخ محفوظة بهوياتها المتمايزة محشورة في صورة مناسبة لهيئاتها النفسانية- و أشخاص كل نوع منها مع كثرتها و تميزها و تشكلها بأشكالها و أعضائها المناسبة لها المتفقه بحسب نوعها المختلفة بشخصياتها واصلة إلى مبدإ نوعها و رب طلسمها و هو من

الحكمة المتعالية فی الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۴۹

العقول النازلة في الصف الأخير من العقليات فإن لكل نوع من أنواع الحيوانات- و غيرها من الأجسام الطبيعية عقلا هو مبدؤها و غايتها كما سبق بيانه فإذا كان الأمر هكذا فلا محالة يكون أفراد كل نوع طبيعي متصلة إلى مبدئها الفاعلي و الغائي لكن هذه العقول العرضية الأخيرة التي ليست بعدها عقل آخر بعضها أشرف من بعض و لأجل ذلك كانت الأنواع الطبيعية بعضها أشرف لأن شرافة العلة المؤثرة يوجب شرافة المعلول- فمن تلك العقول ما لم يتوسط بينه و بين معلوله الطبيعي شيء آخر لغاية نزوله العقلي فحكمه حكم النفوس المباشرة للأجسام إلا أن النفس ليست لها رتبة الإبداع للجسم بل التدبير و التصريف بخلاف العقل و منها ما يتوسط بينها و بين طبيعة معلوله نفس إنسانية إن كان في غاية الشرف و هو رب نوع الإنسان أو نفس حيوانية و هو دونه في الشرف أو نفس نباتية و هو أنزل منهما جميعا و أرفع من العقول النازلة التي هي مبادي الطبائع الجمادية فالعقول التي هي مبادي الطبائع الحيوانية التي لها نفوس خيالية بالفعل ترجع تلك النفوس إليها مع بقاء تعددها و امتياز هوياتها الشخصية فهي بشخصياتها محشورة كل طائفة من أفراد نوع واحد إلى العقل الذي هو مبدأ نوعها و أما النفوس الحيوانية التي هي حساسة فقط و ليست ذات تخيل و حفظ بالفعل

فهي عند موتها و فساد أجسادها ترجع إلى مدبرها العقلي لكن لا يبقى امتيازها الشخصي و كثرة هويتها المتعددة بتعدد أجسادها- بل صارت كلها موجودة بوجود واحد متصلة بعقلها لأنها بمنزلة أشعة نير واحد- انقسمت و تعددت بتعدد الروازن الداخلة هي فيها فإذا بطلت الروازن زال التعدد بينها- و رجعت إلى وحدتها التي كانت لها عند المبدإ فهكذا كيفية حشر هذه النفوس الحساسة- و ذلك كرجوع القوى الحساسة و غير المتفرقة في مواضع البدن المجتمعة عند النفس- و من نظر إلى حال الحواس الخمس و افتراقها في أعضاء البدن و اتحادها في الحس المشترك هان عليه التصديق بأن النفوس الحساسة الجسمانية المتعددة بتعدد الأبدان- و هي التي لا استقلال لها في الوجود بلا قابل إذا فسدت قوابلها فهي لا محالة مرتبطة بفاعلها- و اتحاد الفاعل يوجب اتحاد الفعل و إنما يتعدد بتعدد القابل بالعرض فإذا فسدت

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج‏۹، ص ۲۵۰

القوابل يرجع الفعل إلى وحدته الأصلية التي له من جهة الفاعل فافهم هذا فإنه نافع جدا فإذن حكم النفوس الحيوانية الغير المستقلة في وجودها حكم سائر القوى النفسانية لذات واحدة في أن وجودها وجود رابطي و أنها غير مدركة لذاتها كقوة البصر و السمع و غيرهما فينا فإن قوة البصر مثلا ليست لها هوية مستقلة و للسمع هوية أخرى مستقلة و إلا لأدركت كل واحدة منها ذاتها بل النفس الدراكة الحاضرة لذاتها- هي الهوية الجامعة لهويات القوى يدرك بها غيرها فالباقية بذاتها في القيامة و في النشأة الباقية متميزة هي النفس القائمة بذاتها و أما سائر قواها فهي باقية ببقائها لأنها متصلة بها متحدة بوحدتها فكذلك حكم النفوس الحيوانية الغير القائمة المستقلة بذاتها و لا الشاعرة لذاتها فهي عند ارتفاع تكثرها الذي لأجل تكثر أجسادها رجعت إلى مبدئها و أصلها متحدة فيه كارتجاع المشاعر و القوى بمبدئها الجامع الإدراكي عند فساد مواضعها و آلاتها متحدة به باقية ببقائه

تنبيه:

اعلم أن من الناس من زعم أن الأرواح الإنسية أيضا كالأرواح الجزئية للحيوانات الدنية و النباتات تتحد بعد خراب أجسادها و شبهها بالمياه الواقعة في الكيزان و الجرات إذا انكسرت الأوعية و صارت هي متصلة واحدة و واصلة إلى الحوض العظيم و هذا زعم باطل و وهم فاسد و قياس تلك الأرواح بهذه الأرواح الجزئية السارية في الأجسام قياس مغالطي وهمي مبناه عدم الفرق بين الانقسام و التعدد الحاصل بسبب القوابل و بين الانفصال و التكثر الذي بسبب المبادي الذاتية و ذلك لأنه ذكر الشيخ العربي في الباب الثاني و ثلاثمائة من الفتوحات بقوله اعلم أن الناس اختلفوا في هذه المسألة يعني في أرواح صور العالم هل هي موجودة- عن الصور أو قبلها أو معها و أن منزلة الأرواح من صور العالم كمنزلة أرواح

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج‏۹، ص ۲۵۱

صور أعضاء الإنسان الصغير كالقدرة روح اليد و السمع روح الأذن و البصر روح العين- و التحقيق في ذلك عندنا أن الأرواح المدبرة للصور كانت موجودة في حضرة الإجمال غير مفصلة بأعيانها مفصلة عند الله في علمه فكانت في حضرة الإجمال كالحروف الموجودة بالقوة في المداد فلم يتميز لأنفسها و إن كانت متميزة عند الله مفصلة في حال

إجمالها- فإذا كتب القلم في اللوح ظهرت صور الحروف مفصلة بعد ما كانت مجملة في المداد- فقيل هذا ألف و دال و جيم في البسائط و هي أرواح البسائط و قيل هذا قام و هذا زيد و هذا خرج و هذا عمر و هي أرواح الأجسام المركبة و لما سوى الله صور العالم أي عالم شاء و أراد كان روح الكل كالقلم في اليمين الكاتبة و الأرواح كالمداد في

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۵۲

القلم و الصور كمنازل الحروف في اللوح فنفخ الروح في صور العالم فظهرت الأرواح متميزة بصورها فقيل هذا زيد و هذا عمر و هذا فرس و هذا فيل و هذه حية- و كل ذي روح و ما ثم إلا ذو روح لكنه مدرك و غير مدرك فمن الناس من قال إن الأرواح في أصل وجودها متولدة من مزاج الصور و من الناس من منع ذلك و لكل واحد وجه يستند إليه في ذلك و الطريق المثلى الوسطى ما ذهبنا إليه و هو قوله تعالى **ثُمَّ أَنْشَأْنٰاهُ خَلْقاً آخَرَ** و إذا سوى الله الصورة الجسمية ففي أي صورة شاء من الصور الروحية ركبها إن شاء في صورة خنزير أو كلب أو إنسان أو فرس على ما قرره العزيز العليم فثم شخص الغالب عليه البلادة و البهيمية فروحه روح حمار و به يدعى إذ ظهر حكم ذلك الروح فيقال فلان حمار و كذا كل ذي صفة يدعى إلى كتابها فيقال فلان كلب و فلان أسد و فلان إنسان و هو أكمل الصفات و أكمل الأرواح قال تعالى **الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوّٰاكَ فَعَدَلَكَ** و تمت النشأة الظاهرة في أي صورة ما شاء ركبك من صورة الأرواح فنسبت إليها كما ذكرناه و هي معينة عند الله فامتازت الأرواح بصورها ثم إنها إذا فارقت هذه المواد فطائفة من أصحابنا يقول إن الأرواح تتجرد عن المواد تجردا كليا- و تعود إلى أصلها كما يعود شعاعات الشمس المتولدة عن الجسم الصيقل إذا صدأ إلى الشمس و اختلفوا هاهنا على طريقين فطائفة قالت لا تمتاز بعد المفارقة لأنفسها كما لا تمتاز ماء الأوعية التي على شاطىء النهر إذا انكسرت فرجع ماؤها إلى النهر و قالت طائفة أخرى بل يكتسب بمجاورة الجسم هيئات ردية و حسنة فيمتاز بتلك الهيئات إذا

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۵۳

فارقت كما أن ذلك الماء إذا كان في الأوعية أمور تغيره من حالته إما في لونه أو رائحته أو طعمه فإذا فارق الأوعية صحبته في ذاته ما اكتسبته من الصفة و حفظ الله عليها تلك الهيئات المتكسبة و وافقوا في ذلك بعض الحكماء و طائفة قالت الأرواح المدبرة- لا تزال مدبرة في عالم الدنيا فإذا انتقلت إلى البرزخ دبرت أجساما برزخية و هي الصور التي يرى الإنسان نفسه فيها في النوم و كذلك الموت و هو المعبر عنه بالصور ثم يبعث يوم القيامة في الأجسام الطبيعية كما كانت في الدنيا و إلى هنا انتهى خلاف أصحابنا- في الأرواح بعد المفارقة و أما اختلاف غير أصحابنا في ذلك فكثير خارج عن مقصودنا انتهت ألفاظه.

و إنما نقلنا بطولها لما فيها من بعض التحقيقات المطابقة لما نحن عليه من الحكمة البرهانية و إن كان فيها بعض أشياء مخالفة لها.

منها أنه حكم بتقدم وجود الصورة الجسمية على وجود الأرواح المدبرة لها- و قد علمت أن تلك الأرواح أعنى النفوس بحسب ذاتها متقدمة على الأبدان ضربا من التقدم و هي المخصصة للأبدان بهيئاتها و أشكالها و أعضائها التي تناسب لمعانيها و صفاتها الذاتية و فصولها المنوعة لتكون مظهرا لحقائقها و موضوعة لأفاعيلها و قابلة لأعمالها التي بها يخرج

كمالاتها من القوة إلى الفعل فالأبدان تابعة في الوجود للأرواح بالذات لا بالعكس و إن كانت هي أيضا مفتقرة إليها في طلب الكمال و ظهور

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۵۴

الأفعال و المراد من الصورة في قوله تعالى **فِي أَيِّ صُورَةٍ مٰا شٰاءَ رَكَّبَكَ** هي الصورة الجسمية الدنيوية و الذي ذكره من أن الشخص الغالب عليه البلادة روحه روح حمار- صحيح لكن جسده أيضا جسد حمار تابع لروحه و ذلك أعم من أن يكون في هذه النشأة بحسب الفطرة الأصلية كهذا النوع المعهود في الدنيا أو في النشأة الآخرة بحسب ما اكتسبته النفس الآدمية من الصفات البهيمية في الفطرة الثانية فتحشر في الآخرة بصورة تلك البهيمة و بالجملة هيئات الأبدان تابعة لهيئات النفوس في كلتا النشأتين.

و منها أنه يظهر من كلامه أن الصورة التي يبعث فيها الإنسان يوم القيامة- هي بعينها الصورة الطبيعية التي كانت في الدنيا و قد علمت أنه ليس كذلك و أن الدنيا و الآخرة نشأتان مختلفتان في نحو الوجود و أن الصورة المبعوثة من الإنسان في القيامة ليست طبيعية لكنها محسوسة بالحواس الظاهرة في الآخرة كما مر.

و منها أنه كان يجب عليه أن يفرق بين الأرواح الكلية و الأرواح الجزئية في الأحكام التي ذكرها بل بين الأرواح الثلاثة أعني الأرواح العقلية النطقية و الأرواح الحيوانية الخيالية و الأرواح الحيوانية الحسية على مراتبها و أن أيها متميزة الوجود بعد مفارقة الأجساد و أيها غير متميزة بعدها و الذي ذكره طائفة من أن الأرواح غير متميزة بعد المفارقة لأنفسها بل هي كمياه الأوعية إذا انكسرت فاتحدت حكم صحيح- إلا أنه مختص بالأرواح الجزئية الحسية و ما دونها من الأرواح النباتية و غيرها- و ليس بصحيح فيما فوقها من الروحين السابقين أعني العقلية و الخيالية لأنهما مستقلتان في الوجود ليستا ساريتين في الأجساد ليكون تميزهما و تعددهما تابعين لتعدد الأجساد

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۵۵

و تميزها فهما بعد فساد هذه الأجساد متكثرة الأفراد متميزة الذوات و الوجودات- نعم لهما و لغيرهما كينونة أخرى فوق العالمين و هي وجودها الإجمالي في مبدإ عقلي- و جوهر قدسي مسمى بالقلم الإلهي فهناك وجود جميع الموجودات مجملة كما ذكره و قد سبق تحقيقه

الدعوى الرابعة في حشر القوى النباتية

أما نفوس النباتات فدرجتها أدنى من النفوس الحيوانية لكونها عديمة الحواس سيما اللطيفة منها و هي أرفع درجة من الطبائع الجمادية و العنصرية لأن لها ضربا من الشعور اللمسي كما يشاهد من أفاعيلها و لهذا يستحق إطلاق اسم النفس عليها فلها حشر يقرب من حشر الحيوانات السفلية إذ لها في هذا الوجود الطبيعي ضرب من الترقي و الاستكمال و التقرب إلى المبدإ الفعال- و نوع منها و هي السارية في النطف الحيوانية تنتهي في الاستكمال إلى درجة الحيوان- و نوع منها ما يتخطى عن هذه الدرجة أيضا خطوة أخرى إلى مقام الإنسانية فيكون حشرها أتم و قيامها في القيامة أرفع و دنوها عند الله أقرب و أما ما سوى هذين النوعين و هي المقتصرة في حركاتها و سعيها على تحصيل الكمال النباتي فيكون معادها عند فساد أجسادها إلى مقام أنزل و حشرها إلى مدبر عقلي أدنى بالقياس إلى المدبرات العقلية- التي

لأنواع الحيوانات على تفاوت مراتبها في الشرف العقلي.

قال معلم الفلاسفة في كتاب معرفة الربوبية فإن قال قائل إن كانت قوة النفس- تفارق الشجرة بعد قطع أصلها فأين تذهب تلك القوة أو تلك النفس.

قلنا تصير إلى المكان الذي لم يفارقه و هو العالم العقلي و كذا إذا فسد الجزء البهيمي تسلك النفس التي فيها إلى أن تأتي العالم العقلي و إنما تأتي ذلك العالم- لأن ذلك العالم هو مكان النفس و هو العقل و العقل ليس في مكان فالنفس إذن ليست

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۵۶

في مكان فإن لم يكن في مكان فهي لا محالة فوق و أسفل و في الكل من غير أن تنقسم و تتجزى بتجزي الكل فالنفس في كل مكان و ليست في مكان انتهى كلامه.

أقول ينبغي أن يعلم أن صورة النبات إذا قطع من أصله أو جف تسلك أولا إلى عالم الصور المقدارية بلا هيولى و ينتهي منه إلى العالم العقلي كما ذكره المعلم فإذا انتهت إلى ذلك العالم الصوري فتصير إما من أشجار الجنة إن كانت ذات طعم جيد كالحلاوة و نحوها طيبة الرائحة أو من أشجار الجحيم إن كانت ردية الطعم مرة المذاق كريهة الرائحة كشجرة الزقوم طعام الأثيم و أصول هذه الأشجار تنتهي إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى كما أن جميع النفوس تنتهي أولا إلى النفس الكلية التي فوقها العقل الكلي و هو مأوى النفوس الكلية كما أنها منتهى النفوس الجزئية.

قال الفيلسوف الأعظم إن كل صورة طبيعية هي في ذلك العالم إلا أن هناك بنوع أفضل و أعلى و ذلك أنها هاهنا متعلقة بالهيولى و هي هناك بلا هيولى و كل صورة طبيعية هنا فهي صنم للصورة التي هناك الشبيهة بها فهناك سماء و أرض و هواء و نار و ماء- و إن كانت هناك هذه الصورة فلا محالة هناك نبات أيضا.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۵۷

فإن قال قائل إن كان في العالم الأعلى نبات فكيف هي هناك و إن كانت ثمة نار و أرض فكيف هما هناك فإنه لا يخلو من أن يكونا إما حيين أو ميتين فإن كانا ميتين مثل ما هاهنا فما الحاجة إليهما هناك و إن كانا حيين فكيف يحييان هناك.

قلنا أما النبات فنقدر أن نقول إنه هناك حي لأنه هاهنا أيضا حي- و ذلك أن في النبات كلمة محمولة على حياة و إن كانت كلمة النبات الهيولاني حياة- فهي إذن لا محالة نفس ما أيضا فأحرى أن يكون في النبات الذي في العالم الأعلى- و هو النبات الأول إلا أنها فيه بنوع أعلى و أشرف انتهى كلامه و استفيد من كلامه في هذا الموضع و في غيره من المواضع أن لهذا النبات الطبيعي صورتان آخرتان إحداهما موجودة في عالم النفوس أعني الصور المحسوسة بلا مادة و الأخرى و هي المراد بالنبات الأول و سننقل من كلامه ما يدل على أن لهذه الأرض و الماء و غيرهما من الصور الطبيعية كلمات نفسانية فقد ثبت و تحقق أن لصور هذه الأجسام الميتة هاهنا المقبورة في مقبرة الهيولى بعثا و حشرا في عالم و عودا إلى النشأة الثانية و منها إلى معاد النفوس و سنزيدك لهذا إيضاحا.

الدعوى الخامسة في حشر الجماد و العناصر

يجب عليك أيها الحبيب الراغب- إلى إدراك هذه الغوامض و كشف هذه الخبايا القاصرة عن دركها أذهان أكثر الحكماء و الكبار فضلا عن سائر النظار فكيف من دونهم من أسراء الوهم أن تستحضر في ذهنك القواعد الوجودية التي أكثرنا ذكرها في هذا الكتاب الذي فيه قرة أعين أولي الألباب فتذكر أولا أن للوجود في ذاته حقيقة واحدة بسيطة لا اختلاف فيها إلا بالتقدم و التأخر و الكمال و النقص و هي مع صفاتها الكمالية التي هي عين ذاتها من العلم و القدرة و الإرادة و غيرها موجودة في كل شيء بحسبه فهي في الذات الأحدية الإلهية مقدسة عن شوب العدم

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۵۸

و القصور من كل الوجوه و كذلك في الثواني العقلية و المقامات القدسية و السرادقات الكبريائية لانجبار نقائصها المعلولية بوصولها إلى تمامه العلى و كمالها الوجوبي فلم تبق فيها شائبة قصور إمكاني أو فقر نقصاني في نفس الأمر لأنها قد انجبرت بالكمال القيومي و التسلط الإشراقي و لهذا يقال لها الكلمات التامات و بعد مراتبهم مراتب الموجودات الناقصة التي يشوبها أعدام خارجية و هي الحرية بأن يسمى بما سوى الله و لا يخلو شيء منها ما دام كونها التجددي من نقص وجودي و عدم زماني و آخر الدرجات الوجودية نقصانا و قصورا هي الأجسام الطبيعية و هي مع أنها من حيث حصتها من الوجود عين العلم و القدرة و الحياة إلا أنها لما انتشرت و تفرقت في الأقطار المكانية و الجهات المادية و تباعدت أجزاؤها في الامتدادات الزمانية و تعانقت مع الأعدام و امتزجت بالظلمات فغابت عن أنفسها بلا حضور و نسيت ذواتها بلا شعور و غرقت في بحر الهيولى و لن تقدر على التذكر بفقدان الجمعية الحضورية عنها في تفرقة هذا الكون المادي لغيبتها عن ذاتها و مفارقتها من حيزها الأصلي و مقامها الجمعي و موطنها النوري لكنها مع ذلك لكونها بوجودها الضعيف و نورها القليل من حقيقة الوجود و سنخ النور قابلة لأن تقبل عن عناية الله و إمداد فيضه ضربا من الحياة و قسطا من النور ليتخلص من تسلط العدم و قهر الظلمات و لا يلتحق بالعدم الصرف و الهلاك البحت و ينطلق من قيد الظلمات الفاشية و الحجب الغاشية و القبور الداثرة فأول كسوة صورة ألبستها الرحمة الأزلية هي الصورة الممسكة لها عن التفرق و السيلان ثم الحافظة لتركيبها عن المسفد المضاد ثم المواتية لها ما يقويها و يعديها من الخارج بدلا عما ينقص منها بالتحليل و مكملها بما يزيدها في الإعظام و الأحجام- التي يتم بها كمالها الشخصي ثم المديمة لبقائها بتوليد أمثالها ثم العناية الإلهية عاطفة على المواد بعد هذا الإمداد بالهداية لصورها إلى سبيل القرب و الاتحاد بتلاحق الاستعداد شيئا فشيئا إلى أن ترجع إلى عالم المعاد و رتبة العقل المستفاد فهذا أصل.
ثم تذكر و تدبر فيما أشرنا إليه سابقا من أن الأجسام كلها قابلة للحياة الأشرف

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۵۹

و الكمال الأرفع مما هي سارية فيها لكن المانع لبعضها عن القبول هو التسفل و التنزل في منزلة [منزل] التفرقة و التضاد و التقيد بهوية جزئية مضادة لما يقابلها فيفسدها و تفسده بالتضاد الواقع بينهما فكلما ضعفت فيها قوة هذا الوجود المتأكد في النزول إلى منزل التفاسد و التعاند استعدت المادة لصورة أرفع منزلة و أقل تفرقة و انقساما و أكثر جمعية و اتحادا فهذه العناصر لغاية تسفلها و تفرقها و بعدها عن عالم الوحدة من جهة التضاد و شدة كيفياتها المتضادة و صورها المتفاسدة متعصية عن قبول الحياة النفسانية و العقلية فكلما انكسرت سورة كيفياتها و تأكدت وجوداتها الخاصة و

انهدمت قوة تضادها بالضعف و الفتور قبلت ضربا آخر من الوجود و نمطا آخر من الصورة الكمالية أرفع و أبسط كأنها لاعتدالها و استوائها متوسطة بين الكل خالية عنها بوجه جامعة لها بوجه ألطف من غير تفاسد و تضاد ثم كلما أمعنت في الخروج عن هويات الأطراف المتضادة بالانكسار و الانتقاص فيها استحقت حياة أشرف و نالت صورة أبسط و أجمع و هكذا متدرجة في الاستكمال متعالية عن مهوى النزال حتى تبدلت صورتها بصورة النفس المتحدة بالعقل الفعال الذي هو نور من الله و مثال منه أكرم و كلمة أتم و اسم أعظم فهذا أيضا أصل ثم استحضر في ذهنك و تأمل إن كل صورة كمالية فهي مما يوجد فيها جميع الصور- التي دونها على وجه ألطف و أشرف و أبسط و إن كل صورة ناقصة لا يمكن وجودها إلا بصورة أخرى متممة لها محيطة بها حافظة إياها مخرجة لها من القوة إلى الفعل و من النقص إلى الكمال و لولاها لم يكن لهذه الناقصة وجود إذ الناقص لا يقوم بذاته إلا بكامل- و القوة و الإمكان لا يتحققان إلا بفعل و وجوب فالكمال أبدا قبل النقص و الوجوب قبل الإمكان و الوجود قبل العدم و ما بالفعل قبل ما بالقوة و التعين قبل الإبهام و الذي يوقع الناس في الغلط و الاشتباه ما يرون في هذا العالم من تقدم الأعدام و الإمكانات و الاستعدادات

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج‏۹، ص ۲۶۰

بحسب الزمان على ما نسبت إليها من مقابلاتها كالبذر على الثمرة و النطفة على الحيوان- و لم يعلموا أن المتقدم بالزمان ليس من الأسباب الذاتية للمتأخر المعلول بل من المعدات و المهيئات للمادة و لم يعلموا أن تلك الأعدام و القوى و الإمكانات لا بد لها من أمر صوري وجودي يكون هي متعلقة به قائمة بذاته فإذا تحققت هذه الأصول و المباني ثبت و تبين أنه لا بد لكل صورة من هذه الصور العنصرية و الجمادية من صورة أخرى كمالية متصلة بها قريبة المنزلة منها قائمة في باطنها غائبة عن حواسنا و ليست بعينها العقل الفعال بلا واسطة كما هو عند أتباع المشائيين و لا أيضا عقولا أخرى عرضية من أرباب الأنواع بلا وسائط كما عليه الإشراقيون لما مر من أن الأدنى لا يصدر عن الأعلى إلا بتوسط مناسب للطرفين غير متباعد عنهما و إلا لوقع الاحتياج إلى متوسط آخر بين هذا المتوسط و كل من الطرفين و هكذا إلى أن ينتهي إلى التجاوز في الارتباط و ضرب من الاتصال المعنوي في الوجود بين المقوم و ما يتقوم به فلكل من هذه الصور الطبيعية صورة غيبية هذه شاهدتها [شهادتها] و ثانية هذه أولاها و آخره هذه دنياها إلا أن منازل الآخرة كمنازل الدنيا متفاوتة في الشرافة و الدناءة و العلو و الدنو و ميعاد الخلائق في الآخرة على حسب مراتبها في الدنيا فالأشرف يعاد إلى الأشرف و الأخس إلى الأخس و متى انتقلت صورة شي‏ء في هذا العالم من خسة إلى شرف و من نقص إلى كمال كما انتقلت صورة الجماد إلى صورة النبات أو صورة النبات إلى صورة الحيوان تبدلت في معادها إلى معاد ما انتقلت إليه كما إذا الرجل الكافر أسلم أو الرجل الفاسق تاب انتقل معاده الذي كان إلى بعض طبقات الجحيم و أبوابها منه إلى بعض طبقات الجنان و أبوابها على حسب مقامه و حاله في الدنيا فإذن ما من موجود من الموجودات الطبيعية إلا و له صورة نفسانية في

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج‏۹، ص ۲۶۱

الآخرة و لصورته النفسانية صورة عقلية في عالم آخر فوقها هي دار المقربين و مقعد العليين- و كل من العالمين الآخرين مشتمل على تفاوت كثيرة بين الموجودات التي فيه لأنه كما أشرنا إليه ذو طبقات متفاوتة كهذا العالم و أعلى

طبقة كل عالم متصل بأدنى طبقة العالم الذي هو فوقه و بالعكس و كل صورة في العالم الأدنى يكون هيولى في العالم الأعلى و بالعكس و قد علمت أن كل هيولى متحدة بصورتها و هي تمامها و كمالها و مرجعها و معادها فالصور الحسية إذا لطفت صارت هيولى للصور النفسانية و هي للصور العقلية فبقاء الحس بالنفس و بقاء النفس بالعقل و بقاء العقل بالمبدع الحق.

قال الفيلسوف الأعظم إن هيولى العقل شريفة جدا لأنها بسيطة عقلية غير أن العقل أشد منها انبساطا و هو محيط بها و إن كان هيولى النفس شريفة لأنها بسيطة نفسانية غير أن النفس أشد انبساطا منها و هي محيطة بها و مؤثرة فيها الآثار العجيبة بمعونة العقل فلذلك صارت أشرف و أكرم من الهيولى لأنها تحيط بها و تصور فيها الصور العجيبة و الدليل على ذلك العالم الحسي فإن من رآه يكثر منه عجبه و لا سيما إذا رأى عظمه و حسنه و شرفه و حركته المتصلة الدائمة الظاهرة منها و الخفية و الأرواح الساكنة في هذا العالم من الحيوان و الهواء و النبات و سائر الأشياء كلها فإذا رأى هذه الأشياء الحسية في هذا العالم السفلي الحسي فليرتق بعقله إلى العالم الأعلى الحق الذي إنما هذا العالم مثاله و يلقى بصره عليه فإنه سيرى الأشياء كلها التي رآها في هذا العالم هناك غير أنها يراها هناك عقلية دائمة متصلة ذات فضائل و حياة نقية ليس يشوبها شيء من الأدناس و يرى هناك الأشياء ممتلئة عقلا و حكمة من أجل النور الفائض عليها و كل واحد منهم يحرص على الترقي إلى درجة صاحبه و أن يدنو من النور

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۶۲

الأول الفائض على ذلك العالم العلم و ذلك العلم محيط بالأشياء كلها الدائمة التي لا تموت- و محيط بجميع العقول و الأنفس انتهى كلامه الشريف و فيه ما لا يخفى من التأييد لما نحن فيه.

و من الشواهد العرشية الدالة على أن لهذه الصور الطبيعية صورا نفسانية هي معادها و باطنها و أخرى عقلية هي معاد معادها و باطن باطنها إنا متى أحسسنا بشيء خارجي وقعت له صورة غير صورتها الخارجية في قوانا الحساسة التي هي من جنس الحيوانات المقتصرة على النفس الحساسة فقط فإذا وقعت تلك الصورة في حسنا و استكمل بها الحس حصلت من تلك الصورة صورة أخرى ألطف و أشرف منها فتصورت بها قوة خيالنا التي دلت البراهين التي أقمناها مرسومة في هذا الكتاب على تجردها و تجرد ما ارتسم فيها و تمثل لها و كذلك انتقلت من الصورة التي في قوة خيالنا صورة أخرى عقلية إلى قوة عقلنا فلو لا أن بين محسوس كل طبيعة و متخيله و معقوله علاقة ذاتية كما بين حسنا و خيالنا و عقلنا من الرابطة الاتحادية لما كان كذلك و كذلك الأمر على عكس ذلك- الصعود في سلسلة النزول فإنا متى تعقلنا صورة عقلية وقعت منها حكاية مثالية مطابقة لها في خيالنا و إذا اشتد وجود الصورة في عالم الخيال انفعلت منه قوة الحس و تمثلت بين يدي الحس صورة في الخارج كما قال تعالى **فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيًّا** و من هذا القبيل رؤية النبي ص صورة جبرئيل و الملائكة ع في هذا العالم كما سيتضح لك

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۶۳

في مباحث النبوات فإذن قد ثبت و تحقق من جميع ما نقلناه و ذكرناه أن لكل صورة طبيعية في عالم الشهادة صورة نفسانية في عالم الغيب هي معادها و مرجعها الذي يحشر إليه بعد زوال المادة و دثورها و هي الآن أيضا متصلة بها

متقومة بقوامها راجعة إليها- لكنها لما كانت مغمورة في غمرة الظلمات و الأعدام غريقة في بحر الهيولى و الأجسام لا يستبين حشرها إلى تلك الصور النفسانية المقيمة لها إلا لأهل المعرفة و الشهود فإذا انفسخت هذه الصور بدثور مادتها و تجردت عن غواشيها الجسمانية التي هي مقبرة ما في علم الله برزت صورتها من هذه المكامن و المقابر إلى ذلك العالم عالم المعرفة و الكشف و اليقين و حشرت إليه- كما قال تعالى **وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرىٰ** و قوله تعالى **كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ- كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ** و اعلم أن صورة الجحيم التي ستبرز في الدار الآخرة بحيث يشاهدها أهل المحشر عند ذلك هي بعينها باطن هذه الطبيعية السفلية التي تحرق نارها الأبدان و تبدل الجلود بالاستحالة و الذوبان لكنها مستورة كما ذكر عن هذه الحواس فإذا خرجت النفوس عن هذا العالم تشاهد صورتها الكامنة بارزة مع قيودها و سلاسلها و أغلالها و عقاربها و حياتها و ترى شهواتها و لذاتها بصورة نيرانات ذات لهب- و شعلات محرقة للقلوب معذبة للنفوس و مطعوماتها و مشروباتها كالزقوم و الحميم تزيد في الجوع و العطش للنفس و الالتهاب و الاحتراق

الدعوى السادسة في معاد الهيولى و الأجسام المادية

و الإشارة إلى غاية الأشرار و الشياطين لما علمت أن الموجودات التي لها حظ من الوجود و لها صورة محصلة كلها متوجهة- بحسب فطرتها نحو الغايات و الكمالات و الأغراض الصحيحة المتممة لها المبلغة بها إلى غايات أخرى فوق تلك الغايات إلى أن ينتهي إلى غاية لا غاية لها فاعلم هاهنا أن من الأشياء ما لا حظ لها من الوجود إلا كونها استعدادات و إمكانات لأشياء أخرى- هي الصور و الكمالات دونها و هي مثل الحركة و الهيولى و القوة و الزمان و كذا

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۶۴

الامتداد الجسماني الذي شأنه الانقسام و الانعدام و الاضمحلال و السيلان لو لا النفوس و الطبائع الممسكة إياه عن التفرق و الانفصال المعطية له الوحدة و الاتصال فإن الجسم بما هو جسم في نفسه مع قطع النظر عن المحصلات الصورية المفيدة لها ضربا من الوحدة و الرباط كان يستدعي كل جزء الغيبة و الفرقة عن صاحبه كما يقتضي وجود صاحبه عدمه و بعده و ما لا وحدة له في ذاته لا وجود له و كذا الزمان الذي ذاته عين السيلان و الانقضاء- فإذن معاد هذه الأشياء إلى البوار و الهلاك و لا يمكن انتقالها من هذا العالم الذي هو معدن الشرور و الظلمات و الأعدام إلى تلك الدار التي هي دار القرار و دار الحياة و إلا لكان اللاقرار قرارا و العدم وجودا و التجدد ثباتا و الموت حياة فمآل الحركة و الهيولى و الزمان إلى العدم و البطلان و كذا الجسم المستحيل الكائن الفاسد من حيث هو هو- فكما أن مبدأ مثل هذه الأشياء أمور عدمية من باب الإمكان و القصور فإن منبع الهيولى هو الإمكان و منبع الحركة هو الاستعداد فكذا معادها و مرجعها إلى الزوال و البطلان فإن الغايات على نحو المبادي فكما علمت هذا في الجسمانيات فقس عليه نظائره في النفسانيات فإن غاية الجبن و الجهل و البلادة و أشباهها إلى الهلاك و البطلان- من غير تعذيب و إيلام إن كانت بسيطة غير ممزوجة بشر وجودي و إن كانت ممزوجة بعناد و استكبار و نفاق كان مع عذاب شديد و عقاب أليم و قد مر في مباحث العلة و المعلول من

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۶۵

العلم الكلي و الفلسفة الأولى أن هاهنا غايات وهمية زينت لطوائف من الناس مبادئها أغاليط وهمية و أماني باطلة و أهوية رديئة و لكل نوع من الهوى و الشهوات الذميمة طاغوت يؤدي بصاحبه إلى غاية جزئية في هذا العالم و قد علمت أن هذه الغايات الجزئية و الأغراض الوهمية مضمحلة فاسدة فمن كان وليه الطاغوت و إضلاله و الهوى و اتباعه و كل هذه الأمور من لوازم هذه النشأة الفانية فكلما أمعنت هذه النشأة في الدثور- ازداد الطاغوت و جنوده اضمحلالا فيذهب به ممعنا في وروده العدم متقلبا به في الدركات- حتى يحله دار البوار و مرجع الأشرار.

تعقيب فيه تأييد:

لما حصلناه و تأكيد لما أصلناه من عود هذه الطبائع المتجددة إلى دار أخرى باقية قد ذكرنا أن القوة الإلهية لم تقف و لا تقف عند ذاتها من غير أن يفيض على ما دونها من الأشياء فيضانا دائما لكونها غير متناهية في الشدة و المدة و العدة فهي فوق ما لا يتناهى بما لا يتناهى بل أفاض أولا على العقل و صورة على مثاله تعالى عن المثل و الشبيه قبل أن يفيض على غيره إذ لم يجز في العناية الواجبية صدور الممكن الأخس قبل الأشرف كما علمت بل لا بد من إفاضة الأشرف أولا و بعده الأشرف فالأشرف إلى الأخس فالأخس حتى ينتهي إلى ما لا أخس منه فلا جرم صدر من الباري أولا إنية العقل تاما كاملا و لما كان العقل أيضا تاما كاملا بعد الأول غير متناه عدة و مدة لا شدة لم يجز أيضا وقوفه عند ذاته من غير أن يصدر عنه ما يناسبه و يقرب منه غاية ما يمكن من القرب بين المفيض و المفاض عليه فأفاض من نوره و قوته على النفس و كذلك النفس لما امتلأت نورا و قوة و غيرها من الفضائل و الخيرات و غاية ما يمكن للنفس أن تقبلها لم تقدر على الوقوف على ذاتها لعلة أن تلك الفضائل و الخيرات التي أفادها العقل

الحكمة المتعالية فی الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۶۶

تشوقها إلى التشبه بالعقل و الاتصال به فأفاضت من نورها و فضائلها على ما تحتها لكن على سبيل التجدد الزماني إذ ليست تامة الوجود و إلا لكانت عقلا لا نفسا و هي نفس هذا خلف فملأت هذا العالم من نورها و بهائها و حسنها من صورة الأنواع و طبائع الجسمانيات- كالأفلاك و الكواكب و الحيوانات و النبات و المعادن و الأسطقسات فتلك الصور أيضا في غرائزها و جبلاتها الجود على ما تحتها و الفعل فيما دونها بالناموس الإلهي و الاقتداء بالسنة الواجبة لكن الطبيعة المادية لما كانت آخر الجواهر الصورية و أدناها لم تقو على شيء غير الهيولى التي ليس شأنها غير إمكان الأشياء و استعدادها و غير الحركة التي هي خروج الشيء الممكن من القوة إلى الفعل فالهيولى و الحركة شأنهما الحدوث و الدثور و الأخذ و الترك و التجدد و الانقضاء و الشروع و الانتهاء فلا جرم سيخرب هذا العالم و يزول جميع ما في الأرض و تئول إلى العدم و الفناء كما قال سبحانه **كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى‏ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ** فتكر الطبيعة راجعة إلى النفس و النفس راجعة إلى العقل و العقل راجع إلى الواحد القهار كما قال تعالى سائلا و مجيبا **لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ** و قوله **وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى‏ فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ** فإذا رجعت هذه الأشياء إلى مقارها الأصلية- بعد خروجها عن عالم الحركات و الاستحالات و الشرور و الآلام بالموت و الفساد للأجسام- و الفزع و الصعق للنفوس تعطف عليها الرحمة الإلهية تارة أخرى بالحياة التي لا موت فيها- و البقاء الذي لا انقطاع لها و لهذا قال تعالى **ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى‏ فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ** و قال **وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها** و تلك الأرض الأخروية هي صورة نفسانية ذات

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۶۷

حياة و قبول للإشراقات العقلية الفائضة منه تعالى و يمكن أن يراد بها هذه الأرض بعد قبضها فإنها إذا صارت مقبوضة بأيدي سدنة الملائكة الجاذبة يصير صورة نفسانية قابلة- لأن تجذبها و تقبضها أيدي الرحمن كما قال **وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ- وَ السَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** و الفرق بين القبض و الطي أن القبض يستدعي أن يكون- للمقبوض وجود عند يد القابض أشرف من وجوده الذي كان في تلك المرتبة كمادة الغذاء إذا جذبته و قبضته القوة الغاذية فإنها تتبدل صورتها بصورة شبيهة بالمغتذي و هي أشرف- و أما الطي فيستدعي أن لا يبقى للمطوي وجود و إنانية فقبض الأرض إشارة إلى تبدل صورتها الطبيعية بصورة نفسانية أخروية كما قال تعالى **يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ** و طي السماء إشارة إلى فنائها بنفسها عن نفسها و اتحادها بالعقل و هو المشار إليه بيمينه تعالى و العقل الصرف مما قد علمت أنه فان عن نفسه و باق بالحق تعالى.

و اعلم أن جميع ما في عالم الآخرة صورة إدراكية ليس لها موضوع أو مادة لا حياة لها كهيوليات هذا العالم و موضوعاتها التي لا حياة لها في ذاتها إلا عرضية واردة عليها من غيرها و أدنى موجودات ذلك العالم و هو أرض الآخرة صورة ذات حياة و هي أعلى من سماء هذا العالم

كما ورد في الحديث: أرض الجنة الكرسي و سقفها عرش الرحمن

و كذلك الماء و الهواء و النار و الشجر و الجبال و الأبنية و البيوت كلها موجودة بوجود صوري نفساني

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۶۸

بلا مادة و حركة و قوة استعدادية و إذا كان حال الموجودات الدنية الأرضية التي لذلك العالم هكذا فما ظنك بحال موجوداتها الشريفة السماوية و بالجملة كل ما في هذا العالم له صورة في الآخرة و التفاوت بين سمائها و أرضها و حيواناتها و أشجارها و أحجارها و مياهها و غيرها على نسبة هذا التفاوت لأنها بواطن هذه الأمور فيكون التفاوت فيها أشد و أكثر- كما قال تعالى **وَ لَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلاً** على أن الكل حيوان بحياة ذاتية فقد ظهر و انكشف أن لهذه الصور الهيولية من العناصر و غيرها صور أخروية محسوسة هناك مشهودة بحواس غير داثرة و لا فانية و لا متجزئة لأنها كلها في موضوع النفس- كأنها قوة واحدة مع أنها متخالفة المدركات كثيرة الصور و هذا من العجائب التي يختص بدركها أولو البصائر و تلك بواطن هذه الدنيويات التي سترجع إليها بعد دثورها و انقطاع وجودها عن هذا العالم محشورة إليها باقية هناك حية بحياتها النفسانية لما مر من أنه لا صورة طبيعية إلا و له نفس و عقل قال الفيلسوف المعلم للمشائيين في الميمر الثامن من كتابه و صفة النار هي مثل صفة الأرض أيضا و ذلك أن النار إنما هي كلمة ما في الهيولى و كذلك سائر الأشياء الشبيهة بها و النار لم تكن من تلقاء نفسها بلا فاعل و لا من احتكاك الأجسام كما ظن- و ليست الهيولى أيضا نارا بالقوة و لا هي تحدث صورة النار لكن في الهيولى كلمة فعالة تفعل صورة النار و صورة سائر الأشياء و الهيولى قابلة لذلك الفعل و الكلمة التي فيها هي النفس تقوى أن تصور فيها صورة النار و سائر الصور و هذه النفس إنما هي حياة النار و كلمة فيها و كلتاهما أعني الحياة و الكلمة شيء واحد و لذلك قال أفلاطون إن في كل جرم من الأجرام المبسوطة نفسا و هي الفاعلة لهذه النار الواقعة

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۶۹

تحت الحس فإن كان هذا هكذا قلنا إن الشيء الذي يفعل هذه النار إنما هي حياة ما نارية و هي النار الخفية فالنار إذن التي فوق هذه النار في العالم الأعلى هي أحرى أن تكون نارا فإن كانت نارا خفية فلا محالة أنها حياة فحياتها أرفع و أشرف من حياة هذه النار لأن هذه النار إنما هي صنم لتلك فقد بان و صح أن النار التي في العالم الأعلى هي حية و أن تلك الحياة هي القيامة بالحياة على هذه النار و على هذه الصفة يكون الماء و الهواء هناك أقوى فإنهما هناك حيان كما هي في هذا العالم إلا أنهما في ذلك العالم أكثر حياة لأن تلك الحياة هي التي تفيض على هذين اللذين هاهنا الحياة انتهى.

و قال في الميمر العاشر إن لهذه الأرض حياة ما و كلمة فعالة و الدليل على ذلك صورها المختلفة فإنهما تنمو و تنبت الكلأ و الجبال و المعادن فإنها نبات أرضي و إنما يكون هذه فيها لأجل الكلمة ذات النفس التي فيها فإنها هي التي تفعل فيها و تصور في داخل الأرض هذه الصور و هذه الكلمة هي صورة الأرض التي تنفعل في باطنها كما تفعل الطبيعة في باطن الشجرة فالكلمة الفاعلة في باطن الأرض الشبيهة بطبيعة الشجرة هي ذات نفس لأنها لا يمكن أن تكون ميتة و تفعل هذه الأفاعيل العجيبة العظيمة في الأرض- فإن كانت هذه الأرض التي هي صنم حية فبالحري أن تكون تلك الأرض العقلية حية أيضا و أن تكون هي الأرض الأولى و تكون هذه أرضا ثانية لتلك شبيهة بها انتهى كلامه و قال الشيخ محيي الدين الأعرابي في الباب السابع عشر و ثلاثمائة من كتابه المسمى بالفتوحات المكية اعلم أن الحياة في جميع الإنسان حياتان حياة عرضية عن سبب و هي الحياة التي نسبناها إلى الأرواح و حياة أخرى ذاتية للأجسام كلها كحياة الأرواح

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۷۰

للأرواح غير أن حياة الأرواح تظهر لها في الأجسام بانتشار ضوئها فيها و ظهور قواها و حياة الأجسام الذاتية ليست كذلك إذ ما خلقت مدبرة فبحياتها الذاتية تسبح ربها دائما- لأنها صفة ذاتية سواء كانت الأرواح فيها أو لا و ما يعطيها أرواحها فيها إلا هيئة أخرى عرضية في التسبيح بوجودها و إذا فارقها الروح فارقها ذلك الذكر الخاص فيدرك المكاشف الحياة التي في الأجسام كلها و إذا اتفق على أي جسم كان أمر يخرجه عن نظامه مثل كسر آنية أو كسر حجر أو قطع شجر فهو مثل قطع يد إنسان أو رجله تزول عنه حياة الروح المدبرة له- و يبقى عليه حياته الذاتية له فإنه لكل صورة في هذا العالم روح مدبرة و حياة ذاتية- تزول الروح بزوال تلك الصورة كالقتل و تزول الصورة بزوال ذلك الروح الصورة كالميت الذي مات على فراشه و لم يغرب عنقه و الحياة الذاتية الذي لكل جوهر غير زائلة انتهى كلامه.

أقول يجب أن يعلم أن الكشف و البرهان شاهدان على أن الجسم الذي حياته

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۷۱

ذاتية ليس هذا الجسم الذي هو مادة مستحيلة كائنة فاسدة متبدلة الذات آنا فآنا و قد أوضحنا ذلك بالبراهين القطعية و الحجج السمعية الشرعية و باتفاق عظماء الفلاسفة و أئمة الحكمة- من أن هذه الأجسام التي في أمكنة هذا العالم سماؤه

و أرضه و ما بينهما كلها حادثة داثرة متجددة الكون كائنة فاسدة في كل حين لا يبقى آنين و كلما كان كذلك كيف يكون حياته ذاتية حياة التسبيح و النطق إنما الجسم الذي حياته ذاتية هو جسم آخر أخروي له وجود إدراكي غير مفتقر إلى مادة و موضوع و لا يحتاج إلى مدبر روحاني يدبره و نفس تتعلق به و يخرجه من القوة إلى الفعل و تفيده الحياة لأنها عين الحياة و عين النفس فلا يحتاج إلى نفس أخرى و قد قلنا مرارا أن ذلك الجسم جسم إدراكي و صورة إدراكية و كل صورة إدراكية وجودها في نفسها عين مدركيتها بالفعل فلا يفتقر إلى ما يجعلها مدركة بالفعل بعد ما كانت مدركة بالقوة كسائر الصور المادية التي لا تصير محسوسة و لا معقولة إلا بتجريد مجرد يجردها و ينزعها عن المادة حتى تصير محسوسة أو معقولة و قد علمت فيما سبق أن كل صورة محسوسة أو معقولة هي متحدة بالجوهر الحاس أو العاقل فإذن الأجسام الإدراكية التي هي الصور المحسوسة بالذات حياتها ذاتية نفسانية لا كهذه الأجسام المادية الكائنة الفاسدة فالذي أفاده هذا الشيخ ليس بظاهره صحيحا و قوله

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۷۲

تعالى **وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ** و غير ذلك من الآيات إنما يدل على أن الأجسام كلها ذا حياة و نطق سواء كانت بحسب جسميتها أو بما يتصل بها من روح أو ملك و لا يدل على أنها من حيث جسميتها و ماديتها مع قطع النظر عن أرواحها و صورها المدبرة- ناطقة مسبحة و قد علمت أن لكل جسم صورة نفسانية و مدبرا عقليا بهما يكون ذات حياة و نطق لا من حيث جسميتها الميتة المظلمة الذات المشوبة بالأعدام الزائلة الغير الباقية إلا في آن لكن هاهنا دقيقة أخرى يمكن أن يستتم و يستصح بها كلامه- و هي أن المكشوف عند البصيرة و المعلوم بالبرهان أن في باطن هذه الأجسام الكائنة الظلمانية جسما شعاعيا ساريا فيها سريان النور في البلور و هي بتوسطة تقبل الحياة- و تصرف النفوس و الأرواح و ليس المراد بذلك الجسم النوراني هو الذي يسميه الأطباء الروح الحيواني و هو المنبعث في الحيوان اللحمي من دم القلب و الكبد و يسري في البدن بواسطة العروق الشريانية و ذلك لأن ذلك مركب و الذي كلامنا فيه بسيط و هو ظلماني مادي و هذا نوراني مجرد الذات و هو مختص ببعض الأجسام و تقبل الحياة من خارج بخلاف هذا فإنه سار في جميع الأجسام و حية بحياة ذاتية لأن وجوده وجود إدراكي هو عين النفس الدراكة بالفعل

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۷۳

فصل (١٤) في معنى الساعة

قال تعالى **يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساٰهاٰ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرٰاهاٰ إِلىٰ رَبِّكَ مُنْتَهٰاهاٰ** قيل إنما سميت الساعة ساعة لأنها تسعى إليها النفوس لا بقطع المسافات المكانية بل بقطع الأنفاس الزمانية بحركة جوهرية ذاتية و توجه غريزي إلى الله و ملكوته كما بيناه في ضرورة الموت فمن مات وصلت إليه ساعته و قامت قيامته و هي ساعة القيامة الصغرى و يقاس عليها يوم القيامة الكبرى التي لساعات الأنفاس كاليوم للساعات أو كالسنة للأيام و اعلم أن أهل المعرفة و اليقين لا يشكون و لا يمترون في أمر الساعة

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۷۴

و يعلمون أنها الحق و لا ينتظرون قيامها كانتظار أهل الحجاب و الغفلة الذين يشكون في وقوعها و يستبعدونها و يسألون عن وقتها و يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين- و لكن أهل اليقين يستعدون لقاءها و يرونها كأنها قائمة عليهم واقعة بهم أو قريبة منهم كما في قوله تعالى **وَ ما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِها وَ الَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْها وَ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ** و قوله تعالى **أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها** ... **وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ*** و قوله تعالى **وَ يَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَ لا نَفْعاً إِلَّا ما شاءَ اللهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ**

فصل (۱۵) في معنى النفخ في الصور

قال تعالى **وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ*** الآية

و: سئل رسول الله ص عن الصور فقال قرن من نور التقمه إسرافيل فوصف بالسعة و الضيق

و اختلف في أن أعلاه ضيق و أسفله واسع أو بالعكس و لكل وجه عند صاحب البصيرة و الصور بسكون الواو و قرئ بانفتاحها أيضا جمع الصورة و القراءة الأخيرة منقولة عن الحسن البصري و ذكر الرازي في تفسيره الكبير أقوالا ثلاثة في معنى الصور.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۷۵

أحدها أنه آلة إذا نفخ فيها يظهر منها صوت عظيم و هي الآلة المعروفة المستعملة بأمر السلطان علامة لبعث الجنود من البلد و نحو ذلك و ظاهر أنها وقعت في الآية على سبيل التشبيه و لهذا وقع في الحديث أنه قرن من نور و النور لا يكون له صوت محسوس.

و ثانيها أن المراد منه مجموع الصور و المعنى إذا نفخ في الصور أرواحها و هو قول الحسن و كان يقرأ بفتح الواو و عن أبي رزين بالفتح و الكسر قال و هو حجة لمن فسر الصور بجمع الصورة.

و ثالثها أن النفخ في الصور استعارة و المراد منه البعث و النشر قال و الأول أولى للخبر.

أقول قد علمت أن المعنى الأول للآية لا يمكن حمله على الظاهر و الخبر أيضا يدل على ذلك كما مر ثم قال و في قوله تعالى **ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى** دلالة على أنه ليس المراد نفخ الروح و الإحياء لأن ذلك لا يتكرر انتهى.

أقول النفخ من قبل الله تعالى لا يكون إلا إحياء و إفاضة للروح و إنشاء للحياة- لكن إنشاء الحياة في نشأة عالية يلزمها الموت عن نشأة سافلة فبالنفخة الأولى تموت الأجساد و تحيا الأرواح و بالنفخة الثانية تقوم الأرواح قياما بالحق لا بذواتها و اعلم أن جميع المواد الكونية بصورها الطبيعية قابلة للاستنارة بالأرواح كالفحم في استعداده للاشتعال من جهة نارية كامنة فيه فالصور البرزخية كامنة فيها كلها كمون الحرارة

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۷۶

و الحمرة في الفحم و الأرواح كامنة في الصور البرزخية كلها كمون الاشتعال و الإنارة في الحرارة ففي النفخة الأولى زالت الصور الطبيعية بالإماتة كزوال هيئة السواد و البرودة للفحم بحصول الحمرة و الحرارة و استعدت الصور البرزخية

لقبول الاستنارة بالأرواح استعداد الفحم المحرم المتسخن لقبول الاشتعال فإذا نفخ إسرافيل و هو المنشئ للأرواح في الصور نفخة ثانية تستنير بالأرواح البارزة القائمة بذاتها كما قال تعالى **فَإِذٰا هُمْ قِيٰامٌ يَنْظُرُونَ**.

قال الشيخ العربي في الفتوحات المكية النفخة نفختان نفخة تطفئ النار و نفخة تشعلها فإذا تهيأت هذه الصور كانت فتيلة استعدادها لقبول الأرواح كاستعداد الحشيش بالنار التي كمنت فيه لقبول الاشتعال و الصور البرزخية كالسرج مشتعلة بالأرواح التي فيها فينفخ إسرافيل نفخة واحدة فتمر على تلك الصور فتطفئها و تمر النفخة التي تليها- و هي الأخرى على الصور المستعدة للاشتعال و هي النشأة الأخرى فتشتعل بأرواحها- فإذا هم قيام ينظرون فتقوم تلك الصور أحياء ناطقة بما ينطقها الله فمن ناطق بالحمد لله و من ناطق يقول من بعثنا من مرقدنا و من ناطق بالحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا و إليه النشور و كل ينطق بحسب حاله و ما كان عليه و نسي حاله في البرزخ- و يتخيل أن ذلك منام كما يتخيله المستيقظ و قد كان عند موته و انتقاله إلى البرزخ- كالمستيقظ هناك و أن الحياة الدنيا كانت له كالمنام و في الآخرة يعتقد في أمر الدنيا- و البرزخ أنه منام في منام.

و قال في موضع آخر منها بعد ذكر الناقور و الصور و ليعلم بعد ما قررناه أن الله تعالى إذا قبض الأرواح من هذه الأجسام الطبيعية و العنصرية أودعها صورا أخذها في مجموع هذا القرن النوري فجميع ما يدركه الإنسان بعد الموت في البرزخ من الأمور يدركها بعين الصورة التي هو بها في القرن و النفخة نفختان نفخة تطفئ النار و نفخة

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۷۷

تشعلها فكذلك نفخة الصور نفختان الأولى للإماتة لمن يزعم أن له حياة سواء كان من أهل السماوات أو من أهل الأرض قال تعالى **وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلاّٰ مَنْ شٰاءَ اللّٰهُ** و هم الذين سبقت لهم القيامة الكبرى و إليهم الإشارة بقوله تعالى **إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنّٰا الْحُسْنىٰ أُولٰئِكَ عَنْهٰا مُبْعَدُونَ** إلى قوله **لاٰ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَ تَتَلَقّٰاهُمُ الْمَلاٰئِكَةُ هٰذٰا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ يَوْمَ نَطْوِي السَّمٰاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ** إذ الفزع الأكبر إشارة إلى ما في قوله **فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ**.

أقول و ذلك لأن أولئك ليسوا من أهل السماوات و الأرض لكون ذواتهم خارجة عن عالم الأجسام و صورها و نفوسها و لا يجري عليهم تجدد الأكوان و لا تغير الزمان لاستغراقهم في بحر الأحدية و سلطان نور الإلهية كالملائكة المهيمنين الذين هوياتهم مطوية تحت الشعاع الطامس القيومي و النور الباهر الإلهي فلا التفاوت لهم إلى ذواتهم و الثانية لأجل الإحياء بعد الإماتة و البقاء بعد الفناء حياة أرفع من الأولى- و بقاء حقيقيا لا فناء بعده قال **ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرىٰ فَإِذٰا هُمْ قِيٰامٌ يَنْظُرُونَ**

فصل (١٦) في القيامتين الصغرى و الكبرى

أما الصغرى فمعلومة من مات فقد قامت قيامته و أما الكبرى فمبهمة وقتها و لها

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۷۸

ميعاد عند الله و من وقتها على التعيين فهو كاذب

لقوله ص: كذب الوقاتون

و کل ما في القيامة الكبرى فله نظير في القيامة الصغرى و مفتاح العلم بيوم القيامة و معاد الخلائق هو معرفة النفس و مراتبها و الموت كالولادة فقس الآخرة بالأولى و الولادة الكبرى بالولادة الصغرى **مٰا خَلْقُكُمْ وَ لاٰ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وٰاحِدَةٍ** و لا شك أن الآخرة إنما يحصل بارتفاع الحجب و زوال الملابس و ظهور الحقائق و انكشاف الحق بالوحدة الحقيقية- و كذا يظهر كل شيء فيها على صورته الذاتية الحقيقية فمن أراد أن يعرف معنى القيامة الكبرى و ظهور الحق بالوحدة الحقيقية و عود الأشياء كلها إليه و فناء الكل عن

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۷۹

هوياتها الجزئية حتى الأفلاك و الأملاك و الأرواح و النفوس كما قال تعالى **فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شٰاءَ اللّٰهُ** و هم الذين سبقت لهم القيامة الكبرى و قال تعالى **وَ لِلّٰهِ مِيرٰاثُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ*** و **كُلُّ شَيْءٍ هٰالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** و **كُلُّ مَنْ عَلَيْهٰا فٰانٍ وَ يَبْقىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاٰلِ وَ الْإِكْرٰامِ أَلاٰ إِلَى اللّٰهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ** و كما جاء في الخبر الصحيح أن الحق سبحانه يميت جميع الموجودات حتى الملائكة و جبرئيل و إسرافيل و ميكائيل و ملك الموت ثم يعيدها للفصل و القضاء فليتأمل في الأصول التي سبق ذكرها من توجه كل سافل إلى عال و رجوع كل شيء إلى أصله و عود كل صورة إلى حقيقتها و من إثبات الحركات الجوهرية الطبيعية و النفسانية إلى غاياتها و رجوع المعلولات إلى علاتها- و اتصال النفوس السماوية بنهاياتها العقلية و من تنور قلبه بنور اليقين لشاهد تبدل أجزاء العالم و أعيانها و طبائعها و نفوسها في كل لحظة فالكل متبدلة و تعيناتها زائلة فما من موجود إلا و يقع له الرجوع إلى الله و لو بعد أدوار و أحقاب كثيرة إما بموت أو فناء أو استحالة أو انقلاب أو صعق كما للأرواح فكل حركة و تبدل لا بد له من غاية ينتهي إليها وقتا و لغايته أيضا غاية حتى ينتهي إلى غاية لا غاية لها و يجتمع فيها الغايات فلها يوم واحد إلهي بل لحظة واحدة أو أقرب منها حاوية لجميع الأوقات و الأزمنة و الآنات التي تقع فيها النهايات كما أن جميع البدايات ابتدأت من بداية

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۸۰

واحدة و مبدإ واحد يتشعب منه كل مبدإ و تنبجس منه كل مؤثر و أثر و كذا من شاهد حشر جميع القوى الإنسانية مدركها و محركها مع تباينها و تباين مواضعها عددا و شخصا و تخالف ماهياتها نوعا و حقيقة إلى ذات واحدة بسيطة روحانية و رجوعها إليها و استهلاكها فيها ثم انبعاثها منها في الآخرة على نحو آخر أفضل و أرفع مما كانت عليه أولا في الدنيا هان عليه التصديق برجوع الخلائق كلها إلى الحق تعالى ثم وجودها و انتشاؤها منه تارة أخرى على وجه أكمل و أرفع من النشأة الأولى فكما أن الروح الإنساني منه انبساط أشعة القوى و المشاعر على مواضع البدن و إليه رجوع أنوارها من محابس مظاهرها بالموت ثم انبعاثها عنه في الآخرة تارة أخرى على نحو آخر فكذلك القياس في تكون هذا العالم و موجوداتها من السماوات و الأرض و ما بينهما و ما فيها ثم رجوع الكل إليه بطي السماوات و انتثار الكواكب و اندكاك الجبال و قبض الأرض و ما فيها و موت الخلائق و نزع أرواحها و قبض نفوسها و فناء كل من عليها كما قال تعالى **يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمٰاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كٰانَ مِقْدٰارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمّٰا تَعُدُّونَ** فإذا رجع إليه الكل استأنف لها الوجود تارة أخرى على وجه تقوم قياما يبقى أبدا من غير فناء و لا زوال قال تعالى- **كَمٰا بَدَأْنٰا أَوَّلَ**

خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنٰا إِنّٰا كُنّٰا فٰاعِلِينَ و من لم يذق هذا الشهد سواء كان من العلماء الناظرين غير الواصلين أو من المغرورين بعقولهم الناقصة العادية أو من المحجوبين العاكفين على باب الصور الظاهرة و الأصنام فليصدق الأنبياء و الأولياء فيما قالوه و يؤمن به إيمانا بالغيب كإيمان الأعمى بما يقوله و يهديه قائده و لا ينكر شيئا منه نعوذ بالله من ضعف الإيمان باليوم الآخر و الجحود لما أنبأ به أهل الإنباء- ع من النبإ العظيم الذي هم فيه مختلفون و عنه معرضون بل هم بلقاء ربهم كافرون- و قد تحقق بالبرهان و انكشف بلوامع آيات القرآن و بطلوع شمس العرفان من أفق البيان أن أعيان العالم متبدلة دائما و هوياتها و تشخصاتها متزايلة و طبائعها متجددة كل آن كما قال تعالى بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ و قوله تعالى وَ تَرَى الْجِبٰالَ تَحْسَبُهٰا جٰامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحٰابِ و هو سبحانه غاية هذه الحركات و التبدلات- وَ لِلّٰهِ مِيرٰاثُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ* أَلاٰ إِلَى اللّٰهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ فَسُبْحٰانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج‌٩، ص ٢٨١

شَيْ‌ءٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

فصل (١٧) في أن أي الأجسام يحشر في الآخرة و أيها لا يحشر

اعلم أن الأرواح ما دامت أرواحا لا تخلو عن تدبير أجسام لها و الأجسام المتصرفة فيها قسمان قسم يتصرف فيها النفوس تصرفا أوليا ذاتيا من غير واسطة و قسم يتصرف فيها النفوس تصرفا ثانويا تدبيريا بواسطة جسم آخر قبله و القسم الأول ليس محسوسا بهذه الحواس الظاهرة لأنه غائب عنها لأنها إنما تحس بالأجسام التي هي من جنس ما يحملها من هذه الأجرام التي هي كالقشور و يؤثر فيها سواء كانت بسيطة كالماء و الهواء و غيرهما أو مركبة كالحيوان و النبات و غيرهما سواء كانت لطيفة كالأرواح البخارية أو كثيفة كهذه الأبدان اللحمية الحيوانية و الأجساد النباتية فإن جميعها ليست مما يستعملها النفوس و يتصرف فيها إلا بالواسطة- و أما القسم الأول المتصرف فيه فهو من الأجسام النورية الحية بحياة ذاتية غير قابلة للموت.

و هي أعلى رتبة من هذه الأجسام المشفة التي توجد هاهنا و من التي تسمى بالروح الحيواني فإنها من الدنيا و إن كانت شريفة لطيفة بالإضافة إلى غيرها و لهذا تستحيل و تضمحل سريعا و لا يمكن حشرها إلى الآخرة و الذي كلامنا فيه من أجسام الآخرة- و هي تحشر مع النفوس و تتحد معها و تبقى ببقائها و أما البرازخ العلوية فالتي في نهاية العلو في هذا العالم الذي يقال لها سدرة المنتهى فهي كأنها عين الصورة بلا مادة- فحكمها يشبه أن يكون كحكم الأجسام الخيالية و تصرف النفوس فيها كتصرف النفوس في تلك الأجسام و أما التي دونها فهي كالأرواح الدماغية لنا لأنها بمنزلة خيال العالم الكبير و قد صرح بعض أئمة الكشف أن الأجسام النورية الفلكية لا خيال لها بل هي عين الخيال و كما لا يخلو خيال الإنسان عن صورة كذلك لا يخلو ذات الملك عن صورة و صورة الفلك لذات الملك كقوة الخيال لذات الإنسان و هذه الزرقة

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج‌٩، ص ٢٨٢

المحسوسة ليست صورة السماء و لا هذه الأنوار المدركة بالحس هي أنوارها الموجودة يوم القيامة بل هذه السماء مدروسة مهدومة و كواكبها منكسفة مطموسة في ذلك اليوم

فصل (۱۸) في حال أهل البصيرة هاهنا

اعلم أن من الناس من يرى بعين البصيرة أمور الآخرة و أحوالها و يحضر عنده شهود الجنة و أهلها قبل قيام الساعة فلا يحتاج في معاينة ذلك العالم و بروز الحقائق له إلى حصول الموت الطبيعي لزوال الحجب عن وجه قلبه و عين بصيرته فحالهم قبل الموت كحال غيرهم بعد الموت كما قال تعالى **فَكَشَفْنٰا عَنْكَ غِطٰاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ** و ذلك لتبدل نشئاتهم الدنيوية إلى نشئاتهم الأخروية و إذا تبدلت نشئاتهم و تبدلت أسماعهم و أبصارهم و حواسهم إلى أسماع و أبصار و حواس تبدلت في حقهم جميع الموجودات التي في السماوات و الأرض لأن لها أيضا نشأتين نشأة الدنيا و نشأة الأخرى و كل حس مع محسوسه من نوع واحد فحواس هذه النشأة تدرك محسوسات

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۸۳

هذه النشأة و حواس نشأة الآخرة تدرك بها محسوسات نشأة الآخرة و إلى هذا التبديل أشار تعالى بقوله **يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّمٰاوٰاتُ وَ بَرَزُوا لِلّٰهِ الْوٰاحِدِ الْقَهّٰارِ** و قال تعالى **نَحْنُ قَدَّرْنٰا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَ مٰا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثٰالَكُمْ وَ نُنْشِئَكُمْ فِي مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ** و بهذا التبديل في الوجود سواء وقع قبل الموت أو بالموت أو بعده يستحق الإنسان لدخول الجنة و دار السلام و به يتحقق الفرق بين أهل الجنة و أهل النار فأهل الجنة لهم قلوب منورة و صدور منشرحة و أبدان مطهرة و صور مجردة عن رجس المادة الطبيعية بخلاف أهل النار لعدم تبدل ذواتهم عن هذا الوجود الطبيعي فكيف يمكن لهم دخول دار السلام كما قال تعالى **أَ يَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ كَلاّٰ إِنّٰا خَلَقْنٰاهُمْ مِمّٰا يَعْلَمُونَ** أي من نطفة قذرة و المكون من نحو هذه المادة كيف يناسب دار القدس و الطهارة و لما كان هاهنا مظنة سؤال مشكل و هو أن جميع الناس مشترك في أنهم مخلوقون من نطفة يعني أنهم أجسام طبيعية فكيف يقع لهم استحقاق دخول دار السلام و استيهال جوار رب العالمين و ما للتراب و رب الأرباب فعقب الآية بقوله تعالى **فَلاٰ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشٰارِقِ وَ الْمَغٰارِبِ إِنّٰا لَقٰادِرُونَ** ... **عَلىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثٰالَكُمْ وَ نُنْشِئَكُمْ فِي مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ** أي تتبدل نشأتهم الطبيعية تبدلا وجوديا و حركة جوهرية بحصول العلم و الإيمان و العمل بالأركان فيحصل لهم أهلية الدخول في دار القدس و عالم الملكوت

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۸۴

فصل (۱۹) في الصراط

قد علمت أن لكل موجود حركة جبلية و توجها غريزيا إلى مسبب الأسباب- و للإنسان مع تلك الحركة الجوهرية العامة حركه أخرى ذاتية منشؤها حركة عرضية في كيفية نفسانية لباعث ديني و هي المشي على منهج التوحيد و مسلك الموحدين من الأنبياء و الأولياء و أتباعهم ع و هي المراد بقوله تعالى **اهْدِنَا الصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِيمَ** المدعو للمصلي في كل صلاة المشار إليه في قوله تعالى **قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللّٰهِ عَلىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي** و قوله **إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرٰاطِ اللّٰهِ الَّذِي لَهُ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِي الْأَرْضِ** فالاستقامة عليه و التثبت في المشي فيه هو الذي كلف الله به عباده و أوجب عليهم و أرسل رسله لأجل ذلك إليهم و أنزل الكتب بسببه عليهم- و باقي الصراط الذي يمشي عليها الموجودات ليس شيء منها هذا الصراط المختص بأهل الله لأن كلا منها ينتهي إلى

غاية أخرى غير لقاء الله و إلى منزل آخر غير جوار الله و غير دار الجنان و منزل الرضوان كطبقات الجحيم و دركات النيران فالقوس الصعودية لا تنقطع إليه تعالى إلا بسلوك الإنسان الكامل عليها **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** و الاستقامة عليها هي المراد بقوله تعالى **فَاسْتَقِمْ كَمٰا أُمِرْتَ وَ مَنْ تٰابَ مَعَكَ وَ لاٰ تَطْغَوْا**

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۸۵

و الانحراف عنه يوجب السقوط عن الفطرة و الهوى إلى دار الجحيم و الهبوط في جهنم التي قيل لها هل امتلأت و تقول هل من مزيد و وصفه بأنه أدق من الشعر و أحد من السيف لأن كمال الإنسان منوط باستعمال قوتيه أما القوة النظرية فلإصابة الحق و نور اليقين في سلوك الأنظار الدقيقة التي هي في الدقة و اللطافة أدق من الشعر إذا تمثلت بكثير و أما القوة العملية فبتعديل القوى الثلاث التي هي الشهوية و الغضبية و الفكرية في أعمالها لتحصل للنفس حالة اعتدالية متوسطة بين الأطراف غاية التوسط- لأن الأطراف كلها مذمومة يوجب السقوط في الجحيم و منزل البعداء و الأشقياء المردودين و قد علمت أن التوسط الحقيقي بين الأطراف المتضادة بمنزلة الخلو عنها- و الخلو عن هذه الأطراف المسمى بالعدالة منشأ الخلاص عن الجحيم و هي أحد من السيف- فإذن الصراط له وجهان أحدهما أدق من الشعر و الآخر أحد من السيف و الانحراف عن الوجه الأول يوجب السقوط عن الفطرة **إِنَّ الَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرٰاطِ لَنٰاكِبُونَ** و الوقوف على الوجه الثاني يوجب الشق و القطع كما قيل وقف عليه شقه- و إليه الإشارة بقوله تعالى **اثّٰاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَ رَضِيتُمْ بِالْحَيٰاةِ الدُّنْيٰا مِنَ الْآخِرَةِ** و بقوله **يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ** و وجه ذلك أن هذه العدالة ليست كمالا حقيقيا لأن ذلك منحصر في نور العلم و قوة الإيمان و المعرفة بل هي أمر عدمي و صفة نفسانية عدمية اعتدالية من جنس أطرافها و الركون إليها و الاعتماد عليها يوجب الإخلاد إلى الدنيا- لأنها من الدنيا أيضا و حب الدنيا رأس كل خطيئة.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۸۶

تنوير قرآني:

هذا الصراط يظهر يوم القيامة للأبصار على قدر نور اليقين للمارين عليه إلى الآخرة و بحسب شدة نور يقينهم يكون قوة سلوكهم و سرعة مشيهم عليه فيتفاوت درجات السعداء بتفاوت نور معرفتهم و قوة يقينهم و إيمانهم لأن التقرب إلى الله لا يمكن إلا بالمعرفة و اليقين و المعارف أنوار و لا يسعى المؤمنون إلى لقاء الله إلا بقوة أنوارهم و أنظارهم كما قال تعالى **يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنٰاتِ يَسْعىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمٰانِهِمْ** ... **يَقُولُونَ رَبَّنٰا أَتْمِمْ لَنٰا نُورَنٰا** الآية

و قد ورد في الخبر: أن بعضهم يعطى نورا مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه و منهم من يعطى أصغر من ذلك و منهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه و منهم من يعطى نوره أصغر من ذلك- حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نورا على قدر إبهام قدمه فيضيئ مرة و يطفأ أخرى- فإذا أضاء قدام قدمه مشى و إذا طفئ قام و مرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين و وقوع الشعاع و منهم كالبرق الخاطف و منهم من يمر كشد الفرس و الذي أعطي نورا على قدر إبهام قدمه يحثو على وجهه و يديه و

رجليه تجريدا و يعلق أخرى و تصيب النار جوانبه فلا يزال كذلك حتى يخلص الخبر

و بهذا يظهر تفاوت الناس في الإيمان فرب إيمان رجل بالقياس إلى إيمان رجل آخر إذا وزن معه و قيس إليه كان آلاف ألف مثله في القوة النورية و الرسوخ العلمي و عن الحسن الصراط مسيرة آلاف سنة- أدق من الشعر و أحد من السيف ألف صعود و ألف استواء و ألف هبوط أقول لا يبعد أن يكون الأول إشارة إلى السير من الخلق إلى الله و الثاني إلى السير في الله منه إليه و الثالث إلى السير من الله إلى الخلق و قال أبو طالب المكي في كتاب قوة القلوب روي أن الله تعالى خلق الصراط من رحمته أخرجها للمؤمنين فالصراط للموحدين

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۸۷

خاصة و الكفار لا جواز لهم عليه لأن النار قد التقطت من الموقف جبابرتهم و سائر الكفار قد اتبعوا ما كانوا يعبدون من دون الله عز و جل إلى النار فقسم النور بين الموحدين على قدر ما جاءوا به من الدنيا و الصراط يدق و يتسع على حسب منازل الموحدين- الدقة للمذنبين و السعة للمتقين و الأصل الواسع للأنبياء و الأولياء يصير لهم كالبساط سعة و بسطا و لهم السرعة و الإبطاء فأولهم كلمح البصر و آخرهم كعمر الدنيا سبعة آلاف سنة تزل قدم تحترق ثم يخرجها فتبرأ من الرحمة ثم تزل قدم و الأخرى قد برأت فالإسلام خرج لهم من الرحمة فلما قبلوه و لم يفوا به ضرب لهم جسرا من تلك الرحمة فيمروا عليها فمن ضيع منهم شيئا من أعمال الإسلام فإنما ضيع الرحمة التي رحم بها فزلت قدمه فالدقة و الاتساع على قدر الرحمة من الله تعالى للعبد فبحظ العبد من الرحمة التي قسمه سبحانه في أيام الدنيا يتسع الصراط عليه هناك- و السرعة و الإبطاء في قطع الصراط على قدر القرب فبحظ العبد من نور القربة يسرع و يبطؤ فأولهم زمرة يقطع في مثل طرف العين و لمح البرق و هم الأنبياء ع و الثانية في مثل الريح و الطير و هم الصديقون الأولياء و الثالثة مثل حضر الفرس و أجاويد الخيل و الركاب و هم الصادقون الذين جاهدوا أنفسهم حتى صدقوا الله سبحانه في جميع حركاتهم و خطراتهم و الرابعة في مثل الراكب رحله و هم المتقون و الخامسة في مثل سعي الرجل و هم العابدون و السادسة مشيا و هم العمال المستورون و السابعة حبوا و هم المتهتكون

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۸۸

من الموحدين و كل زمرة لها نور نور النبوة و نور الولاية و نور الصدق و نور التقوى و نور العبادة و نور الستر و نور التوحيد فمنهم من نوره مد بصره و منهم من نوره عند إبهام قدمه و هو آخرهم فليس النور بكثرة الأعمال إنما النور بعظم نور الأعمال- و إنما يعظم نور العمل على قدر ما في القلب من النور و إنما يعظم نور القلب على قدر القربة فكل ذي نور نوره أقرب إلى الله تعالى فنوره أنور و أعظم و أنفذ بصرا و أثقل وزنا فكم من رجل قل عمله هناك سبق إلى الجنة من أربى بعمله هناك أضعافا مضاعفة- أ لا ترى إلى

قول رسول الله ص لمعاذ: أخلص يكفك القليل من العمل

فلا يصل العبد إلى الإخلاص إلا بعظم النور و إنما زكت أعمالهم و نمت بعظم النور و يحقق ما قلناه إن رجلا من هذه الأمة قد سبق من عمر ألف سنة من الأولين و لذلك روي في الحديث يا حبذا نوم الأكياس و فطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى و صيامهم و لمثقال حبة من خردل من صاحب تقوى و يقين أفضل عند الله سبحانه من أمثال الجبال من

المغترين و قال أيضا فالصراط المستقيم طريق التوحيد و هو دين الحق الذي جميع الأنبياء و الرسل و متابعيهم عليه و جميع الأحوال السنية و مقامات السالكين في السير إلى الله تعالى و في الله عز و جل راجعة إليه و علم التوحيد أنفع العلوم و أرفعها بل صفاوتها و نقاوتها- و هو المقصد الأقصى و المطلب الأعلى و ليس وراء عبادان قرية و لا مطمع في النجاة إلا باقتنائه و لا فوز بالدرجات إلا باجتنائه و لعلو مرتبته و رفعة منزلته انقلبت البصائر عنه كليلة و العقول عليلة و النواظر حواسر إذ هو بحر وقف بساحله العقول و امتنع على الأرواح و القلوب إلى كنهه الوصول انتهى كلامه و قد أصاب فيما ذكره من أنه لا يمكن الوصول إلى عالم القرب و قطع الطريق إليه إلا بعلم التوحيد فقط و غيره من العلوم

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۸۹

و الأعمال لا وزن لها عند الله إلا من جهة إعانتها في تحصيل ذلك في العلم لا غير و برهان هذه الدعوى مستفاد من مواضع كثيرة في هذا الكتاب

بصيرة كشفية:

اعلم أن الصراط المستقيم كما قيل الذي أوصلك إلى الجنة هو صورة الهدى الذي أنشأته لنفسك ما دمت في عالم الطبيعة- من الأعمال القلبية و الأحوال و التحقيق أنه عند كشف الغطاء و رفع الحجاب يظهر لك أن النفس الإنسانية السعيدة صورة صراط الله المستقيم و له حدود و مراتب إذا سلكه سالك متدرجا على حدوده و مقاماته أوصله إلى جوار ربه داخلا في الجنة فهو في هذه الدار كسائر الأمور الأخروية غائبة عن الأبصار مستورة على الحواس فإذا انكشف الغطاء بالموت و رفع الحجاب عن عين قلبك تشاهده و يمد لك يوم القيامة كجسر محسوس على متن جهنم أوله في الموقف و آخره على باب من أبواب الجنة يعرف ذلك من يشاهده و تعرف أنه صنعتك و بناؤك و تعلم حينئذ أنه كان في الدنيا جسرا ممدودا- على متن جهنم طبيعتك التي قيل إنها كظل ذي ثلاث شعب لا ظليل و لا يغني من اللهب لأنها التي تقود النفس إلى لهيب الشهوات التي يظهر أثر حرها في الآخرة- و هو الآن مغمور مكمون في غلاف هذا البدن كجمرة نار مستوقدة تحت رماد فالسعيد من أطفأ ناره بماء العلم و التقوى.

قال الشيخ الصدوق في الإعتقادات اعتقادنا في الصراط أنه حق و أنه جسر على جهنم و أن عليه ممر جميع الخلق قال الله تعالى

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۹۰

وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلاّٰ وٰارِدُهٰا كٰانَ عَلىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا قال و الصراط في وجه آخر اسم حجج الله فمن عرفهم في الدنيا و أطاعهم أعطاه الله جوازا على الصراط الذي هو جسر جهنم يوم القيامة

و قال النبي ص لعلي ع: يا علي إذا كان يوم القيامة أقعد أنا و أنت و جبرئيل على الصراط- و لا يجوز على الصراط إلا من كانت معه براءة بولايتك

انتهى.

أقول و من العجب كون الصراط و المار عليه و المسافة و المتحرك فيه شيئا واحدا- و هذا هكذا في طريق الآخرة التي تسلكها النفس الإنسانية فإن المسافر إلى الله أعني النفس تسافر في ذاتها و تقطع المنازل و المقامات الواقعة في ذاتها

بذاتها ففي كل خطوة تضع قدمها على رأسها بل رأسها على قدمها و هذا أمر عجيب و لكن ليس بعجيب عند التحقيق و العرفان

فصل (۳۰) في نشر الصحائف و إبراز الكتب

إن القول و الفعل ما دام وجودهما في أكوان الحركات و مواد المكونات فلا حظ لها من البقاء و الثبات و لكن من فعل فعلا أو تكلم بقول يظهر منه أثر في نفسه و حالة قلبية تبقى زمانا و إذا تكررت الأفاعيل و الأقاويل استحكمت الآثار في النفس و صارت الأحوال ملكات إذ الفرق بين الملكة و الحال بالشدة و الضعف و الاشتداد في الكيفية يؤدي إلى

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج‏۹، ص ۲۹۱

حصول صورة جوهرية هي مبدأ مثل تلك الكيفية كالحرارة الضعيفة في الفحم إذا اشتدت صارت صورة نارية محرقة و كذلك الكيفية النفسانية إذا اشتدت صارت ملكة راسخة أي صورة نفسانية هي مبدأ آثار مختصة بها فيصدر بسببها الفعل المناسب لها بسهولة من غير روية و تعمل و من هذا الطريق تحدث ملكة الصناعات و مبدأ المكاسب العلمية و العملية- و لو لم يكن للنفوس الآدمية هذا التأثر من الفعل أولا ثم اشتداد ذلك الأثر فيها يوما فيوما لم يمكن لأحد من الناس اكتساب شي‏ء من الصناعات العلمية و العملية و لم ينجع التأديب و التعليم لأحد و لم يكن في تمرين الأطفال على الأعمال فائدة و ذلك قبل رسوخ الهيئات مضادة لما هو المطلوب في نفوسهم و لذلك يعسر تعليم الرجال المحتنكين و تأديبهم لاستحكام صفات حيوانية في نفوسهم بعد ما كانت هيولانية قابلة لكل علم و صنعة- كصحيفة خالية من النقوش و الصور فهذه الآثار الحاصلة في القلوب و الأرواح بمنزلة النقوش و الكتابة الحاصلة في الصحائف و الألواح كما قال سبحانه **أُولٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمٰانَ** و هذه القلوب و الأرواح يقال لها في لسان الشريعة صحائف الأعمال- و تلك النقوش و الصور كما يحتاج إلى قابل يقبلها كذلك يفتقر إلى فاعل أي مصور و كاتب فالمصورون و الكتاب لمثل هذه الكتابة النورية هم الكرام الكاتبون لكرامة ذواتهم و أفعالهم عن دناءة الجسمية و ارتفاع جواهرهم عن المواد الطبيعية فهم لا محالة ضرب من الملائكة المتعلقة بأعمال العباد و أقوالهم

[الآيات]

لقوله تعالى **وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحٰافِظِينَ كِرٰاماً كٰاتِبِينَ** و هم طائفتان ملائكة اليمين و هم الذين يكتبون أعمال أصحاب اليمين و ملائكة

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج‏۹، ص ۲۹۲

الشمال و هم الذين يكتبون أعمال أصحاب الشمال قال تعالى **إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيٰانِ عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمٰالِ قَعِيدٌ مٰا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّٰ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** و قال **يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنٰاسٍ بِإِمٰامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتٰابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولٰئِكَ يَقْرَؤُنَ كِتٰابَهُمْ وَ لاٰ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً** و قال أيضا **فَأَمّٰا مَنْ أُوتِيَ كِتٰابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هٰاؤُمُ اقْرَؤُا كِتٰابِيَهْ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاٰقٍ حِسٰابِيَهْ** لأن كتابه من جنس العلوم و الاعتقادات الصادقة و الأخلاق الحسنة و الظن هاهنا بمعنى العلم **وَ أَمّٰا مَنْ أُوتِيَ كِتٰابَهُ بِشِمٰالِهِ فَيَقُولُ يٰا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتٰابِيَهْ وَ لَمْ أَدْرِ مٰا حِسٰابِيَهْ** لأن كتابه من جنس الأكاذيب الباطلة و الصفات الشيطانية و الشهوات الحيوانية و الرئاسات الدنيوية المحرقة للقلوب المعذبة للنفوس و مثل هذا الكتاب

المشتمل على الكذب و الغلط و الهذيان يستحق للاحتراق بالنار كما قال **وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ وَراءَ ظَهْرِهِ- فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُوراً وَ يَصْلى‏ سَعِيراً** و قد ورد في الخبر أن من عمل حسنة كذا يخلق الله منها ملكا يستغفر له إلى يوم القيامة كما قال تعالى **إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخافُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِياؤُكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ فِي الْآخِرَةِ** و هكذا القياس في الكفر و الاعتقاد السوء فمن فسد اعتقاده في المسائل الإلهية و رسخ على جهله و بالغ في كفره يتنزل على نفسه شيطان يوعده بالشر و يغره اغترارا بالجهل و يعجبه إعجابا بنفسه و كان قرينه في الدنيا و الآخرة كما قال تعالى **هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلى‏ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّياطِينُ تَنَزَّلُ عَلى‏ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آياتِ اللهِ تُتْلى‏ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً** الآية و قوله **وَ مَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ** و هذه الهيئة الراسخة للنفس المتمثلة لها يوم القيامة هي التي

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج‏۹، ص ۲۹۳

تسمى في عرف الحكمة بالملكة و في لسان الشريعة بالملك و الشيطان في جانبي الخير و الشر و المسمى أمر واحد في الحقيقة لأن المحقق عندنا أن الملكات النفسانية تصير صورا جوهرية و ذواتا قائمة فعالة في النفس تنعيما و تعذيبا و لو لم يكن لتلك الملكات من الثبات و التجوهر ما يبقى أبد الآباد لم يكن لخلود أهل الجنة في الثواب- و أهل النار في العقاب أبدا وجه فإن منشأ الثواب و العذاب لو كان نفس العمل أو القول و هما أمران زائلان يلزم بقاء المعلول مع زوال العلة المقتضية و ذلك غير صحيح و الفعل الجسماني الواقع في زمان متناه كيف يصير منشأ للجزاء الواقع في أزمنة غير متناهية و مثل هذه المجازاة غير لائق بالحكيم سيما في جانب العذاب كما قال **وَ ما أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** و قال **بِما كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ** و لكن إنما يخلد أهل الجنة في الجنة و أهل النار في النار بالثبات في النيات و الرسوخ في الملكات و مع ذلك فإن من فعل مثقال ذرة من الخير أو الشر في الدنيا يرى أثر ذلك مكتوبا في صحيفة نفسه أو صحيفة أرفع من نفسه كما قال تعالى **فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرامٍ بَرَرَةٍ** و إذا قامت القيامة و حان وقت أن يقع بصره إلى وجه ذاته لفراغه عن شواغل هذه الحياة الدنيا و ما يورده الحواس و يلتفت إلى صفحة باطنه و لوح ضميره و هو المراد بقوله تعالى- **وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ** فمن كان في غفلة عن أحوال نفسه و حساب سيئاته و حسناته يقول عند كشف غطائه و حضور ذاته و مطالعة صفحة كتابه **ما لِهذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصاها وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَ لا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً**

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج‏۹، ص ۲۹۴

و قد ورد في هذا الباب من طريق أهل البيت ع و غيرهم عن النبي ص أحاديث كثيرة

منها ما روي عن قيس بن عاصم أنه قال ص: يا قيس إن مع العز ذلا و مع الحياة موتا و إن مع الدنيا آخرة و إن لكل شي‏ء رقيبا و على كل شي‏ء حسيبا و إن لكل أجل كتابا و إنه لا بد لك من قرين يدفن معك و تدفن معه و هو حي و أنت ميت فإن كان كريما أكرمك و إن كان لئيما أسلمك ثم لا يحشر إلا معك و لا تحشر إلا معه- و لا تسأل إلا عنه فلا تجعله إلا صالحا فإنه إن صلح آنست به و إن فسد لا تستوحش إلا منه و هو

فعلك

فانظر يا وليي في هذا الحديث الشريف تجد فيه لباب معرفة النفس و علم الآخرة- و فيه إشارة إلى عدة مسائل شريفة ليس هاهنا موضع بيانها.

و منها قوله ص: إن الجنة قيعان و إن غراسها سبحان الله

و منها: أن المرء مرهون بعمله

و منها قوله ص: خلق الكافر من ذنب المؤمن

و أمثال ذلك كثيرة.

و من كلام فيثاغورس و هو من أعاظم الحكماء الأقدمين

أنك ستعارض لك في أفعالك و أقوالك و أفكارك و سيظهر لك من كل حركة فكرية أو قولية أو عملية صورة روحانية و جسمانية فإن كانت الحركة غضبية أو شهوية صارت مادة لشيطان يؤذيك في حياتك و يحجبك عن ملاقاة النور بعد وفاتك و إن كانت الحركة عقلية صارت ملكا تلتذ بمنادمته في دنياك و تهتدي به في أخراك إلى جوار الله و دار كرامته.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۹۵

و مما يشير إلى أن صورة كل إنسان في الآخرة نتيجة عمله و غاية فعله في الدنيا- قوله تعالى في حق ابن نوح ع **إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صٰالِحٍ** على قراءة فتح الميم و في القرآن آيات كثيرة دالة على أن كل ما يلاقيه الإنسان في الآخرة و يصل إليه من الجنة و ما فيها من الحور و القصور و الفواكه و غيرها و النار و ما فيها من العقارب و الحيات و غيرها- ليست إلا غاية أفعاله و صورة أعماله و آثار ملكاته و إنما الجزاء هناك بنفس العمل باعتبار ما ينتهي إليه كقوله تعالى **وَ لاٰ تُجْزَوْنَ إِلاّٰ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** و قوله تعالى **إِنَّمٰا تُجْزَوْنَ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ*** لم يقل مما كنتم تعملون تنبيها على هذا المعنى- و قوله **جَزٰاءُ أَعْدٰاءِ اللهِ النّٰارُ**.

و توضيح ذلك أن مواد الأشخاص الأخروية و متعلقاتها و ما يكون بمنزلة البذور للأشجار و النطف للحيوانات و الهيولى للعقليات إنما هي التصورات الباطنية و التخيلات النفسانية و التأملات العقلية لأن الدار الآخرة و كل ما فيها ليست من جنس هذه الدار و ما فيها فما في الدنيا له مادة جسمانية تطرأ عليها صورة أو نفس من خارج بإعانة أسباب خارجية و أوضاع و حركات فلكية و لأجسامها الحيوانية حياة عرضية و ما في الآخرة من الجنات و الأشجار و الأنهار و غيرها أرواح هي بعينها صورة معلقة قائمة بذاتها حياتها نفس ذاتها و كل نفس إنسانية مع ما يتعلق بها من الحور و القصور و الأشجار و الأنهار- جميعها موجودة بوجود واحد و حية بحياة واحدة و المجموع مع وحدته الشخصية متكثر الصور و الإنسان إذا انقطع عن الدنيا و تجرد عن لباس هذا الأدنى و كشف عن بصره هذا الغطاء كانت قوته الإدراكية قدرة و علمه غيبا و غيبه شهادة فيصير مبصرا

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۲۹۶

لنتائج أعماله و أفكاره و مشاهدا لآثار حركاته و أفعاله قارئا لصحيفة أعماله و لوح كتابه- حسناته و سيئاته كما قال تعالى **وَ كُلَّ إِنسٰانٍ أَلْزَمْنٰاهُ طٰائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ كِتٰاباً يَلْقٰاهُ مَنْشُوراً اقْرَأْ كِتٰابَكَ كَفىٰ**

بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً و مما يدل على أن الإنسان الكائن في الدار الآخرة غير متكون من مادة طبيعية بل من صورة نفسانية إدراكية قوله تعالى **وَ نُنْشِئَكُمْ فِي ما لا تَعْلَمُونَ** و قوله **إِنَّ كِتابَ الْأَبْرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ** و معلوم أن ما في عليين ليس مخلوقا من المادة الجسمانية فعلم أن المرء متكون في القيامة من معلومه و معتقده فإن كان معلومه من باب الشهوات المذمومة و الأماني الباطلة و الأهواء الفاسدة تكون من أهل النار و العذاب محترقا بنار الجحيم يكون كتابه في سجين و إن كانت معلوماته من باب الأمور القدسية و معرفة الله و ملائكته و كتبه و رسله فيكون لا محالة من أهل الملكوت الأعلى و المنزل الأرفع و القرب الأدنى و الرفيق الأسنى

فصل (۳۱) في حقيقة الحساب و الميزان

لعلك قد تنبهت من الأصول التي كررنا ذكرها أن كل مكلف يرى يوم الآخرة- حاصل متفرقات أفعاله و أقواله و فذلكة حساب حسناته و سيئاته و يصادف جملة

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۹۷

كل دقيق و جليل من أعماله في كتابه **لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصاها وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَ لا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً** و الحساب عبارة عن جمع تفاريق الأعداد و المقادير و تعريف مبلغها و في قدرة الله أن يكشف في لحظة واحدة للخلائق حاصل أعمالهم

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۹۸

و ميزان حسناتهم و سيئاتهم و هو أسرع الحاسبين قال تعالى **وَ نَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَ إِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَ كَفى‏ بِنا حاسِبِينَ** و قال تعالى **وَ الْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَ مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ- بِما كانُوا بِآياتِنا يَظْلِمُونَ** أوتي بلفظ الجمع إشارة إلى أن الميزان له أنواع كثيرة- بعضها ميزان العلوم و بعضها ميزان الأعمال أما ميزان العلوم فاعلم أن الله قد وضع ميزانا مستقيما و قسطاسا مبينا أنزل من السماء ليعرف بإقسامه مكاييل الأرزاق المعنوية- و مثاقيل الأغذية الروحانية و يعلم بها حقها من باطلها و يوزن بها جواهر الحقائق العقلية- و نقود الصور الإدراكية و يميز رائجها في سوق الآخرة من زيفها و خالصها من مغشوشها- و علمنا بتعليم ملائكته و رسله كيفية الوزن بها و معرفة أقسامها الخمسة و تميز مستقيمها من منحرفها حيث قال **وَ زِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ*** فمن تعلم هذه الموازين- التي أنزلها الله تعالى في كتابه على رسوله فقد اهتدى و من عدل عنها و عمل بالرأي و التخمين- فقد ضل و غوى و تردى إلى الجحيم فإن قلت أين ميزان العلوم في القرآن فهل هذا إلا إفك و بهتان.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۲۹۹

قلنا أ لم تسمع قوله تعالى في سورة الرحمن **وَ السَّماءَ رَفَعَها وَ وَضَعَ الْمِيزانَ أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَ لا تُخْسِرُوا الْمِيزانَ** أ لم تسمع قوله تعالى في سورة الحديد- **لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَ الْمِيزانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ** أ زعمت أيها العاقل المتأمل أن الميزان المنزل من عند الله مع إنزال الكتب و إرسال

الرسل هو ميزان البر و الشعير و الأرز و التمر و غيرها أ توهمت أن الميزان المقارن وضعه لرفع السماء هو القبان و الطيار و أمثالهما ما أبعد هذا التوهم و الحسبان- و ما أقبح هذا الافتراء و البهتان و اتق أيها الناظر في معاني الكتاب و لا تتعسف في باب التأويل و لا تركب متن الجهالة و اللجاج إني أعظك أن تكون من الجاهلين و اعلم أن الذي يدعو أمثالك و أصحابك من الظاهريين و الحنابلة و غيرهم على حمل ألفاظ الكتاب و السنة على المعاني العامية جمود قرائحهم على التجسم و عدم تجاوز أذهانهم عن حدود الأجسام و الجسمانيات و لو تأملوا قليلا في نفس معنى الميزان و جردوا حقيقة معناه عن الزوائد و الخصوصيات لعلموا أن حقيقة الميزان ليس يجب أن يكون البتة مما له شكل مخصوص أو صورة جسمانية فإن حقيقة معنى الميزان و روحه و سره- هو ما يقاس و يوزن به الشيء و الشيء أعم من أن يكون جسمانيا أو غير جسماني فكما أن القبان و ذا الكفتين و غيرهما ميزان للأثقال و الأصطرلاب ميزان للارتفاعات و المواقيت و الشاقول ميزان لمعرفة الأعمدة و المسطر ميزان لاستقامة الخطوط فكذلك علم المنطق ميزان للفكر في العلوم النظرية يعرف به صحيح الفكر من فاسده و علم النحو ميزان للأعراب و البناء و العروض ميزان للشعر و الحس ميزان لبعض المدركات- و العقل الكامل ميزان لجميع الأشياء و بالجملة ميزان كل شيء يكون من جنسه- فالموازين مختلفة و الميزان المذكور في القرآن ينبغي أن يحمل على أشرف الموازين و هو ميزان يوم الحساب كما دل عليه قوله تعالى **وَ نَضَعُ الْمَوٰازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيٰامَةِ** و هو ميزان العلوم و ميزان الأعمال القلبية الناشئة من الأعمال البدنية

و: سئل جعفر الصادق ع عن قوله تعالى وَ نَضَعُ الْمَوٰازِينَ الْقِسْطَ فقال الموازين هم الأنبياء و الأولياء

و اعلم أن ميزان الآخرة ما يعرف به حقائق الأشياء كما هي من العلم بالله

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۰۰

و صفاته العليا و أفعاله العظمى من ملائكته و كتبه و رسله و العلم باليوم الآخر و المعاد تعليما من قبل أنبياء الله ع كما علم الأنبياء من الملائكة و الملائكة من الله فالمعلم الأول هو الحق سبحانه و المعلم الثاني هو جبرئيل و المعلم الثالث هو الرسول ع و قد أنزل الله سبحانه من السماء هذه الموازين الخمسة المستخرجة من القرآن ليعلم بها كل أحد مقدار علمه و عقله و ميزان سعيه و عمله و هي ميزان التعادل و ميزان التلازم و ميزان التعاند لكن ميزان التعادل ينقسم إلى ثلاثة أقسام الأكبر و الأوسط

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۰۱

و الأصغر فيصير الجميع خمسة و تفاصيلها و بيان كل قسم منها و كيفية استنباطه من القرآن مذكور في كتابنا المسمى بالمفاتيح الغيبية و هي بالحقيقة سلاليم العروج إلى عالم السماء بل إلى مجاورة مبدإ الأشياء و المقدمات و الأصول المذكورة فيها درجات السلاليم للعروج الروحاني و أما المعراج الجسماني فلا تفي بذلك سعة قوة كل نفس بل يختص ذلك بقوة نفس النبي ع و بالجملة فهذه الموازين الأخروية هي التي تعرف بها مثاقيل الأفكار و مكاييل الأنظار في العلوم الحقيقية التي هي الأرزاق المعنوية لأهل الآخرة و قد أنزلها الله تعالى من السماء ليعلم كل أحد مقدار علمه و عقله و مقدار سعيه و عمله- و يحسب حساب رزقه و أجله و يحضر كتاب عمره و أمله فإن لكل مخلوق رزقا مخصوصا و بحسب كل رزق له بقاء معلوم و أجل مكتوب و حساب محسوب و الأرزاق المعنوية كالأرزاق الصورية

متفاوتة في الأكل متفاضلة في دوام الحياة و الأجل كما و كيفا- و نفعا و ضرا بل الأرزاق الأخروية أشد تفاوتا و أكثر تفضيلا من الأرزاق الدنيوية كما قال سبحانه **وَ لَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلاً** و قال أيضا مخاطبا لنبيه ص المنذر المعلم للناس **ادْعُ إِلى‏ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** فأمره بدعوة الخلائق إلى أنواع من الأرزاق المعنوية حسب تفاوت الغرائز لهم و الجبلات فالقرآن بمنزلة مائدة نازلة من السماء إلى الأرض مشتملة على أقسام الرزق و لكل قوم منها رزق معلوم و حياة مقسومة فالحكمة و البراهين لقوم- و الموعظة و الخطابة لقوم و الجدل و الشهرة لقوم و يوجد فيه لغير هؤلاء الطوائف الثلاث أغذية ليست بهذه المثابة من اللطافة بل هي كالقشور و النخالة على حسب مقاماتهم في غلظ الطبائع و الكثافة و السفالة كما أشير إليه بقوله **وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ** فكما يوجد فيه اللبوب من الأغذية لأولي الألباب كذلك يوجد فيه ما هو كالتبن و القشور للعوام الذين درجتهم درجة الأنعام كما قال **مَتاعاً لَكُمْ وَ لِأَنْعامِكُمْ**‏ و ذلك لأن الغذاء يجب أن يكون مشابها للمغتذي فالمحسوس من الغذاء للجوهر

الحكمة المتعالية فی الاسفار العقلية الاربعة، ج‏٩، ص ٣٠٢

الحاس و المخيلات و الموهومات منه للنفس الخيالية و الوهمية و المعقولات منه غذاء للجوهر العاقل إذ بها يتغذى و يتقوى و يستكمل و يصير منتقلا من حد العقل بالقوة- بالغا إلى حد العقل الفعال باقيا بقاء سرمديا أبديا.

تبصرة ميزانية:

اعلم أن من الأمور التي لا بد من معرفتها لمن يسلك سبيل الآخرة- هي كيفية الموازنة بين النشأتين و المقايسة لما في كل منهما بإزاء الأخرى فمن فتح الله على قلبه باب الموازنة بين العالمين عالم الملك و الشهادة و عالم الملكوت و الغيب يسهل عليه سلوك سبيل الله و الدخول في دار السلام و يطلع على أكثر أسرار القرآن و أطواره و يشاهد حقائق آياته و أنواره مما غفلت عنه كافة علماء الرسوم- و متفلسفة الحكماء المشهورون بالفضل و الذكاء و هو باب عظيم في معرفة أحوال الأشياء و حقائق الموجودات على ما هي عليه سيما معرفة المعاد و هو أول مقامات النبوة- لأن مبادي أحوال الأنبياء ع أن يتجلى لهم في المنام ما في عالم الملكوت و يتصور لهم حقائق الأشياء في كسوة الأشباح المثالية لأن الرؤيا الصادقة جزء من أجزاء النبوة و لا يتجلى الحقائق مجردة عن لباس الصورة المثالية إلا في عالم القيامة لقيامها بذواتها هناك و أما في هذا العالم فهي في أغطية من الصور الحسية المادية و كذلك هي في عالم الرؤيا الصادقة و عالم البرزخ أيضا في أغطية لكنها رقيقة و هي الصور المثالية فمن عرف كيفية الموازنة بين العالمين بل العوالم الثلاث يعلم تأويل الأحاديث و تعبير الرؤيا التي هي جزء من النبوة بمشاهدة ما في ذلك العالم بالتجرد التام و هو حاصل للأنبياء ع

الحكمة المتعالية فی الاسفار العقلية الاربعة، ج‏٩، ص ٣٠٣

و هم بعد في جلابيب البشرية و لغيرهم من الأولياء إنما يحصل بعد ارتحالهم عن هذه الحياة الدنيا فتأمل يا حبيبي في هذا المقام فعساك تنفتح لك روزنة إلى عالم الملكوت- و إلا فما زلت متوجها إلى ملابس عالم التقليد الحيواني مصروف الهمة و الوجهة إليه من أنوار الملكوت مستفيدا من آثار الحس و التقليد فمحال أن يتجلى لك شي‏ء من غوامض الحكمة و أسرار القيامة و اعلم بأنك مسافر من الدنيا إلى الآخرة و أنت تاجر و رأس مالك حياتك الدنياوية و

تجارتك هي اكتساب القنية العلمية و هي زادك في سفرك إلى معادك و فائدتك هي حياتك الأبدية و نعيمها بلقاء الله و ملكوته و خسرانك هلاك نفسك باحتجابك عن جوار الله و دار كرامته و اعلم أن الناقد بصير و لا يقبل منك إلا الخالص من إبريز المعرفة و الطاعة فوزن حسناتك بميزان صدق لا ميل فيه و أحسب حساب نفسك قبل أن توافي عمرك و قبل أن يحاسب عليك في وقت لا يمكنك التدارك و التلافي فالموازين مرفوعة ليوم الحساب و فيه الثواب و العقاب **فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوٰازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رٰاضِيَةٍ وَ أَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوٰازِينُهُ فَأُمُّهُ هٰاوِيَةٌ وَ مٰا أَدْرٰاكَ مٰا هِيَهْ نٰارٌ حٰامِيَةٌ**

تتمة:

و أما القول في ميزان الأعمال فاعلم أن لكل عمل من الأعمال البدنية تأثيرا في النفس فإن كان من باب الحسنات و الطاعات كالصلاة و الصيام و الحج و الزكاة و الجهاد و غيرها فله تأثير في تنوير النفس و تخليصها من أسر الشهوات و تطهيرها عن غواسق الهيوليات و جذبها من الدنيا إلى الأخرى و من المنزل الأدنى إلى المحل الأعلى فلكل عمل منها مقدار معين من التأثير في التنوير و التهذيب و إذا تضاعفت و تكثرت الحسنات فبقدر تكثرها و تضاعفها يزداد مقدار التأثير و التنوير و كذلك لكل عمل من الأعمال السيئة قدرا معينا من التأثير في إظلام جوهر النفس و تكثيفها و تكديرها و تعليقها بالدنيا و شهواتها و تقييدها بسلاسلها و أغلالها- فإذا تضاعفت المعاصي و السيئات ازدادت الظلمة و التكثيف شدة و قدرا و كل ذلك محبوب

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۰۴

عن مشاهدة الخلق في الدنيا و عند قيام الساعة و ارتفاع الحجب ينكشف لهم حقيقة الأمر في ذلك و يصادف كل أحد مقدار سعيه و عمله و يرى رجحان إحدى كفتي ميزانه- و قوة مرتبة نور طاعته أو ظلمة كفرانه و بالجملة كل أحد من أفراد الناس في مدة حياته- له تفاريق أعمال إما حسنات أو سيئات أو مختلفات فإذا جمع يوم القيامة حاصل متفرقات حسناته أو سيئاته كان إما لأحدهما الرجحان أو لا فعلى الأول يكون من أهل السعادة إن كان الرجحان للحسنة و من أهل الشقاوة إن كان للسيئة و على الثاني يكون متوسطا بين الجانبين حتى يحكم الله فيه إما أن يعذب و إما أن يتوب عليه لكن جانب الرحمة أرجح نظرا إلى الجواد المطلق و هذه الأقسام الثلاثة إنما تعتبر بالقياس إلى الأعمال و في الوجود قسم آخر أرفع من الكل و هم الذين استغرقت ذواتهم في شهود جلال الله و لا التفات لهم إلى عمل صالح أو سيئ فكسروا كفتي ميزانهم و خلصوا من عالم الموازين و الأعمال و الانحراف فيها و الاعتدال إلى عالم المعارف و الأحوال و مطالعة أنوار الجمال و الجلال فنقول من الرأس كل أحد ما لم يخلص بقوة اليقين و نور الإيمان و التوحيد عن قيد الطبيعة و أسر الدنيا فذاته مرهونة بعمله فهو بحسب مزاولة الأعمال و الأفعال و ثمراتها و نتائجها و تجاذبها للنفس إلى شيء من الجانبين بمنزلة ميزان ذي كفتين إحدى كفتيه تميل إلى الجانب الأسفل أعني الجحيم بقدر ما فيها من متاع الدنيا الفانية و الأخرى يميل إلى الجانب الأعلى و دار النعيم بقدر ما فيها من متاع الآخرة- ففي يوم العرض الأكبر إذا وقع التعارض بين الكفتين و التجاذب إلى الجنبتين فالحكم لله العلي الكبير على كل أحد في إدخاله إحدى الدارين دار النعيم و دار الجحيم بترجيح

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۰۵

إحدى كفتيه و اعلم أن كفة الحسنات في جانب اليمين و هو جانب الشرق و كفة السيئات في جانب الشمال و هو جانب الغرب ثم لا يذهب عليك أنه إذا وقع الترجيح و نفذ الحكم و قضي الأمر تصير الكفتان في حكم واحدة في المشرقية و المغربية و اليمينية و الشمالية و الجنانية و الجهنمية لغلبة إحداهما على الأخرى بحيث يجعلها مقهورة مطموسة فأهل السعادة يصير كلتا يديهم يمينية و كلتا يدي أهل الشمال تصير شمالية فافهم

فصل (۳۲) في الإشارة إلى طوائف الناس يوم القيامة

قد علمت أن أهل الآخرة على الإجمال ثلاثة أقسام المقربون و السعداء و هم أصحاب اليمين و الأشقياء و هم أصحاب الشمال و هم من جهة الحساب صنفان أحدهما يدخلون الجنة و يرزقون من نعيمها بغير حساب و هم ثلاثة أقوام منهم المقربون الكاملون في المعرفة و التجرد لأنهم لتنزههم و ارتفاع مكانتهم عن شواغل الكتاب و الحساب يدخلون الجنة بغير حساب كما قال تعالى في حق أمثالهم **مٰا عَلَيْكَ مِنْ حِسٰابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَ مٰا مِنْ حِسٰابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ** و منهم جماعة من أصحاب اليمين لم يقدموا في الدنيا على معصية و لم يقترفوا سيئة و لم يريدوا علوا في الأرض و لا فسادا لصفاء ضمائرهم و سلامة فطرهم عن رين المعاصي و قوة نفوسهم على فعل الطاعات فهم أيضا يدخلون الجنة بغير حساب كما قال تعالى **تِلْكَ الدّٰارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهٰا لِلَّذِينَ لاٰ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ- وَ لاٰ فَسٰاداً وَ الْعٰاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** و منهم جماعة نفوسهم ساذجة و صحائف أعمالهم خالية عن آثار السيئات و الحسنات جميعا فلهم حالة إمكانية فينالهم الله برحمة منه و فضل لم يمسسهم سوء العذاب لأن جانب الرحمة أرجح من جانب الغضب و الإمكان مصحح للقبول مع عدم المنافي و الواهب جواد كريم فهؤلاء أيضا يدخلون الجنة بغير حساب

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۰۶

و قد قال تعالى **وَ مٰا أَنَا بِظَلاّٰمٍ لِلْعَبِيدِ** و قال تعالى
: سبقت رحمتي غضبي

و قال تعالى **وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** و أما الصنف الآخر و هم أهل العقاب في الجملة- فهم أيضا ثلاثة أقوام منهم قوم صحيفة أعمالهم خالية من العمل الصالح و لا محالة يكونون كفارا محضة فيدخلون جهنم بلا حساب و منهم قوم صدر منهم بعض الحسنات لكن وقع في حقهم قوله تعالى **وَ حَبِطَ مٰا صَنَعُوا فِيهٰا وَ بٰاطِلٌ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ** و قوله تعالى- **وَ قَدِمْنٰا إِلىٰ مٰا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنٰاهُ هَبٰاءً مَنْثُوراً** و منهم قوم هم في الحقيقة من أهل الحساب حيث خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا فهؤلاء قسمان أحدهما من نوقش في حسابه بكل دقيق و جليل لأنه بهذه المثابة كان في الدنيا عاشر مع الخلائق و كان يستوفي حقه في المعاملات معهم من غير مسامحة فيعامل معه في الآخرة مثل ما عامل مع الخلق في الدنيا و القسم الثاني و هم الذين كانوا يخافون سوء الحساب و يشفقون من عذاب يوم القيامة فهؤلاء لا يناقش معهم في موقف الحساب فكيف يعذبون و يمكثون في مقام العذاب

فصل (۳۳) في أحوال تعرض يوم القيامة

[معنى صيرورة الأمور كلها إلى الله]

إذا ظهر نور الأنوار و انكشف عند ارتفاع الحجب جلال وجه الله القيوم و غلب سلطان الأحدية باضمحلال الكثرة و

اشتدت جهات الفاعلية و التأثير بزوال الحواجز و خروج المستعدات من القوة إلى الفعل و انتهاء الحركات إلى غاياتها

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۰۷

و بروز الحقائق من مكامن غيبها و حجب موادها و إمكاناتها إلى مجالي ظهوراتها- انخرط كل ذي مبدإ في مبدئه و رجع كل شيء إلى أصله و عاد كل ناقص إلى كماله- انتهى الأمر كله إلى الله كما قال تعالى **وَ لِلّٰهِ مِيرٰاثُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ** و قوله **أَلاٰ إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ** فلا يملك أحد شيئا إلا بإذن الله كما قال تعالى **لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّٰهِ الْوٰاحِدِ الْقَهّٰارِ** فإذا اتصل كل فعل بفاعله و التحق كل فرع بأصله و جمع كل مستفيض مع مفيضه لم يبق لأنوار الكواكب عند ذلك ظهور و إذا النجوم طمست و لا لأجرامها وضع و قدر و إذا الكواكب انتثرت و زال ضوء الشمس و انكدر نور الكواكب إذا الشمس كورت و محي نور القمر و خسف القمر و لم يبق بعد و مباينة مكان و وضع بين المنير و المستنير و جمع الشمس و القمر و اتحدت النفس بالأرواح و زالت المباينة بين الأشباح و الأرواح و لهذا يكون أبدان أهل الجنة بصورة نفوسها كالشخص و ظله و رجعت السماوات و الأرض إلى ما كانتا عليه قبل انفتاقها من الرتق

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۰۸

فعادتا إلى مقام الجمعية المعنوية حيث كانتا رتقا من هذه التفرقة من حيث هذا الوجود الطبيعي فعادتا كما كانتا رتقا بعد الفتق و كذا العناصر الأربعة و يصير كلها عنصرا واحدا مظلما لا يرون فيها شمسا و لا زمهريرا و الجبال لكونها متكونة من الرمال- فعادت كما كانت عليه في شهود الآخرة **وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبٰالِ فَقُلْ يَنْسِفُهٰا رَبِّي نَسْفاً- فَيَذَرُهٰا قٰاعاً صَفْصَفاً لاٰ تَرىٰ فِيهٰا عِوَجاً وَ لاٰ أَمْتاً** و ينقلب كل العنصريات نارا واحدة- غير هذه النار الأسطقسية و يصير الهيولى كلها بحرا مسجورا و إذا البحار سجرت- كما وقعت الإشارة في حق آل فرعون بقوله **أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نٰاراً** و بالجملة يتصل البر بالبحر و يتحد الفوق و التحت و تزول الأبعاد و الأحجام و ترتفع الحواجز و الحوائل و يرق الحجب لأهل البرازخ و مواقف الأشهاد يوم تبلى السرائر يوم يقوم الأشهاد و يقام الخلائق عن مكامن الحجب إلى مواقف كشف الأسرار لقوله **وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ** و المتخلصون من محابس الأشباح و الأرواح يتوجهون إلى الحضرة الإلهية لقوله تعالى **فَإِذٰا هُمْ مِنَ الْأَجْدٰاثِ إِلىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ**.

[موضع جهنم و الصراط و الجنة عند بعض المكاشفين]

قال بعض العرفاء المكاشفين إذا أخرجت الأرض أثقالها حتى ما بقي فيها شيء

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۰۹

اختزنته جيء بها إلى الظلمة التي هي دون المحشر كما قال تعالى **وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبٰالُ فَدُكَّتٰا دَكَّةً وٰاحِدَةً** فتمد مد الأديم و بسطة فلا يرى فيها عوجا و لا أمتا و هي الساهرة إذ لا نوم فيها كما قال **فَإِنَّمٰا هِيَ زَجْرَةٌ وٰاحِدَةٌ فَإِذٰا هُمْ بِالسّٰاهِرَةِ** و يرجع ما تحت مقعر فلك الكواكب جهنم و سميت بهذا الاسم لبعد قعرها يقال بئر جهنام أي بعيد القعر و يوضع الصراط من الأرض علوا إلى سطح فلك الكواكب- و هو فرش الجنة من حيث باطنه إذ كل أمور الآخرة يقع في باطن حجب الدنيا و لذلك قيل أرض الجنة الكرسي و سقفها عرش الرحمن و يوضع الموازين في أرض المحشر

لكل مكلف ميزان يخصه بعد الميزان العام قوله تعالى **وَ الْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ** و أما الموازين الخاصة فيجعل فيها الكتب و الصحائف و يوزن بها كما يوزن هاهنا الصور

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۱۰

العلمية و الأفكار النظرية بعلم القسطاس ليظهر صحيحها من فاسدها و حقها من باطلها- و آخر ما يوضع في الميزان قول العبد الحمد لله

لذلك قال الرسول ص: الحمد لله ملء الميزان

و كفة ميزان كل أحد بقدر أعماله و أفعاله و بحسبها يكون ثقلها و خفتها- فكل ذكر و قول يدخل في الميزان إلا قول لا إله إلا الله لأن كل عمل له مقابل في عالم التضاد و ليس للتوحيد مقابل إلا الشرك و هما لا يجتمعان في ميزان واحد لأن اليقين الدائم كما لا يجامع ضده كذلك لا يتعاقبان على موضوع واحد فليست للكلمة ما يقابلها و يعادلها في الكفة الأخرى فلا يرجح عليها شيء بالضرورة كما يدل عليه حديث صاحب السجلات و أما المشركون فلا ميزان لهم في ذلك اليوم لأن أعمال خيرهم محبوطة و لذا قال تعالى **فَلاٰ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ وَزْناً** و ضرب بسور يسمى الأعراف بين الجنة و النار و جعل مكانا لمن اعتدلت كفتا ميزانه و وقعت الحفظة بأيديهم الكتب التي كتبوها في الدنيا من أفعال المكلفين و أقوالهم ليس فيها شيء من الاعتقادات القلبية و لهذا قال سبحانه **وَ كُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ** و لم يقل علموه فعلقوها في أعناقهم و أيديهم كما في قوله **وَ كُلَّ إِنسٰانٍ أَلْزَمْنٰاهُ طٰائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ كِتٰاباً يَلْقٰاهُ مَنْشُوراً اقْرَأْ كِتٰابَكَ كَفىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً** و قال **وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مٰا عَمِلَتْ** و هو أعلم بما يعملون فمنهم من أخذ كتابه بيمينه و منهم من أخذه بشماله و منهم من أخذه وراء ظهره و هم الذين نبذوا الكتاب في الدنيا وراء ظهورهم و اشتروا به ثمنا قليلا و ليس أولئك إلا أئمة الضلال و يأتي مع كل إنسان قرينه من الملائكة و الشياطين لقوله تعالى **وَ جٰاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهٰا سٰائِقٌ وَ شَهِيدٌ**

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۱۱

لأن كل نفس لها قوى محركة و أخرى مدركة فمبدأ قواها المحركة هو المسمى بالسائق سواء كان ملكا أو شيطانا و مبدأ قواها المدركة هو المسمى بالشهيد كذلك قوله تعالى **إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيٰانِ عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمٰالِ قَعِيدٌ مٰا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّٰ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**

[حمل الملائكة عرش الحق تعالى و احتفافهم حوله]

ثم يأتي الله عز و جل على عرشه و الملائكة تحمل ذلك العرش فيضعونه في تلك الأرض المشرقة بنور ربها لقوله **وَ تَرَى الْمَلاٰئِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ** و قضى بينهم بالحق و الجنة عن يمين العرش و النار من الجانب الآخر و تأتي ملائكة السماوات ملائكة كل سماء على حدة في صف متميزة عن ملائكة سماء أخرى- و عن غيرهم فيكون سبعة صفوف و الروح الأعظم قائم مقدم الجماعة ثم يجاء بالكتب و الصحف المنزلة على الأنبياء و يوضع هناك كما قال تعالى **وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهٰا وَ وُضِعَ الْكِتٰابُ وَ جِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَ الشُّهَدٰاءِ وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ** و يجتمع كل أمه برسولها من آمن منهم و من كفر و يحشر الأفراد و الأنبياء من غير رسالة بمعزل من

الناس بخلاف الرسل فإنهم أصحاب العساكر فلهم مقام يخصهم دون غيرهم من الأنبياء و الأولياء ع و قد غلبت في ذلك اليوم الهيبة الإلهية و غلبت على قلوب أهل الموقف من إنسان و ملك و جن فلا يتكلمون إلا همسا و يرفع الحجب بين الله و بين عباده و هو معنى كشف الساق

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۱۲

قوله تعالى **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ وَ يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ** فلا يبقى أحد على أي دين كان إلا يسجد السجود المعهود و من سجد اتقاء أو رياء خر على قفاه و بهذه السجدة يرجح ميزان أصحاب الأعراف لا لأنها سجدة تكليف كما ظن لأن دار التكليف هي الدنيا لا غير بل لأنها سجدة ذاتية صدرت عن فطرة من غير رياء و غرض و قد مر أن جانب الرحمة أرجح إذا بقي القابل على فطرته الذاتية و مرتبة إمكانه الذاتي من غير انحراف عن سنن الحق و لا تغير في خلق الله إلا على سبيل الاستكمال فيه و يحضر الجحيم في العرصات على صورة بعير غضبان و جيء يومئذ بجهنم ليتذكر الإنسان- و يشاهدها أهل الموقف بالعيان **وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرىٰ** فيطلع الخلائق من هول مشاهدتها على فنائهم و يفزعون إلى الله و لو لا أن حبسها الله برحمته لأحرقت السماوات و الأرض و الموت لكونه عبارة عن هلاك الخلق بأحد طرفي التضاد يقام بين الجنة و هي دار الحياة و النار و هي دار الهلاك و البوار في صورة كبش أملح و يذبح بشفرة يحيى- و هو اسم لصورة الحياة الباقية في المستقبل بأمر جبرئيل مبدأ الحياة و يحيى الأشباح بالأرواح بإذن الله ليظهر حقيقة البقاء الأبد بموت الموت و حياة الحياة- و ينادي منادي الحق يا أهل الجنة خلود بلا موت و يا أهل النار خلود بلا موت و إن كانت حياتهم ممزوجة بالموت لقوله تعالى **لاٰ يَمُوتُ فِيهٰا وَ لاٰ يَحْيىٰ*** و ليس في النار في ذلك الوقت إلا أهل النار الذين هم أهلها و ذلك يوم الحسرة لأنه حسر أي ظهر للجميع صفة خلودهم الدائم لكل طائفة فيما هي من أهلها من الدار فأما أهل الجنة إذا رأوا الموت سروا سرورا عظيما فيقولون بارك الله لنا فيك لقد خلصتنا من دار الدنيا الفانية و كنت خير وارد علينا و خير تحفة أهدانا الله سبحانه

لقول النبي ص: الموت تحفة المؤمن

و أما أهل النار و هم أهل الدنيا خاصة إذا أبصروه يفزعون و يقولون لقد كنت شر وارد علينا حلت بيننا و بين ما كنا فيه من الخير و الدعة ثم يقولون له عسى

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۱۳

أن تميتنا فنستريح مما نحن فيه من المصيبة و العذاب ثم يغلق أبواب النار غلقا لا فتح بعده و تطبق على أهلها و يدخل بعضها على بعض ليعظم الضغاط فيها على أهلها- و يرجع أسفلها أعلاها و أعلاها أسفلها و يرى الناس و الشياطين فيها كقطع اللحم في القدر إذا كانت تحتها النار العظيمة تغلي كغلي الحميم فتدور بمن فيها علوا و سفلا **كُلَّمٰا خَبَتْ زِدْنٰاهُمْ سَعِيراً** بتبديل الجلود و تشاهد يومئذ نار جهنم و يرى بعين اليقين كما قال تعالى **ثُمَّ لَتَرَوُنَّهٰا عَيْنَ الْيَقِينِ** و إن وقودها الناس و الحجارة أي من حدود الإنسانية إلى حدود الجمادية داخلة في وقودها و هي نار يأكل بعضها بعضا و يصول بعضها على بعض و هي نار تذر العظام رميما و هذه النار غير النار التي تطلع على الأفئدة فإن هذه قد تخبو و ذلك بالنوم الذي قد يقع لأهل العذاب فيخفف عنهم به الآلام التي هم فيها- لكنه بحيث يشير إليه قوله تعالى

كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً و الآية تدل على أنها نار محسوسة لقبولها الزيادة و النقصان فإن النار الحقيقية لا تقبل هذا الوصف و يحتمل أن يكون المراد كلما خبت النار المتسلطة على أجسادهم بنوم و شبهه زدناهم سعيرا بانتقال العذاب إلى بواطنهم و هو التفكر في الفضيحة و الهول يوم القيامة و هو أشد من العذاب الجسماني

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۱۴

و اعلم أن في القيامة مواقف و مقامات

مثل الصراط و العرض و أخذ الكتب و وضع الموازين و الأعراف و أبواب الجنة و أبواب النار.

و أما العرض

فهو مثل عرض الجيش ليعرف أعمالهم في الموقف و هو مجمع الخلائق لأن حجب الأزمنة و تغاير الأمكنة مرتفعة في ذلك العالم فالجميع مع اختلاف أزمنتهم و أمكنتهم في الدنيا حاضرون هناك في عرصة واحدة في يوم واحد **قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ**

: و سئل ص عن قوله تعالى فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً فقال ذلك هو العرض

فإن من نوقش في الحساب عذب و كما يعرف الأجناد عند عرض الجيش بزيهم و لباسهم فيعرف الناس هناك بوجوههم و سيماهم و على صور نياتهم و أخلاقهم كما مر تحقيقه- ف**يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَ الْأَقْدَامِ** كحال الأسارى و الدواب هاهنا.

و أما الكتب

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً وَ يَنْقَلِبُ إِلى أَهْلِهِ مَسْرُوراً و هو المؤمن السعيد لأن كتاب نفسه من جنس الألواح العالية- و الصحف المكرمة المرفوعة و أما من أوتي كتابه بشماله و هو المنافق الشقي لأن كتابه من جنس الصحائف السفلية و الكتب الحسية المغلوطة القابلة للإحراق كما قال تعالى **إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ** و أما الكافر فلا كتاب له و المنافق لمكنة استعداده سئل عنه الإيمان و ما قبل منه الإسلام كما قبل من عوام أهل الإسلام و يقال في حقه **إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ** و يدخل فيه المعطل و المشرك و الجاحد المتكبر على الله و يكون المنافق في باطنه واحدا من هذه الثلاثة و لا ينفع له صورة الإسلام- كما ينفع للضعفاء و العوام لما ذكرناه **وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ** فهم الذين أوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم و اشتروا به ثمنا قليلا فإذا كان يوم القيامة قيل

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۱۵

له خذ من وراء ظهرك أي من حيث نبذته فيه في حياتك الدنيا كما في قوله تعالى **قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً** و هو كتابه المنزل عليه بواسطة الرسول لا كتاب الأعمال- فإنه حين نبذه وراء ظهره ظن أن لن يحور أي جزم.

و أما الموازين

فقد مر بيانها على قدر ما تيسر لنا في حقيقة معناها.

و أما الصراط

فقد علمت أنه طريق الجنة و أنه يتسع في حق البعض و يضيق في حق البعض و هو هاهنا معنى و في الآخرة له صورة محسوسة و الناس بعضهم سائرون على الصراط المستقيم و بعضهم منحرفون عنه إلى طريق الجحيم قال تعالى **وَ أَنَّ هٰذٰا صِرٰاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لاٰ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ** و لما تلا رسول الله ص هذه الآية خط خطا و خط عن جنبيه خطوطا أخرى فالمستقيم هو صراط التوحيد- الذي سلكه جميع الأنبياء و أتباعهم و المعوجة هي طرق أهل الضلال و توابع الشيطان- و المنافق لا قدم له على صراط التوحيد و له قدم على صراط الوجود و المعطل لا قدم له على صراط الوجود أيضا بحسب ما هو إنسان و إنما له قدم عليه بما هو حيوان و دابة لقوله تعالى **مٰا مِنْ دَابَّةٍ إِلاّٰ هُوَ آخِذٌ بِنٰاصِيَتِهٰا** و الموحد و إن كان فاسقا لا يخلد في النار بل يمسك على الصراط و يسأل و يعذب هناك و هو على متن جهنم غائب فيها- و الكلاليب التي فيه تمسكهم عليه و لما كان الصراط في النار و ما ثم طريق إلى الجنة إلا عليه قال تعالى **وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلاّٰ وٰارِدُهٰا كٰانَ عَلىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا** و هذه الكلاليب و الخطاطيف كما ورد في الحديث هي صورة تعلقات الإنسان بالدنيا و القيود الدنيوية المانعة لسلوك طريق الحق تمسكهم يوم القيامة على الصراط فلا ينهضون إلى الجنة و لا يقعون أيضا في النار لأجل قوة الإيمان و نور التوحيد حتى يدركهم الشفاعة لمن أذن له الرحمن فمن تجاوز هاهنا تجاوز الله عنه و من أنظر معسرا أنظره الله و من عفا عن أخيه عفا الله عنه و من استقضى حقه هاهنا من غير تسامح استقضى الله حقه هناك

الحكمة المتعالية فی الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۱۶

و من شدد على هذه الأمة شدد الله عليه كما ورد في الحديث إنما هي أعمالكم ترد عليكم- فالتزموا مكارم الأخلاق فإن الله يعاملكم بما عاملتم به عباده.

و أما الأعراف

فهو سور بين الجنة و النار له باب باطنة و هو ما يلي الجنة فيه الرحمة و ظاهرة و هو ما يلي النار من قبله العذاب يكون عليه من تساوت كفتا ميزانه- فهم ينظرون بعين إلى الجنة و بعين أخرى إلى النار و ما لهم رجحان بما يدخلهم الله أحد الدارين قال تعالى **وَ عَلَى الْأَعْرٰافِ رِجٰالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمٰاهُمْ** الآيات و قد قيل للأعراف و أصحابه معنى آخر و هو أيضا يقرب من هذا المعنى عند التأمل فإن أحوال العرفاء الكاملين ما داموا في هذه الحياة الطبيعية يشبه حال قوم في الآخرة استوت حسناتهم و سيئاتهم فإنهم من جهة علمهم و عرفانهم و رقة حجابهم البدني كادوا أن يكونوا في نعيم الجنة و من جهة كثافة أجسادهم المادية و بقاء حياتهم الدنيوية منعوا عن تمام الوصول و كمال الروح فلهم حالة متوسطة و لكنهم بحسب جوهر ذاتهم و مرتبة نفوسهم العالية في مكان عال مرتفع و الأعراف في اللغة جمع عرف بمعنى مكان عال مرتفع- لأنه بسبب ارتفاعه يصير أعرف مما انخفض منه و منه يقال عرف الفرس و عرف الديك.

و للمفسرين في معنى الأعراف قولان الأول و هو الذي عليه الأكثرون أن المراد منه أعلى ذلك السور المضروب بين الجنة و النار و هو المروي عن ابن عباس و روي عنه أيضا أنه قال الأعراف شرف الصراط.

و الثاني عن الحسن و الزجاج أن قوله تعالى **وَ عَلَى الْأَعْرٰافِ** أي على معرفة أهل الجنة و أهل النار رجال يعرفون كلا من أهل الجنة و أهل النار بسيماهم- فقيل للحسن هم قوم استوت حسناتهم و سيئاتهم فضرب على خده ثم قال هم قوم جعلهم الله على تعرف أهل الجنة و أهل النار يميزون البعض عن البعض و الله لا أدري لعل بعضهم معنا.

و أما القائلون بالقول الأول فقد اختلفوا في أن الذين هم على الأعراف من هم على أقوال أحدها أنهم الأشراف و أهل الطاعة من الناس و ثانيها أنهم الملائكة

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۱۷

يعرفون أهل الدارين و ثالثها أنهم الأنبياء ع أجلسهم الله على ذلك السور تمييزا لهم عن سائر أهل الموقف و ليكونوا مطلعين على أهل الجنة و أهل النار و مقادير ثوابهم و عقابهم و رابعها أنهم أقوام يكونون في الدرجة السافلة من أهل الثواب- و خامسها أنهم هم الشهداء و هذا الوجه باطل لأنه تعالى خص أهل الأعراف بأنهم يعرفون كلا من السعداء و الأشقياء و الشهيد لا يلزم أن يكون عارفا بهذا العرفان و لو كان المراد أنهم يعرفون أهل الجنة يكون وجوههم ضاحكة مستبشرة و أهل النار بسواد وجوههم و زرقة عيونهم لما بقي لأهل الأعراف اختصاص بهذه المعرفة لأن جميع الخلق في القيامة يعرفون هذه الأحوال و لما بطل هذا الوجه و الذي قبله لأن أهل السفالة- أنزل حالا من أن يكونوا من أهل المعرفة و كذا الوجه الثاني لأنه تعالى وصفهم بكونهم رجلا و الوصف بالرجولية أنما يحسن في الموضع الذي يحصل فيه التقابل بينها و بين الأنوثية و الملائكة ليسوا كذلك فثبت أن المراد بقوله تعالى **يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيماهُمْ** هو أنهم كانوا يعرفون في الدنيا أهل الخير و الإيمان و أهل الشر و الطغيان فهو تعالى أجلسهم على الأعراف و هي الأمكنة العالية الرفيعة بحسب مقامهم و مرتبتهم ليكونوا مطلعين على الكل شاهدين على كل أحد من الفريقين بما يليق به و يعرفون أن أهل الثواب وصلوا إلى الدرجات و أهل العقاب إلى الدركات.

لا يقال إن هذا الوجه غير صحيح أيضا لأنه تعالى وصفهم أنهم لم يدخلوها أي الجنة و هم يطمعون في دخولها و هذا الوجه لا يليق بالأنبياء و من يجري مجراهم.

لأنا نقول كونهم غير داخلين في الجنة في أول الأمر لا يقدح في كمال شرفهم و علو درجتهم و أما قوله **وَ هُمْ يَطْمَعُونَ** فالمراد من هذا الطمع اليقين أ لا ترى أن الله تعالى قال حكاية عن الخليل ع **وَ الَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ** و لا شك أن ذلك الطمع يقين فكذا هاهنا و بالجملة وصفه تعالى أهل الأعراف بما وصفه من كونهم جالسين على مكان عال رفيع و كونهم عارفين كلا من الفريقين بسيماهم

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۱۸

يدل على تشريف عظيم لهم و مثل هذا التشريف لا يليق إلا بالإشراف دون من استوت حسناته مع سيئاته فظهر أن الأولى و الأرجح هو القول الثاني و يؤكده

ما رواه الشيخ محمد بن يعقوب الكليني عن أبي عبد الله ع: أنه جاء ابن الكواء إلى علي ع و سأله عن قوله تعالى عَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيماهُمْ فقال ع و نحن على الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم و نحن الأعراف الذي لا يعرف الله عز و جل- إلا بسبيل معرفتنا فلا يدخل الجنة إلا من عرفناه و لا يدخل النار إلا من أنكرناه

فهذه جملة من أحوال يوم القيامة.

و قد ورد من الأخبار في ذلك اليوم ما ورد و دونوا في الكتب ما دونوا و نحن أوضحنا بعضا منها بحسب ما تبلغ إليه

طاقتنا و يناله جهدنا و مفتاح هذه المعارف معرفة النفس لأنها المنشئة و الموضوعة لأمور الآخرة و هي بالحقيقة الصراط و الكتاب و الميزان- و الأعراف و الجنة و النار كما وقعت الإشارة إليه في أحاديث أئمتنا ع.

فقد روى ابن بابويه في كتاب معاني الأخبار و كتاب التوحيد عن أبي عبد الله ع: أنه سئل عن معنى الصراط المستقيم قال هو أمير المؤمنين ع

و روي عن سيد العابدين علي بن الحسين ع أنه قال: نحن أبواب الله و نحن الصراط المستقيم

و عن جعفر بن محمد ع قال: قول الله عز و جل **صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** يعني محمدا و ذريته

و عن هشام بن سالم قال: سألت أبا عبد الله ع عن قول الله **وَ نَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً** قال هم الأنبياء و الأوصياء

و المراد بالكتاب في قوله

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج‏۹، ص ۳۱۹

تعالى **إِنَّ كِتابَ الْأَبْرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ** و **إِنَّ كِتابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ** هو نفوس الأبرار و نفوس الفجار كما سبق.

و مما دل عليه أيضا

قول أمير المؤمنين ع:

و أنت الكتاب المبين الذي بآياته يظهر المضمر

و قوله

دواؤك فيك و لا تشعر و داؤك منك و لا تبصر

دال على أن محل نعيم الجنة و لذاتها و عذاب النار و عقوباتها إنما هي النفس الإنسانية

فصل (٣٤) في بيان ماهية الجنة و النار

أما الجنة

فهي كما دل عليه الكتاب و السنة مطابقا للبرهان و الكشف دار البقاء- و دار السلام لا موت فيها و لا هرم و لا سقم و لا غم و لا هم و لا دثور و لا زوال و هي دار المقامة و الكرامة لا يمس أهلها فيها نصب و لا لغوب لهم فيها ما تشتهي الأنفس و تلذ الأعين و هم فيها خالدون و إنها دار أهلها جيران الله و أولياؤه و أحباؤه و أهل كرامته و إنهم على مراتب متفاضلة منهم المتنعمون بتسبيح الله و تقديسه و تكبيره في جملة ملائكته المقربين و منهم المنعمون باللذات المحسوسة كأنواع المآكل و المشارب و الفواكه و الأرائك و نكاح حور العين و استخدام الولدان المخلدين و الجلوس على النمارق و الزرابي و لبس السندس و الحرير و الإستبرق و كل منهم إنما يتلذذ بما يشتهي و يريد على حسب ما تعلقت به همته و بالجملة مبادي الأكوان في عالم الجنان

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج‏۹، ص ۳۲۰

إنما هي الأمور الإدراكية و الجهات الفاعلية و لا دخل للمواد و الأسباب القابلية- لأن وجود الأشياء هناك وجود صوري من غير مادة و لا حركة و لا انفعال و تجدد و انتقال- و أما النار فهي دار أهلها في هوان و أسقام و أحزان و آلام و جوع و عطش و تجدد- عذاب و تبدل جلود لا يموتون فيها و لا يحيون و لا يقضى عليهم فيموتوا و لا يخفف عنهم من عذابها و أهل النار حقا هم المشركون و الكفار وجوههم مسودة و أما المذنبون من أهل التوحيد فإنهم يخرجون منها بالرحمة التي تدركهم و الشفاعة التي تنالهم- و في الرواية التي عن أئمتنا ع أنه لا يصيب أحدا من أهل التوحيد ألم في النار إذا دخلوا و إنما يصيبهم الله الآلام عند الخروج منها فتكون تلك الآلام جزاء بما كسبت أيديهم و ما الله بظلام للعبيد و هذه الرواية مطابقة لأصولنا العقلية لأن العارف بالتوحيد يكون نفسه منورة بنور الحق و اليقين مرتفعة عن العالم الأسفل إلى مقام العلويين و النار لا يدخل في محل المعرفة و الإيمان و إنما سلطانها على الجلود و الأبدان

كما ورد في الحديث: النار لا تأكل محل الإيمان

فأهل النار بالحقيقة هم المشركون و الكفار **لاٰ يَذُوقُونَ فِيهٰا بَرْداً وَ لاٰ شَرٰاباً إِلاّٰ حَمِيماً وَ غَسّٰاقاً** و إن استطعموا أطعموا من الزقوم و إن استغاثوا أغيثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب و ساءت مرتفقا ينادون من مكان بعيد ثم قيل لهم اخسئوا و لا تكلمون و نادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون.

و مما يجب أن تعلم أن الجنة التي خرج منها أبونا آدم و زوجته لأجل

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۲۱

خطيئتهما و هي جنة الأرواح المسماة عند أهل المعرفة و الشريعة موطن العهد و منشأ أخذ الذرية هي غير الجنة التي وعد المتقون و هي جنة البرزخ لأن هذه لا يكون لكل أحد إلا بعد انقضاء حياته الدنيوية بموته و للكل إلا بعد خراب الدنيا و بوار السماوات و الأرض و انتهاء الحركات و بلوغ الغايات و إن كانتا متفقتين في الحقيقة و المرتبة الوجودية لكونهما جميعا دار الحياة الذاتية و الوجود الإدراكي الصوري من غير تجدد و لا دثور و لا انقطاع و لا تضاد و لا تزاحم و بيان ذلك أن المبادي الوجودية و الغايات متحاذية متعاكسة في الترتيب و أن الموت كما علمت ابتداء حركة الرجوع للنفوس الآدمية إلى الله تعالى كما أن الحياة الطبيعية انتهاء حركة النزول لها من عنده و قد شبهت الحكماء و العرفاء هاتين السلسلتين النزولية و الصعودية بالقوسين من الدائرة إشعارا بأن الحركة الثانية الرجوعية انعطافية غير مارة على الأولى- و أن لكل درجة من درجات القوس الصعودية بإزاء مقابلتها من القوس النزولية لا عينها- و إن كانتا من جنس واحد فإذا علمت هذا فاعلم أيضا أن الجنة جنتان جنة محسوسة و جنة معقولة كما قال سبحانه **وَ لِمَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ جَنَّتٰانِ** و قوله تعالى **فِيهِمٰا مِنْ كُلِّ فٰاكِهَةٍ زَوْجٰانِ** و قد علمت في الفن الكلي إثبات العالم العقلي المشتمل

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۲۲

على الصور العقلية و المثل النورية المطابقة لجميع الأنوار الخارجية و كذا علمت إثبات العالم الصوري الحسي المشتمل على الصور الحسية المجردة عن المادة الكائنة الفاسدة الموضوعة في الجهات فالجنة المحسوسة لأصحاب اليمين و المعقولة للمقربين و هم العليون- و كذا النار ناران نار محسوسة و نار معنوية فالمحسوسة للكفار و المعنوية للمنافقين المتكبرين- المحسوسة للأبدان و المعنوية للقلوب و كل من الجنة و النار المحسوستين عالم مقداري- إحداهما صورة

رحمة الله و الأخرى صورة غضبه لقوله تعالى **وَ مَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوىٰ** و كما أن الرحمة ذاتية و الغضب عارض كما يعلم بالبرهان و يدل عليه قوله-

: سبقت رحمتي غضبي

و قوله **وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** فكذلك خلق الجنة بالذات و خلق النار بالعرض و تحت هذا سر و قد علمت أن ليس للآخرة مكان في هذا العالم لا في علوه و لا في سفله لأن جميع ما في أمكنة هذا العالم متجددة داثرة مستحيلة فانية- و كل ما هو كذلك فهو من الدنيا و الآخرة عقبى الدار ليست دار البوار و هي في داخل هذا العالم و في باطن حجب السماوات و الأرض و منزلتها من الدنيا منزلة الجنين من رحم الأم كما مر و لكن لكل من الجنة و النار مظاهر و مرائي في هذا العالم بحسب رقائقها و نشئاتها الجزئية.

و على ذلك تحمل الأخبار الواردة في تعيين بعض الأمكنة لأحدهما كما وقع في

قوله ص: ما بين قبري و منبري روضة من رياض الجنة

و قوله: قبر المؤمن روضة من رياض الجنة و قبر المنافق حفرة من حفر النيران

و ما روي: أن في جبل أروند عينا من عيون الجنة

. و روي عن أبي جعفر ع: أن لله جنة خلقها في المغرب و ماء فراتكم هذه يخرج منها و إليها يخرج أرواح المؤمنين من حفرهم عند كل مساء و صباح فتسقط على

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج‏۹، ص ۳۲۳

أثمارها و تأكل منها و تتنعم فيها و تتلاقى و تتعارف فإذا طلع الفجر هاجت من الجنة- فكانت في الهواء فيما بين الأرض و السماء تطير ذاهبة و جائية و تعهد حفرها إذا طلعت الشمس- و إن لله نارا في المشرق خلقها ليسكنها أرواح الكفار و يأكلون من زقومها و يشربون من حميمها ليلهم فإذا طلع الفجر هاجت إلى واد باليمين يقال له برهوت أشد حرا من نيران الدنيا كانوا فيها يتلاقون و يتعارفون و إذا كان المساء عادوا إلى النار فهم كذلك إلى يوم القيامة

و روي أيضا في كتاب الكافي عن أبي بصير: قال قلت لأبي عبد الله ع إنا

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج‏۹، ص ۳۲۴

نتحدث عن أرواح المؤمنين أنها في حواصل طير خضر ترعى في الجنة و تأوي إلى قناديل تحت العرش فقال ع لا إذن ما في حواصل طير قلت فأين هي قال في روضة كهيئة الأجساد في الجنة

و فيه أيضا عن أبي عبد الله ع قال قال رسول الله ص: شر اليهود يهود بنان- و شر النصارى نصارى نجران و شر ماء على وجه الأرض ماء برهوت و هو واد بحضرموت ترد عليه هام الكفار و صداهم

. و في كثير من الأخبار ما يدل على أن الجنة في السماء قال مجاهد في قوله تعالى **وَ فِي السَّمٰاءِ رِزْقُكُمْ وَ مٰا تُوعَدُونَ** هو الجنة و النار و مثله عن الضحاك و يروى عن عبد الله بن سلام أنه قال إن أكرم خلق الله أبو القاسم ص و قال إن الجنة في السماء و أما أنها في أي سماء فالمشهور أنها في السماء السابعة و هو المروي عن ابن عباس قال مجاهد قلت

لابن العباس أين الجنة فقال فوق سبع سماوات قلت فأين النار قال تحت أبحر مطبقة- و يدل على هذا ما روي في حديث المعراج الثابت في صحاحهم أن السدرة في السماء السابعة إذ نزل في الكتاب المجيد **وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهىٰ عِنْدَهٰا جَنَّةُ الْمَأْوىٰ** و روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال الجنة في السماء الرابعة فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث يشاء و روي عن عبد الله بن عمر أنه قال الجنة مطوية معلقة بقرون الشمس تنشر في كل عام مرة و إن أرواح المؤمنين في طيور كالزرازير يتعارفون من ثمر الجنة

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۲۵

و يقرب من هذا كلام بعض القدماء من أهل الحكمة إن الأرواح تهبط إلى هذا العالم من أشعة الشمس و في بعض الأخبار ما يدل على أنها في السماء الدنيا و ذلك ما يروى في حديث المعراج أنه ص رأى في السماء الدنيا آدم أبا البشر و كان عن يمينه باب يأتي من قبله ريح طيبة و عن شماله ريح منتنة فأخبره جبرئيل ع أن أحدهما هو الجنة و الآخر هو النار.

و في بعض الأخبار ما يدل على أنها في بعض أودية الأرض و ذلك ما يروى أيضا في حديث المعراج أنه بلغ ص قبل انتهائه إلى بيت المقدس واديا باردة طيبة و سمع صوتا فقال جبرئيل هذا صوت الجنة يقول كذا.

و من الأخبار ما يدل على أن للنار و الجنة كينونة في الأرض في بعض الأوقات- كما روي في حديث صلاة الكسوف إذ روي

أنه قال ص: ما من شيء توعدونه إلا و قد رأيته في صلاتي هذه لقد جيء بالنار و ذلك حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصيبني من فوحها إلى أن قال ثم جيء بالجنة و ذلكم حين رأيتموني تقدمت حتى قمت في مقامي و لقد مددت يدي و أنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه ثم بدا لي أن لا أفعل هذا الحديث مما رواه مسلم في كتابه

. و حكى بعضهم أنه لما رأى ص جهنم و هو في صلاة الكسوف جعل يتقي حرها عن وجهه بيده و ثوبه و يتأخر عن مكانه و يتضرع و يقول ألم تعدني يا رب أنك لا تعذبهم و أنا فيهم ألم ألم حتى حجبت عنه أراد قوله **وَ مٰا كٰانَ اللّٰهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَ مٰا كٰانَ اللّٰهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**.

و روي أيضا: أنه ص صلى يوما الصلاة ثم رقى المنبر فأشار بيده قبلة المسجد فقال قد رأيت الآن مذ صليت لكم الصلاة الجنة و النار ممثلتين من قبل هذا الجدار فلم أر كاليوم في الخير و الشر رواه البخاري

و أما النار

فالمشهور في ألسنة الجمهور أنها في الأرض السابعة.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۲۶

و من الأخبار ما يدل على أنها في السماء كما نقلنا روايته عن مجاهد و الضحاك في تفسير قوله تعالى **وَ فِي السَّمٰاءِ رِزْقُكُمْ وَ مٰا تُوعَدُونَ** و كما روي في حديث المعراج أنه ص رأى في السماء الدنيا مالكا خازن النار و فتح له طريقا من طرق النار لينظر إليها- حتى ارتقى إليه من دخانها و شررها و ما عن يساره من الباب.

و من الأخبار ما يدل على أنها في البحر منها

ما روي عن أمير المؤمنين ع: أنه سأل يهوديا أين موضع النار في كتابكم قال في البحر قال ع ما أراه إلا صادقا لقوله تعالى وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ

و يروى أيضا في التفاسير أن البحر المسجور هو النار.

و منها ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده عن رسول الله ص أنه قال: البحر هو جهنم

و منها ما يروى عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ص: لا يركبن رجل بحرا إلا غازيا أو معتمرا فإن تحت البحر نارا أو تحت النار بحرا

و منها ما أوردها الثعلبي في تفسيره عن رسول الله ص: إنه قال البحر نار في نار

و منها ما مر ذكره نقلا عن مجاهد عن ابن عباس إن النار تحت بحر اسمه قيس- و من ورائه بحر اسمه الأصم و من ورائه بحر اسمه مطبقة و من ورائه بحر اسمه مرماس و من ورائه بحر اسمه الساكن و من ورائه بحر اسمه الباكي و هو آخر البحار محيط بالكل- و كل واحد من هذه البحار محيط بالذي تقدمه و منها ما روي عن بعض السلف في قوله تعالى يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذٰابِ وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكٰافِرِينَ قال إن جهنم هو البحر و هو محيط بهم ينثر فيه الكواكب ثم تستوقد و يكون هو جهنم و منها ما يروى عن الضحاك في قوله تعالى أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نٰاراً هي في حالة

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۲۷

واحدة في الدنيا يغرقون من جانب و يحترقون من جانب و مثله ما سبق نقله عن سقراط الحكيم إن مرتكب الكبائر يلقى في طرطاووس و قال المترجم طرطاووس شق كبير و أهوية تسيل إليه الأنهار و يعني به البحر أو قاموسا فيه دردور.

و من الأخبار ما يدل على أن النار في هذه الأرض بعينها كحديث الوادي الذي ذكرناه من قبل.

و منها ما يدل على أن بعض جهنم في الأرض كما روي عن قتادة في قوله تعالى- أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيٰانَهُ عَلىٰ شَفٰا جُرُفٍ هٰارٍ فَانْهٰارَ بِهِ فِي نٰارِ جَهَنَّمَ قال و الله ما تناهر إن وقع في النار و روي عن جابر بن عبد الله قال رأيت الدخان يخرج من أرض ضرارة و يقال إن حضرموت بقعة منها و يقرب من هذا حديث وادي برهوت المروي عن

أمير المؤمنين ع قال: أبغض البقاع إلى الله تعالى وادي برهوت فيه أرواح الكفار و فيه بئر ماء أسود منتن- يأوي إليه أرواح الكفار

و ذكر رجل أنه بات في وادي برهوت فسمع طول الليل يا دومة- فذكر ذلك لرجل من أهل العلم فقال الملك الموكل بأرواح الكفار اسمه دومة.

و حكى الأصمعي عن رجل عن حضرموت أنه قال تجد من ناحية برهوت- رائحة فظيعة منتنة جدا فيأتينا بعد ذلك خبر موت عظيم من عظماء الكفار و بعض هذه الأخبار و إن كانت في أرواح الكفار من غير تعرض بذكر النار إلا إنا متى ضممناها إلى أخبار أخرى و إلى قوله النّٰارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهٰا غُدُوًّا وَ عَشِيًّا وَ يَوْمَ تَقُومُ السّٰاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذٰابِ استصحب في حكم النار على وجه أظهر.

تنبيه:

هذه الأخبار و الروايات و إن كانت ظواهرها متناقضة على أرباب العلوم الرسمية لكن بواطنها متوافقة عند العرفاء المحققين لابتناء علومهم و معارفهم على أصول صحيحة برهانية و مقدمات جلية كشفية لا يشكون فيها- و يشكون في الشمس رابعة النهار بخلاف غيرهم من أصحاب البحث و الجدال و أرباب الرواية من غير دراية و حال فإنهم حيث لم يأتوا البيوت من أبوابها تناقضت عليهم الأحكام- و تفاسدت عندهم مقاصد الحديث و الكلام و بالجملة قد علمت أن الجنة و النار في نشأة أخرى

الحكمة المتعالية فی الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۲۸

و عالم آخر موجوداته أمور صورية بلا مادة و انفعال و حركة و الدنيا و كل ما فيها أمور كائنة فاسدة متجددة داثرة زائلة ذات أوضاع و جهات مكانية فكل خبر يذكر فيه أن الجنة أو النار في مكان من أمكنة الدنيا و موضع من مواضع هذا العالم فإما أن يكون المراد باطن ذلك المكان كقولهم إن الجنة في السماء السابعة و إن النار تحت السماء ليس المراد به أن الجنة داخلة في جسمية السماء دخولا وضعيا بل دخولا معنويا كدخول النفس في البدن و كذا حكم النار و قد علمت أن منزلة الجنة و النار من هذا العالم منزلة الجنين من الرحم فما لم تبطل الدنيا لم ينكشف الأخرى و ما لم ينهدم بناء الظاهر لم يعمر بناء الباطن و إما أن يكون المراد منها حكم المظاهر الرقائق و النشئات النسبية للجنة و النار أ لا ترى أن المرآة مظهر للصور الحسية- و ليست الصورة موجودة فيها فكذلك بعض مواضع الدنيا مظهر للجنة و النار فكما أن ما بين قبر الرسول ص و منبره روضة من رياض الجنة أي مظهر يظهر بها لمن كان من أهل الكشف و الشهود روضة من أهل الجنة كمرآة تشاهد النفس بها صورة من الصور المحسوسة- التي قابلتها فكذلك بعض المواضع المذكورة بمنزلة المرائي المنكشفة بها أحوال الجنة أو النار كجدار مسجد الرسول ص الذي تمثل له الجنة و النار و كماء الفرات و عين في جبل أروند و كوادي برهوت و غير ذلك من مواضع الأرض و كذلك البحر الواقع في حديث لا يركبن رجل بحرا فالمراد بكون الجنة أو النار في هذه المواضع أنها صارت مجالي و مظاهر ينكشف بها مثال أحدهما و أما ما يروى من قول أمير المؤمنين ع مع اليهودي و تصديقه ع إياه في أن موضع النار في البحر فليس المراد من البحر هذا البحر المحسوس بل شيء آخر معنوي غير محسوس بهذه الحواس المشار إليه في قوله تعالى **وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ** و كذا المنقول عن ابن عباس و كعب الأحبار من أن النار سبعة أبحر أو تحت سبعة أبحر ليس المراد منه بحار الدنيا و إنما المراد منها طبقات عالم الطبيعة بحسب الجوهر و الحقيقة فإن الطبيعة في الحقيقة نار غير محسوسة محرقة للأجسام مذيبة للأبدان محللة مبدلة للجلود

الحكمة المتعالية فی الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۲۹

فصل (۳۵) في الإشارة إلى مظاهر الجنة و النار و مشاهدهما

اعلم أن لكل ماهية من الماهيات الحقيقية و معنى من المعاني الأصولية حقيقة كلية- و مثلا جزئية و مظاهر جسمانية في هذا العالم فالإنسان مثلا له حقيقة كلية هي الإنسان العقلي الجامع لجميع رقائقه و خصوصياته على وجه أعلى و أشرف و هو الروح المنسوب إلى الله في قوله تعالى **وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي** و له أمثلة جزئية كزيد و عمرو له مظاهر و مشاهد كالمرايا و الأجسام الصقيلة فكذلك للجنة حقيقة كلية هي روح العالم- و مظهر اسم الرحمن كما في قوله **يَوْمَ**

نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمٰنِ وَفْداً و لها مثال كلي كالعرش الأعظم مستوى الرحمن لقوله الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ و أمثلة جزئية كقلوب المؤمنين قلب المؤمن عرش الله و لها مظاهر حسية كما وقع في الأخبار المذكورة من عين أروند و غيرها و كذا النار لها حقيقة كلية جامعة لأفرادها و هي البعد عن جوار الله و رحمته بحسب اسمه الجبار المنتقم القهار و لها نشأة مثالية كلية هي طبقات سبعة تحت الكرسي و الكرسي موضع القدمين تغترفان [تفترقان] بعده قدم الجبار و هي لأهل النار و قدم صدق عند ربك و هي لأهل الجنة و فيه أصول السدر التي هي شجرة الزقوم طعام الأثيم و هناك منتهى أعمال الفجار و المنافقين و لها أمثلة جزئية و هي طبيعة كل

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۳۰

فرد من الناس معذب لعذابه الجسماني و نفسه و هواه لعذابه الروحاني و لها مظاهر و مجالي حسية في هذا العالم كما ورد في الأخبار من وادي برهوت و غيره و لكل من الجنة و النار- أبواب كما سنشير إليه

فصل (۳۶) في أبواب الجنة و النار

أبواب الجنان هي المشار إليها في القرآن بقوله سبحانه وَ الْمَلاٰئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بٰابٍ و قوله لاٰ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوٰابُ السَّمٰاءِ وَ لاٰ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ و قوله جَنّٰاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوٰابُ و أبواب النيران هي المشار إليها بقوله فَادْخُلُوا أَبْوٰابَ جَهَنَّمَ خٰالِدِينَ فِيهٰا* و قوله حَتّٰى إِذٰا جٰاؤُهٰا وَ فُتِحَتْ أَبْوٰابُهٰا و قوله لَهٰا سَبْعَةُ أَبْوٰابٍ لِكُلِّ بٰابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ.

و اعلم أنه وقع الاختلاف في تعيين هذه الأبواب فقيل هي المدارك السبعة للإنسان- و هي الحواس الخمس و الحاستان الباطنتان أعني الخيال و الوهم أحدهما مدرك الصور و ثانيهما مدرك المعاني الجزئية و هذه الأبواب كما أنها أبواب دخول النيران- كذلك هي أبواب دخول الجنان إذا استعملها الإنسان في الطاعات و لاقتناء الخيرات و لانتزاع معاني الكليات من المحسوسات و الجزئيات و بالجملة استعملها فيما خلقت لأجله و للجنة باب ثامن مختص بها هو باب القلب و قيل هي الأعضاء السبعة التي وقع التكليف بها و قيل هي الأخلاق السيئة مثل الحسد و البخل و التكبر و غيرها للنار و مقابلاتها من الأخلاق الحسنة كالعلم و الكرم و الشجاعة و غيرها للجنة و لا يبعد أن

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۳۱

يكون للصفات السيئة سبعة مواضع لكل منها شعب كثيرة و كذا للصفات الحسنة يكون ثمانية مجامع تحت كل منها أصناف كثيرة كما هي مذكورة في كتب الأخلاق و القول الأول أولى و أوفق فإن كلا من المشاعر السبعة باب إلى الشهوات الدنياوية التي ستصير نيرانات محرقة و هيئات معذبة للنفوس في الآخرة و هي أيضا إذا استعملت في طريق الخير أبواب إلى إدراك الحقائق و المعارف و فعل الحسنات التي بها يثاب في العاقبة و يصعد إلى الملكوت و يدخل في الجنة مع زمرة الملائكة و بالجملة لكل من هذه المشاعر و المدارك باطن و ظاهر باطنه فيه الرحمة و ظاهره من قبله العذاب فظواهرها أبواب مفتوحة إلى عالم الجحيم أو إلى ما به استحقاقية الدخول في الجحيم و بواطنها أبواب مفتوحة إلى عالم الجنان أو إلى ما به استحقاقية دخولها و إذ غلقت أبواب النيران فتحت أبواب الجنان بل هي على شكل الباب الذي إذا فتح على موضع انسد عن موضع آخر فعين غلق أبواب إحداهما عين فتح أبواب الأخرى إلا باب القلب و هو

الباب الثامن فإنه مغلق دائما على أهل الحجاب الكلي و الكفر و هو مختص بأهل الجنة من جهة الإيمان و المعرفة و لا يفتح أبدا لأصحاب النار لأنهم المختوم على قلوبهم في الأزل لقوله تعالى **خَتَمَ اللهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ** و قوله **فَطُبِعَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاٰ يَفْقَهُونَ** و ليس للنار دخول أو تصرف في القلوب و الأفئدة و إنما لضرب منها اطلاع على القلوب لا دخول فيها لغلق ذلك الباب عليها كغلق باب الجنان على الكفار فما ذكر الله من أبواب السبعة يدخل فيها الإنس و الجان و أما الباب الثامن المغلق الذي لا يدخل فيه أهل الكفر و الاحتجاب فباطنه محل الإيمان و العبودية-

و في الحديث: التراب لا يأكل محل الإيمان

و هو أي باطنه سعيد في الدنيا و الآخرة- ليس للعذاب و الشقاء فيه مدخل فالقلب كالجنة حفت بالمكاره و باطنه فيه الرحمة- و ظاهره فيه العذاب و هي النار التي تطلع على الأفئدة و أما منازل جهنم و دركاتهم

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۳۲

و خوخاتها فعلى قياس ما يذكر في الجنان من المنازل و الدرجات و الرواشن على سبيل المقابلة و أما أسماء أبوابها السبعة فهي باعتبار الإضافة إلى منازلها كباب جهنم و باب الجحيم و باب السعير و باب اللظى و باب السقر و باب الحطمة و باب السجين و الباب الثامن المغلق لا يفتح فهو الحجاب و السد و أما خوخات النار فهي شعب الكفر و الفسوق- و كذا خوخات الجنة هي شعب الإيمان و الطاعة فمن عمل من خير فهو يراه في الآخرة و من عمل من شر فقد يراه و قد يعفى عنه

تبصرة و تذكرة:

اعلم أن باطن الإنسان في الدنيا هو ظاهره في الآخرة- و ما دام الإنسان في هذا العالم تكون الآخرة عالم الغيب بالقياس إليه و إذا انتقل من الدنيا إلى الأخرى يصير ذلك العالم عالم الشهادة بالقياس إليه و إطلاق أبواب الجنان على هذه المشاعر الظاهرة من باب التوسع ليس على سبيل الحقيقة لأن باب الدار و باب البلد ما إذا فتح فتح إليها بلا حجاب و لا بد أن يكون باب كل مدينة من جنسها و باب كل شيء من جنسه و هذه الحواس ليست كذلك- و التي تنفتح إلى الجنة ما هي إلا الحواس المحشورة مع النفس الباقية ببقائها في الآخرة- و قد علمت أن للنفس في ذاتها سمعا و بصرا و شما و ذوقا و لمسا و تذكرا و تصرفا و يدا روحانية و رجلا كذلك فلها عين باصرة ناظرة إلى ربها و أذن سامعة تسمع آيات الله و كلمات الملائكة و أصوات طيور الجنة و نغماتها و تسبيحات الأشياء و شم تشم به روائح الإنس و نسائم القدس و ذوق تذوق به طعوم الجنة و فواكه مما يشتهون و لمس تلمس به حور العين و هي المشاعر الروحانية و الحواس الباطنة و هي مع محسوساتها من أهل الجنة إن لم يسدها ساد و لم يحجبها حجاب و أما هذه الحواس و هي و مدركاتها أمور

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۳۳

مستحيلة زائلة داثرة كائنة فاسدة منشأ العذاب الأليم و الحجاب العظيم و تؤدي بالإنسان إلى الهاوية و يحترق بنار الجحيم فكل نفس تتبع الهوى و يسخرها الشهوة و يستخدمها الشيطان و يستعبدها كما قال تعالى **أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوٰاهُ وَ أَضَلَّهُ اللهُ عَلىٰ عِلْمٍ وَ خَتَمَ عَلىٰ سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلىٰ بَصَرِهِ غِشٰاوَةً** فتصير من أهل النار إذ

قد صار كل من مشاعره السبعة سببا من أسباب بعده من الله و ملكوته و بابا من أبواب طاعته للهوى- و انقياده للشهوة و عدوله عن طريق الهدى و سنن الحق و وقوعه في المهوى **فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَ فَلاٰ تَذَكَّرُونَ** و يكون حاله و ماله كما أفصح الله عنه بقوله تعالى **فَأَمَّا مَنْ طَغىٰ وَ آثَرَ الْحَيٰاةَ الدُّنْيٰا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوىٰ** فظهر أن كل مشعر من هذه المشاعر باب من أبواب الجحيم لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم و أما إذا تنور القلب بنور المعرفة و الإيمان و خرج من القوة إلى الفعل بالرياضة و العبادة و الطهارة- عن وسخ المعاصي و درن الشهوات كالحديد إذا أذيب بالنار و ذهب بها درنه و خبثه و اتخذت منه مرآته مصيقلة صار كعين صحيحة استنارت بنور الملكوت الأعلى فيطالع بكل مشعر من مشاعره آية من آيات ربه الكبرى و بابا من أبواب معرفة ربه الأعلى فينتزع من صورها المحسوسة الجزئية معاني معقولة كلية و يفهم منه أسرارا إلهية يقف عليها و يدخل جنة المقربين و يستعد بها للسعادة القصوى و مجاورة الرحمن في مقعد صدق عند مليك مقتدر و هذا بخلاف حال أهل الهوى و الجهالة المشتغلين بشهوات الدنيا المعرضين عن الآخرة و عن سماع آيات الله مصرين مستكبرين كما قال تعالى **يَسْمَعُ آيٰاتِ اللهِ تُتْلىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً ... كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذٰابٍ أَلِيمٍ** فغلقت عليهم الأبواب و سددت عليهم الطرق إلا طريق جهنم خالدين فيها قال سبحانه في حقهم **وَ جَعَلْنٰا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنٰاهُمْ فَهُمْ لاٰ يُبْصِرُونَ** إشارة إلى أن ليس لهم درجة قوة نظرية- تنفتح بابها لإدراك العلوم الإلهية ليكونوا من أهل القرب و المنزلة عند الله و لا أيضا لهم قلب سليم و أذن واعية لها باب مفتوح إلى تلقي السمعيات و المواعظ و الخطابات ليكونوا من أهل السلامة من عذاب الآخرة فلا جرم حالهم في الآخرة كما اعترفوا به حين لم ينفعهم الاعتراف **قٰالُوا لَوْ كُنّٰا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مٰا كُنّٰا فِي أَصْحٰابِ السَّعِيرِ فَاعْتَرَفُوا**

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۳۴

بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحٰابِ السَّعِيرِ فقد وضح و انكشف أن جميع هذه المشاعر الثمانية تصلح لأن تصير أبواب الجنان في حق من يصرفها فيما خلقها الله لأجله كما قال **وَ أَمّٰا مَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوىٰ** و منها أبواب جهنم في حق من صرفها في طاعة الهوى و شهوات الدنيا كقوله تعالى **فَأَمّٰا مَنْ طَغىٰ وَ آثَرَ الْحَيٰاةَ الدُّنْيٰا- فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوىٰ**.

فإن قلت باب الدار يشبه الدار و الجنة و النار داران متخالفتان في جوهر الحقيقة و نحو الوجود فكيف يصح أن تكون المشاعر الإنسانية بعينها أبواب الجنة و أبواب النار.

قلنا السمع و البصر و غيرهما التي لأهل السعادة و الهدى مباينة بالحقيقة و النوع عندنا للتي لأهل الشقاوة و الهوى و إن وقع الاشتراك بينهما في أصل الإحساس و الشعور- فإن مدارك أهل السعادة و مرائيهم مطهرة عن رجس الهيولى منورة بنور المعرفة و التقوى- و مدارك الأشقياء المدبرين و المردودين إلى أسفل سافلين مغشاة بغشاوة الطبع مظلمة بظلمات الجهل و الهوى و بالجملة السمع و البصر و الفؤاد التي لأولئك الأصحاب و أولي الألباب- قد وقع لها التبديل الأخروي و التحويل الإلهي الذي به تستأهل لأن تكون من أبواب الجنة التي هي دار الحسنات و منزل الخيرات و أما السمع و البصر و الفؤاد التي لأصحاب النار و الأشقياء الفجار فصارت أنحس مما كانت و أظلم و أنجس فناسبت لأن تكون مداخل و أبوابا لدار الظلمات و معدن البوار و النكال و العذاب.

مكاشفة تنبيهية:

اعلم هداك الله لسلوك سبيل الآخرة على الصراط المستقيم أن الجنة التي يصل إليها من هو من أهلها هي مشهودة لك اليوم من حيث محلها لا من حيث صورتها و أنت تتقلب فيها على الحال التي أنت عليها و لا تعلم أنك فيها فإن الصورة الطبيعية تمنعك و تحجبك عن مشاهدتها و مشاهدة ما أعدت فيها من نعيمها و غرفاتها و أشجارها و أنهارها و طعامها و شرابها فأهل الكشف الذين أدركوا ما غاب عنهم يرون ذلك المحل و يرون من كان في روضة خضراء و إن كان جهنميا يرونه بحسب ما يكون فيه من لغوب و نصب من حرورها و زمهريرها و نيرانها و لهبها و حياتها

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۳۵

و عقاربها و حميمها و زقومها و من لم يكن من أهل الكشف و البصيرة و بقي في عماء حجابه لا يدرك ذلك مثل الأعمى يكون في بستان فما هو غائب عنه بذاته و لكن لا يراه و لم يلزم من كونه لا يراه أن لا يكون فيه و كذلك أكثر أهل الجنة في الجنة الآن و لكن لا يرونها و هم يتقلبون فيها و كذلك أصحاب النار في النار و قد أحاط بهم سرادقها و هم لا يشعرون كما نبه الله عليه بقوله **إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكٰافِرِينَ*** و بقوله **جَنَّةٍ عَرْضُهٰا كَعَرْضِ السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا** و بقوله

في حديثه القدسي: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت الحديث

و قد علمت أن جنة المؤمن أو جحيم الكافر ليست بأمر خارج عن نفسه فإذا كانت معدة اليوم كانت متصلة بها و إن كان هو في حجاب عنها- لأن الله قد يحول بين المرء و قلبه فكيف بينه و بين نعيم قلبه أو جحيمه و من الناس من يستصحبه هذا الكشف و منهم من لا يستصحبه و هو قد يكون أرفع حالا منه لحكمة أخفاها الله في خلقه فلأهل الله أعين يبصرون بها و آذان يسمعون بها و قلوب يعقلون بها و هي غير هذه الأعين و الآذان و القلوب كما علمت آنفا و أهل الكفر و الحجاب صم بكم عمي- فهم لا يعقلون عن الله فهم لا يرجعون إلى الله

فصل (۳۷) في تتمة الاستبصار في بيان حقيقة أحوال الجنة و النار

قد علمت أن النشأة الآخرة نشأة متوسطة بين المجردات العقلية و بين الجسمانيات المادية

و كل ما فيها صور محسوسة مدركة بقوة نفسانية هي خيال في هذا العالم و حس في ذلك العالم و الإنسان إذا مات و تجرد عن هذا البدن الطبيعي قامت قيامته الصغرى و حشر أولا إلى عالم البرزخ ثم إلى الجنة و النار عند القيامة الكبرى و الفرق بين الصور التي يراها و يكون عليها الإنسان في البرزخ و التي يشاهدها و يكون عليها في الجنة و النار عند القيامة الكبرى أنما يكون بالشدة و الضعف و الكمال و النقص إذ كل منها صور إدراكية جزئية غير مادية إلا أنها مشهودة في عالم البرزخ بعين الخيال- و في عالم الجنان بعين الحس لكن عين الحس الأخروي ليس غير عين الخيال بخلاف

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۳۶

الحس الدنيوي المنقسم بخمس قوى في خمسة مواضع من البدن مختلفة فموضع البصر هو العين و موضع السمع هو الأذن و موضع الذوق هو اللسان و لا يمكن أيضا أن يفعل كل منها فعل صاحبه فالبصر لا يسمع و السمع لا يبصر و هما لا يذوقان و لا يشمان و على هذا القياس في الجميع- فإن قلت باصرة العين و لامستها في موضع واحد- قلنا ليس

كذلك بل الباصرة في الجليدية و لامسة العين في القرنية و أما حواس الآخرة فجميعها في موضع واحد غير متغاير في الوضع و الجهة و كل منها يفعل فعل صاحبه و نسبة الصور البرزخية إلى الصور التي في القيامة الكبرى كنسبة الطفل أو الجنين إلى البالغ.

قال صاحب الفتوحات المكية [في حقيقة الموت]

في الباب الخامس و الخمسين و ثلاثمائة منها و الموت بين النشأتين حالة برزخية تعمر الأرواح فيها أجسادا برزخية خيالية مثل ما عمرتها في النوم و هي أجساد متولدة عن هذه الأجسام الترابية فإن الخيال قوة من قواها ثم قال و من مات فقد قامت قيامته و هي القيامة الجزئية فإذا فهمت القيامة الجزئية فقد فهمت القيامة العامة لكل ميت كان عليها فإن مدة البرزخ من النشأة الآخرة بمنزلة حمل المرأة الجنين في بطنها ينشئه الله نشأ بعد نشء فتختلف عليه أطوار النشئات إلى أن يولد يوم القيامة فلهذا قيل في الميت إذا مات فقد قامت قيامته أي ابتدأ فيه ظهور النشأة الأخرى في البرزخ إلى يوم البعث من البرزخ كما يبعث من البطن إلى الأرض

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۳۷

بالولادة فتدبر نشأة بدنه في الأرض زمان كونه في البرزخ تسوية و تعدله على غير مثال سبق مما ينبغي للدار الآخرة.

و قال في الباب الرابع و السبعين و ثلاثمائة و اعلم أن الحق لم يزل في الدنيا متجليا للقلوب فيتنوع الخواطر لتجليه و أن تنوع الخواطر في الإنسان عين التجلي الإلهي من حيث لا يشعر بذلك إلا أهل الله كما أنهم يعلمون أن اختلاف الصور الظاهرة في الدنيا و الآخرة في جميع الموجودات ليس غير تنوع التجلي فهو الظاهر إذ هو عين كل شيء و في الآخرة يكون باطن الإنسان ثابتا فإنه عين ظاهر صورته في الدنيا و التبدل فيه خفي و هو خلقه الجديد في كل آن الذي هم فيه في لبس و في الآخرة يكون ظاهره مثل باطنه في الدنيا- و يكون التجلي الإلهي دائما بالفعل فيتنوع ظاهره في الآخرة كما يتنوع باطنه في الدنيا- في الصور التي يكون فيها التجلي الإلهي ينصبغ بها انصباغا فذلك هو التضاهي الإلهي الخيالي غير أنه في الآخرة ظاهر و في الدنيا باطن فحكم الخيال مستصحب للإنسان في الآخرة انتهى.

و اعلم أنه قد اتفق في هذا العالم لبعض الكاملين كالأنبياء و الأولياء أو لغيرهم من الكهنة و المجانين و المبرسمين فمن قويت قوة خياله أو ضعفت قوة حسه أن يرى بعين الخيال شيئا مشاهدا محسوسا كما يشاهد سائر المحسوسات فكثيرا ما يشتبه عليه الأمر و يزعم أن ما رآه موجود في الخارج فيغلط و جميع ما يراه الإنسان يوم القيامة يراه بعين الخيال و هي موجودة في تلك الدار معتبرة باقية فيها لأنها موطن تلك الصور و إنما لم يعتبر وجود ما يرى بعين الخيال هاهنا من المقامات و غيرها لعدم بقائها و وقوع الحجاب عنها بعد أقصر مدة فلا تعويل عليها هاهنا لزوالها عن المشاهدة سريعا إذ ليس هذا العالم

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۳۸

موطن وجودها فبالموت يرفع الحجاب بالكلية فيدوم مشاهدة عين الخيال و تلك الصور المشهودة للنفس قد علمت أنها ليست خارجة عن ذاتها بل عينها فالأجساد في الآخرة- و في عالم الخيال عين الأرواح و هذا معنى تجسد المعاني و تجسد الأرواح و هي لا تكون إلا في ذلك العالم و أما في هذا العالم فالأرواح تتعلق بهذه الأجساد لا أنها تتجسد و

كذلك الأجساد في الآخرة تروحن و في الدنيا لا تكون كذلك.

قال في الباب الثالث و السبعين و ثلاثمائة و فيه علم تجسد الأرواح في صورة الأجسام الطبيعية هل عين ذلك الروح هو عين الصورة التي ظهر فيها أو هو ذلك في عين الرائي كزرقة السماء أو هل الروح لتلك الصورة كالروح للجسم أعني النفس الناطقة و تلك الصورة صورة حقيقية لها وجود عيني كسائر الصور الحقيقية و هذه مسألة أغفلها كثير من الناس بل كلهم و إنهم قنعوا بما ظهر لهم من صور الأرواح المتجسدة- فلو تروحوا في نفوسهم و حكموا بالصور على أجسامهم و تبدلت أشكالهم و صورهم في عين من يراهم علموا عند ذلك تجسد الأرواح لما ذا يرجع فإنه علم ذوق لا علم نظر فكري

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۳۹

و قد بينا أن كل صورة تحدث في العالم فلا بد لها من روح يدبره من الروح الكل المنفوخ منه في الصورة و من علم أن الصورة المتجسدة في الأرواح إذا قتلت إن كانت حيوانا أو قطعت إن كانت نباتا أنها تنتقل إلى البرزخ و لا بد كما ننتقل نحن بالموت و أنها إن أدركت بعد ذلك إنما يدرك كما يدرك كل ميت من الحيوان إنسان أو غير إنسان فمن هاهنا أيضا إذ وقفت على علته هذا علمت صور الأرواح المتجسدة لما ذا يرجع انتهى.

و قال في الباب الحادي و الثمانين و ثلاثمائة فاعلم أن هذه المقامات المذكورة لا تدرك إلا بعين الخيال لا بعين الحس إذا شوهدت فإن صورها إذا مثلها الله فيما شاء أن يمثلها متخيلة فنراها أشخاصا رأي العين كما نرى المعاني بعين البصيرة فإن الله إذ قلل الكثير أو كثر القليل فما نراه إلا بعين الخيال لا بعين الحس و هو البصر في الحالين كما قال **وَ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَ يُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ** و قال **يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ** و ما كانوا مثلهم في الحس فلو لم يرهم بعين الخيال كانت الكثرة في القليل كذبا و لكان الذي يريه غير صادق فيما أراه إياك و إن كان الذي أراك ذلك أراكه بعين الخيال كانت الكثرة في القليل حقا و القلة في الكثير حقا لأنه حق في الخيال و ليس بحق في الحس قال و هكذا كل ما تراه على خلاف ما هو عليه في الخارج ما تراه إلا بعين الخيال

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۴۰

و لا تعقل عن مثل هذا العلم و فرق بين الأعين و اعلم أنك لا تقدر على ذلك إلا بقوة إلهية- يعطيها الله من يشاء من عباده أ لا ترى الصحابة لو دققوا النظر الصحيح حقه و أعطوا المراتب حقها لم يقولوا في جبرئيل إنه دحية الكلبي لقالوا إن لم يكن روحانيا أو معنى تجسد و إلا فهو دحية الكلبي أدركناه بالعين الحسي فلم يحرروا و لا أعطوا الأمر الإلهي حقه فهم الصادقون الذين ما صدقوا فقال لهم رسول الله ص هو جبرئيل- فحينئذ عرفوا ما رأوه كما قالوا فيه لما تمثل لهم في صورة أعرابي مجهول عندهم حين جاء فعلم الناس دينهم فقال رسول الله ص أ تدرون ما السائل فقالوا الله و رسوله أعلم- لكونه ظهر في صورة مجهولة عندهم فقال لهم هذا جبرئيل ثم قال و ما في الكون أعظم شبهة من التباس الخيال بالحس فإن الإنسان إن تمكن في هذا النظر شك في العلوم الضرورية و إن لم يتمكن أنزل بعض الأمور غير منزله فإذا أعطاه الله قوة التفصيل أبان له عن الأمور إذا رآها رأي عين فيعلم ما هي إذا علم العين التي رآها به من نفسه فأكرم على أهل الله هذا و كثير من أهل الله من لا يجعل باله لما ذكرناه و لو لا علمه

الحکمة المتعالیة فی الاسفار العقلیة الاربعة، ج۹، ص ۳۴۱

بنومه و أنه رآه في حال نومه ما قال إنه خيال فكم كان يرى في حال اليقظة مثل هذا- و يقول إنه رأى محسوسا بحسه قال و هذا باب واسع المجال و هو عند علماء الرسوم غير معتبر و لا عند الحكماء الذين يزعمون أنهم قد علموا الحكمة و قد نقصهم علم شموخ هذه المرتبة على سائر المراتب و لا قدرها عندهم فلا يعرف قدرها و لا قوة سلطانها إلا الله- ثم أهله من نبي أو ولي و العلم بها أول مقامات النبوة قال و ما أحسن تنبيه الله عباده من أولي الألباب و أهل الاعتبار إذ قال **هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحامِ كَيْفَ يَشاءُ** فمن الأرحام ما يكون خيالا فيصور فيه المتخيلات كيف يشاء عن نكاح معنوي و حمل معنوي يفتح الله في ذلك الرحم المعاني في أي صورة ما شاء ركبها فركب الإسلام فيه و القرآن سمنا و عسلا و القيد ثباتا في الدين و الدين قميصا سابغا و العلم لبنا و قال في هذا الباب أيضا و اعلم أن في حضرة الخيال في الدنيا يكون الحق محل تكوين العبد فلا يخطر له خاطر في أمر ما إلا و الحق يكونه في هذه الحضرة- كتكوينه أعيان الممكنات إذا شاء ما شاء منها فمشية العبد في هذه الحضرة من مشية الحق- العبد ما يشاء إلا أن يشاء الله فما شاء الحق إلا أن يشاء العبد في الدنيا و يقع بعض ما يشاء العبد في الدنيا في الحس و أما في الخيال فكمشية الحق في النفوذ فالحق مع العبد في هذه الحضرة على كل حال ما يشاؤه العبد كما هو في الآخرة في حكم عموم المشية لأن باطن الإنسان هو ظاهره في الآخرة فلذلك يتكون عن مشيته كل شيء إذا اشتهاه- فالحق في تصريف الإنسان في هذه الحضرة في الدنيا و في شهوته في الآخرة لا في الدنيا حسا فالحق تابع في هذه الحضرة و في الآخرة لشهوة العبد كما هو العبد في مشيته

الحکمة المتعالیة فی الاسفار العقلیة الاربعة، ج۹، ص ۳۴۲

تحت مشية الحق فما للحق شأن إلا مراقبة العبد ليوجد له جميع ما يريد إيجاده في هذه الحضرة في الدنيا و كذلك في الآخرة و العبد يتبع الحق في صورة التجلي فما يتجلى الحق له في صورة إلا انصبغ بها فهو يتحول في الصور لتحول الحق و الحق يتحول في الإيجاد لتحول مشية العبد في هذه الحضرة الخيالية في الدنيا خاصة و في الآخرة في الجنة عموما و لنا خلق الله همما فعالة في الوجود الحسي و هما غير فعالة في الوجود الحسي ظهر بذلك التفاضل في جميع الأشياء حتى في الأسماء الإلهية و الهمم الفعالة قد تفعل في همم غير أصحابها و قد لا يفعل مثل أنك لا تهدي من أحببت انتهى كلامه.

فتحقق و تبين من جميع ما ذكرناه و نقلناه أن الجنة الجسمانية عبارة عن الصور الإدراكية القائمة بالنفس الخيالية مما تشتهيها النفس و تستلذها و لا مادة و لا مظهر لها إلا النفس و كذا فاعلها و موجدها القريب و هو هي لا غير و أن النفس الواحدة من النفوس الإنسانية مع ما تتصوره و تدركه من الصور بمنزلة عالم عظيم نفساني أعظم من هذا العالم الجسماني بما فيه و أن كل ما يوجد فيها من الأشجار و الأنهار و الأبنية و الغرفات كلها حية بحياة ذاتية و حياتها كلها حياة واحدة هي حياة النفس التي تدركها و توجدها- و إن أدركها للصور هو بعينه إيجادها لها لا أنها أدركتها فأوجدتها أو أوجدتها فأدركتها- كما في أفعال المختارين منا في هذا العالم حيث إنا نتخيل شيئا ملائما كالحركة أو الكتابة أولا فنفعله ثانيا ثم نتخيله بعد ما فعلناه بل أدركتها موجودة و أوجدتها مدركة بلا تقدم و تأخر و لا مغايرة إذ

الفعل و الإدراك هنا شيء واحد و أما دار جهنم فهي ليست كذلك

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۴۳

لأنها ليست دارا روحانية خالصة بل هي مكدرة مشوبة بهذا العالم فكأنها هي هذا العالم انساق إلى الآخرة بسائق القهرمان و زمام التسخير فالجهنمي يريد ما لا يجده- و يشتهي ما يضره و يفعل ما يكرهه و يختار ما يعذبه و يهرب عما يصحبه قائلا كما حكى الله عنه **يٰا لَيْتَ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ** و جميع مشتهياته و مرغوباته عقاربه و حياته و بالجملة حقيقة جهنم و ما فيها هي حقيقة الدنيا و مشتهياتها تصورت للنفوس الشقية بصورة مؤلمه معذبة لها محرقة لأبدانها مذيبة للحومها و شحومها مبدلة لجلودها مشوهة لخلقتها مسودة لوجوهها ثم لما كانت الدار الآخرة دار لا فاعل و لا مؤثر هناك إلا الحق سبحانه إذ الأسباب المتقابلة و العلل المتضادة مرتفعة و كذا الموانع و القواسر و الحجب منتفية في ذلك العالم فلا مؤثر و لا مالك إلا هو الملك يومئذ لله فمن وافق رضاه القضاء الرباني و انخرطت إرادته في إرادة الله و استهلكت خيرته في خيرة الله كما في قوله تعالى **وَ مٰا كٰانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لاٰ مُؤْمِنَةٍ إِذٰا قَضَى اللّٰهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ** كان فعله بعينه فعل الحق و كل من كان كذلك كان في نعيم دائم و بهجة فائقه و لذة غاشية فالمؤمن لا محالة في روضات الجنات أبدا و قد مر سابقا أن مشية العبد في الجنة- عين مشية الحق تعالى و وجه ذلك أن جميع الأشياء صادرة عن الواجب تعالى على الوجه الأتم و النظام الأحسن و الخير الأعلى فمن استقام قلبه و سلمت فطرته عن الأمراض- و خلصت ذائقته عن مرارة المعاصي و ما تغيرت عن الاعتدال و لم تزل قدمه عن صراط الحق- رضي بالقضاء و حصل له مقام الرضاء و العبودية فلم يشأ إلا ما شاء الله و لم يشأ الله

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۴۴

إلا خيرا و كمالا و نعمة و بهجة فكان في نعمة و بهجة لا غاية فوقها و لا مزيد عليها إذ رأى رحمة الله وسعت كل شيء بل رأى في كل شيء وجه الحق الباقي و رأى الخير المحض الحسن المطلق الذي هو مبدأ كل خير و كمال و منشأ كل حسن و جمال فيكون مبتهجا به و بكل شيء لأن كل شيء منه و به و إليه فيكون في جنة عرضها السماوات و الأرض- و بهذا الوجه يسمى خازن الجنة الرضوان لأن من لم يبلغ إلى مقام الرضا لا يدخل الجنة و لا يصل إلى دار النعمة و الكرامة فهذه جنة المقربين و أما من لم يسلك سبيل أهل المعرفة و الإيمان و لم يخرج عن باب الدنيا و ملازمة الهوى قد مات و كان لم يزل محبوسا في قيد الشهوات و سلسلة التعلقات و من اتبع الهوى و الشهوة و هما ضدا الحكمة و العدل- و قامت السماوات و الأرض بالحكمة و العدل ففسد عليه عالم الوجود كما هو و ويل لمن فسد عليه العالم و خالف طبعه حكمة الكون و نظام الوجود فينتقم منه قيم العالم و جبار السماوات و الأرض لأنه عدو الله و عدو العالم و يكون حاله كما أفصح الله بقوله **وَ لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوٰاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمٰاوٰاتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ** فيكون بالضرورة ممنوعا عما اشتهاه محجوبا عما استدعاه هواه كما قال تعالى **وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مٰا يَشْتَهُونَ** لأن ما يشتهيه و يطلبه أمور باطلة وهمية مخالفة للحكمة و الحقيقة لكنه ما دام كونه في الدنيا يلهيه شواغل الدنيا عن الشعور بفسادها و مخالفتها للحكمة و مضادتها للفطرة- لخدر الطبيعة و غفلة النفس فإذا ارتفع الحجاب بالموت و انكشف

الغطاء ظهر أنه واقع في عقوبة من سخط الله و نار غضبه **أَ فَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَ اللهِ كَمَنْ باءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ** و حيث اتبع الهوى أوقعه الهوى إلى الهاوية و هي البعد عن رحمة الله ممنوعا عن الخيرات- مقيدا بالسلاسل و الأغلال كما هو صفة العبيد و المماليك لأنه عبد الهوى و خدم الشهوة

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۴۵

فملكته الشهوة و الهوى و أوقعته في المهالك و المهوى و لهذا يسمى خازن الجحيم مالكا فقد تبين مما ذكرناه أن دار الجحيم و دار العذاب ليست بدار مستقلة و نشأة حقيقية و منزل حقيقي مباين لعالم الدنيا و عالم الجنان بل هي حالة ممتزجة و نشأة إضافية منشؤها و مبدأ كونها هو جوهر الدنيا منتقلا إلى القيامة بنقل ملائكة العذاب لأجل الذنوب و المعاصي و التعلقات- فافهم هذه المسألة فإنها دقيقة غامضة قل من العرفاء من يكاشف حقيقة الجحيم و قد انكشفت على كثير منهم حقيقة الجنة و ما فيها تأييد.

و مما يؤيد ما ذكرناه من أن جهنم ليست بدار حقيقية متأصلة أنها صورة غضب الله كما أن الجنة صورة رحمة الله و قد ثبت أن رحمة الله ذاتية واسعة كل شيء و الغضب عارضي و كذا الخيرات صادرة بالذات و الشرور واقعة بالعرض فعلى هذا القياس لا بد أن يكون الجنة موجودة بالذات و النار مقدرة بالتبع

ذكر تنبيهي:

ذكر بعض العرفاء في قوله تعالى **فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ** أن النار قد تتخذ دواء لبعض الأمراض و هو الداء الذي لا يتقى إلا بالكي من النار كقوله تعالى **فَتُكْوى بِها جِباهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ**

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۴۶

فقد جعل الله النار وقاية في هذا الموطن من داء هو أشد من النار في حق المبتلى به و أي داء أكبر من الكبائر فقد جعل الله لهم النار يوم القيامة دواء كالكي بالنار فدفع بدخولهم النار يوم القيامة داء عظيما أعظم من النار و هو غضب الله و لهذا يخرجون بعد ذلك من النار إلى الجنة كما جعل الله في الحدود الدنياوية وقاية من عذاب الآخرة انتهى كلامه و فيه تأييد لما قلناه من أن جهنم ليست من حيث كونها دار العذاب مما له وجود حقيقي بل منشؤها وجود الضلال و العصيان في النفوس حتى إنه لو لم يكن معصية بني آدم لما خلق الله النار.

و اعلم أن أهل العذاب هم الذين نفوسهم كانت مستعدة لدرجة من درجات الجنان- ثم بطل استعدادهم بارتكاب المعاصي فحالهم كحال من انحرف مزاجه عن الاعتدال- اللائق به و عن الصحة التي له بحسبه فيكون في ألم شديد حتى يرجع إلى الاعتدال- الذي كان له أو بطل استعداده بالكلية و انتقل مزاجه إلى مزاج وافقه تلك الحالة التي كانت مخالفة لمزاجه الأول و كان مرضا في حقه فصار المرض صحة له و الألم راحة له و انقلب العذاب عذوبة في حقه لانقلاب جوهره إلى جوهر أدنى فكذلك حال من يدخل في النار و يتعذب بها مدة لأجل الأعمال السيئة فإن بقي في قلبه نور الإيمان فمنع أن ينفذ ظلمة المعاصي في باطن قلبه و يحيط به السيئات فلا محالة يخرج من النار و يبرأ من العذاب و أما من اسود قلبه بالكلية و غاص في باطن قلبه ظلمة المعاصي لأجل الكفر فلا يخرج من النار أبدا مخلدا و إن اشتهيت زيادة بصيرة في هذا المرام فاستمع لما يتلى عليك صائنا به عن الأشرار و اللئام

فصل (۳۸) في كيفية خلود أهل النار في النار

هذه مسألة عويصة و هي موضع خلاف

بين علماء الرسوم و علماء الكشوف و كذا موضع خلاف بين أهل الكشف هل يسرمد العذاب على أهل النار الذين هم من أهلها إلى ما لا نهاية له أو يكون لهم نعيم بدار الشقاء فينتهي العذاب فيهم إلى أجل مسمى مع

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۴۷

اتفاقهم على عدم خروج الكفار منها و أنهم ماكثون فيها إلى ما لا نهاية له فإن لكل من الدارين عمارا و لكل منهما ملأها.

اعلم أن الأصول الحكمية دالة على أن القسر لا يدوم

على طبيعة و أن لكل موجود من الموجودات الطبيعية غاية ينتهي إليها وقتا و هي خيره و كماله و أن الواجب جل ذكره أوجد الأشياء على وجه تكون مجبولة على قوة ينحفظ بها خيرها الموجود و تطلب بها كمالها المفقود كما قال تعالى **الَّذِي أَعْطىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدىٰ** فلأجل ذلك يكون لكل منها عشق للوجود و شوق إلى كمال الوجود و هو غايته الذاتية التي يطلبها و يتحرك إليها بالذات و هكذا الكلام في غايته و غاية غايته حتى ينتهي إلى غاية الغايات و خير الخيرات إلا أن يعوق له عن ذلك عائق و يقسر قاسر لكن العوائق ليست أكثرية و لا دائمة كما سبق ذكره و إلا لبطل النظام و تعطلت الأشياء و بطلت الخيرات و لم تقم الأرض و السماء و لم ينشأ الآخرة و الأولى **ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النّارِ** فعلم أن الأشياء كلها طالبة لذاتها للحق مشتاقة إلى لقائه بالذات و أن العداوة و الكراهة طارئة بالعرض فمن أحب لقاء الله بالذات أحب الله لقاءه بالذات و من كره لقاء الله بالعرض لأجل مرض طار على نفسه كره الله لقاءه بالعرض فيعذبه مدة حتى يبرأ من مرضه و يعود إلى فطرته الأولى أو يعتاد بهذه الكيفية المرضية زال ألمه و عذابه لحصول اليأس و يحصل له فطرة أخرى ثانية و هي فطرة الكفار الآئسين من رحمة الله الخاصة بعباده و أما الرحمة العامة فهي التي وسعت كل شيء كما قال تعالى **عَذٰابِي**

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۴۸

أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشٰاءُ وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و عندنا أيضا أصول دالة على أن الجحيم و آلامها و شرورها دائمة بأهلها كما أن الجنة و نعيمها و خيراتها دائمة بأهلها إلا أن الدوام لكل منهما على معنى آخر

ثم إنك تعلم أن نظام الدنيا لا ينصلح إلا بنفوس جافية

و قلوب غلاظ شداد قاسية- فلو كان الناس كلهم سعداء بنفوس خائفة من عذاب الله و قلوب خاضعة خاشعة لاختل النظام بعدم القائمين بعمارة هذه الدار من النفوس الغلاظ العتاة كالفراعنة و الدجاجلة و كالنفوس المكارة كشياطين الإنس بجربزتهم و جبلتهم و كالنفوس البهيمية الجهلة كالكفار

و في الحديث الرباني: إني جعلت معصية آدم سبب عمارة الدنيا

و قال تعالى **وَ لَوْ شِئْنٰا لَآتَيْنٰا كُلَّ نَفْسٍ هُدٰاهٰا وَ لٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النّٰاسِ أَجْمَعِينَ** فكونها على طبقة واحدة ينافي الحكمة كما مر و لإهمال سائر الطبقات الممكنة في مكمن الإمكان من غير أن يخرج من القوة إلى الفعل و خلو أكثر مراتب هذا العالم عن أربابها- فلا يتمشى النظام إلا بوجود الأمور الخسيسة و الدنية المحتاج

إليها في هذه الدار التي يقوم بها أهل الظلمة و الحجاب و يتنعم بها أهل الذلة و القسوة المبعدين عن دار الكرامة و النور و المحبة فوجب في الحكمة الحقة التفاوت في الاستعدادات لمراتب الدرجات في القوة و الضعف و الصفاء و الكدورة و ثبت بموجب قضائه اللازم النافذ في قدره اللاحق الحكم بوجود السعداء و الأشقياء جميعا فإذا كان وجود كل طائفة بحسب قضاء إلهي و مقتضى ظهور اسم رباني فيكون لها غايات حقيقية و منازل ذاتية و الأمور الذاتية التي جبلت عليها الأشياء إذا وقع الرجوع إليها تكون ملائمة لذيذة و إن وقعت المفارقة عنها أمدا بعيدا و حصلت الحيلولة عن الاستقرار عليها زمانا مديدا بعيدا كما قال تعالى **وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ ما يَشْتَهُونَ** ثم إن الله تعالى يتجلى بجميع الأسماء و الصفات في جميع المراتب

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۴۹

و المقامات كما حققناه في مباحث العلم و غيره فهو الرحمان الرحيم و هو العزيز القهار

و في الحديث القدسي: لو لا أن تذنبون لذهب و جاء بقوم آخر يذنبون

. و قال الشيخ الأعرابي في الفتوحات يدخل أهل الدارين فيهما السعداء بفضل الله- و أهل النار بعدل الله و ينزلون فيهما بالأعمال و يخلدون فيهما بالنيات فيأخذ الألم جزاء العقوبة موازيا لمدة العمر في الشرك في الدنيا فإذا فرغ الأمد جعل لهم نعيما في الدار التي يخلدون فيها بحيث إنهم لو دخلوا الجنة تألموا لعدم موافقة الطبع الذي جبلوا عليه فهم يتلذذون بما هم فيه من نار و زمهرير و ما فيها من لدغ الحيات و العقارب كما يلتذ أهل الجنة بالظلال و النور و لثم الحسان من الحور لأن طبائعهم تقتضي ذلك أ لا ترى الجعل على طبيعة يتضرر بريح الورد و يلتذ بالنتن و المحرور من الإنسان يتألم بريح المسك- فاللذات تابعة للملائم و الآلام تابعة لعدمه و نقل في الفتوحات أيضا عن بعض أهل الكشف قال إنهم يخرجون إلى الجنة حتى لا يبقى فيها أحد من الناس البتة و يبقى أبوابها يصطفق و ينبت في قعرها الجرجير و يخلق الله لها أهلا يملأها قال القيصري في شرح الفصوص و اعلم أن من اكتحلت عينه بنور الحق يعلم أن العالم بأسره عباد الله و ليس لهم وجود و صفة و فعل إلا بالله و حوله و قوته و كلهم محتاجون إلى رحمته و هو الرحمن الرحيم و من شأن من هو موصوف بهذه الصفات أن لا يعذب أحدا عذابا أبدا و ليس ذلك المقدار أيضا إلا لأجل إيصالهم إلى كمالهم المقدر لهم- كما يذاب الذهب و الفضة بالنار لأجل الخلاص مما يكدره و ينقص عياره فهو متضمن

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۵۰

لعين اللطف كما قيل و تعذيبكم عذب و سخطكم رضى و قطعكم وصل و جوركم عدل انتهى.

فإن قلت هذه الأقوال الدالة على انقطاع العذاب عن أهل النار ينافي ما ذكرته سابقا من دوام الآلام عليهم.

قلنا لا نسلم المنافاة إذ لا منافاة بين عدم انقطاع العذاب عن أهل النار أبدا و بين انقطاعه عن كل واحد منهم في وقت.

و قال في الفتوحات المكية و إن من الأحوال التي هي أمهات أحوال الفطرة التي فطر الله الخلق عليها هو أن لا يعبدوا إلا الله فبقوا على تلك الفطرة في توحيد الله فما جعلوا مع الله مسمى آخر هو الله بل جعلوا آلهة على طريق القربة إلى الله و لهذا قال قل سموهم فإنهم إذا سموهم بان أنهم ما عبدوا إلا الله فما عبد عابد إلا الله في المحل الذي

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۵۱

نسبوا إليه الألوهية فصح بقاء التوحيد لله الذي أقروا به في الميثاق و أن الفطرة مستصحبة.

أقول و هذه عبادة ذاتية و قد سبق منا القول بأن جميع الحركات الطبيعية- و الانتقالات في ذوات الطبائع و النفوس إلى الله و بالله و في سبيل الله و الإنسان بحسب فطرته داخل في السالكين إليه و أما بحسب اختياره و هواه فإن كان من أهل السعادة فيزيد على قربه قربا و على سلوكه الجبلي سعيا و إمعانا و هرولة و إن كان من الكفار الناقصين المختوم على قلوبهم الصم البكم الذين لا يعقلون فهو كالدواب و البهائم لا يفقه شيئا إلا الأغراض الحيوانية و إنما الغرض في وجوده حراسة الدنيا و عمارة الأبدان و ما له في الآخرة من خلاق فله المشي في مراتع الدواب و السباع فيحشر كحشرها و يعذب كعذابها و يحاسب كحسابها و ينعم كنعيمها و إن كان من أهل النفاق المردودين عن الفطرة الخاصة المطرودين عن سماء الرحمة فيكون عذابه أليما لانحرافه عما فطر عليه و هويه إلى الهاوية بما كسبت يداه فبقدر خروجه عن الفطرة و نزوله في مهاوي الجحيم يكون عذابه الأليم إلا أن الرحمة واسعة و الآلام دالة على وجود جوهر أصلي يضاد الهيئات الحيوانية الردية و التقاوم بين المتضادين ليس بدائم و لا بأكثري كما حقق في مقامه فلا محالة يئول إما إلى بطلان أحدهما أو إلى الخلاص و لكن الجوهر النفساني من الإنسان لا يقبل الفساد فإما أن يزول الهيئات الردية بزوال أسبابها فيعود إلى الفطرة و يدخل الجنة إن لم تكن الهيئات من باب الاعتقادات كالشرك و إلا فتنقلب إلى فطرة أخرى و يخلص من الألم و العذاب و هذا هو المراد من مذهب الحكماء أن عذاب الجهل المركب أبدي يعني صاحب الاعتقاد الفاسد الراسخ في جهله و عتوه لا يمكن عوده إلى الفطرة الأصلية فيصير من الهالكين المائتين- عن هذه النشأة و عن الحياة العقلية و لا ينافي ذلك كونه حيا بحياة أخرى نازلة دنية

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۵۲

و قوله تعالى في حقه **لاٰ يَمُوتُ فِيهٰا وَ لاٰ يَحْيىٰ*** أي لا يموت موت البهائم و نحوها و لا يحيى حياة العقلاء السعداء. و مما استدل به صاحب الفتوحات المكية على انقطاع العذاب للمخلدين في النار قوله تعالى **أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ النّٰارِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ***

و ما ورد في الحديث النبوي من قوله ص: و لم يبق في النار إلا الذين هم أهلها

و ذلك لأن أشد العذاب على أحد مفارقة الموطن الذي ألفه فلو فارق النار أهلها لتعذبوا باغترابهم عما أهلوا له و إن الله قد خلقهم على نشأة تألف ذلك الموطن أقول هذا استدلال ضعيف مبني على لفظ الأهل و الأصحاب و يجوز استعمالهما في معنى آخر من المعاني النسبية كالمقارنة و المجاورة و الاستحقاق و غير ذلك و لا نسلم أيضا أن مفارقة الموطن أشد العذاب إلا أن يراد به الموطن الطبيعي و إثبات ذلك مشكل و الأولى في الاستدلال على هذا المطلب أن يستدل بقوله تعالى **وَ لَقَدْ ذَرَأْنٰا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ** الآية فإن المخلوق الذي غاية وجوده أن يدخل في جهنم بحسب الوضع الإلهي و القضاء الرباني لا بد أن يكون ذلك الدخول موافقا لطبعه و كمالا لوجوده إذ الغايات كما مر كمالات للوجودات و كمال الشيء الموافق له لا يكون عذابا في حقه- و إنما يكون عذابا في حق غيره ممن خلق للدرجات العالية.

و قال في الفتوحات فعمرت الداران أي دار النعيم و دار الجحيم و سبقت الرحمة الغضب و وسعت كل شيء حتى جهنم و من فيها و الله أرحم الراحمين و قد وجدنا في نفوسنا ممن جبل على الرحمة بحيث لو مكنه الله في خلقه لا زال صفة العذاب عن العالم- و الله قد أعطاه هذه الصفة و معطي الكمال أحق به و صاحب هذه الصفة أنا و أمثالي و نحن

الحكمة المتعالية فی الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۵۳

عباد مخلوقون أصحاب أهواء و أغراض و لا شك أنه أرحم بخلقه منا و قد قال عن نفسه إنه أرحم الراحمين فلا نشك أنه أرحم بخلقه منا و نحن عرفنا من نفوسنا هذه المبالغة انتهى كلامه.

و لك أن تقول و قد قام الدليل العقلي على أن الباري سبحانه لا ينفعه الطاعات و لا يضره المخالفات و أن كل شيء جار بقضائه و قدره و أن الخلق مجبورون في اختيارهم- فكيف تسرمد العذاب عليهم و جاء في الحديث و آخر من يشفع هو أرحم الراحمين فالآيات الواردة في حقهم بالتعذيب كلها حق و صدق و كلام أهل المكاشفة لا ينافيها لأن كون الشيء عذابا من وجه لا ينافي كونها رحمة من وجه آخر فسبحان من اتسعت رحمته لأوليائه في شدة نقمته في الدنيا و اشتدت نقمته لأعدائه في سعة رحمته لهم في الآخرة.

نقل فيه تأكيد:

قال في الفتوحات المكية إن الحق لما تجلى لهم في أخذ الميثاق تجلى لهم في مظهر من المظاهر الإلهية فذلك الذي أجرأهم على أن يعبدوه في الصور و من قوة بقائهم على الفطرة أنهم ما عبدوها على الحقيقة و إنما عبدوا الصور لما تخيلوا فيها من رتبة التقرب و الشفاعة كما حكى الله من قولهم **مٰا نَعْبُدُهُمْ إِلاّٰ لِيُقَرِّبُونٰا إِلَى اللهِ زُلْفىٰ** و قولهم **هٰؤُلاٰءِ شُفَعٰاؤُنٰا عِنْدَ اللهِ** و هاتان الجهتان إليهما مال الخلق في الدار الآخرة

الحكمة المتعالية فی الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۵۴

و هما الشفاعة و التجلي في الصور على طريق التحول فإذا تمكنت هذه الحالة في قلب الرجل- و عرف من العلم الإلهي ما الذي دعا هؤلاء الذين صفتهم هذا و إنهم مقهورون تحت قهر ما إليه يئولون تضرعوا إلى الله في الدياجير و تملقوا له في حقهم و سألوه أن يدخلهم في رحمته إذا أخذت منهم النقمة حدها و إن كانوا عمار تلك الدار فليجعل لهم فيها نعيما بهم إذ كانوا من جمله الأشياء التي وسعتهم الرحمة العامة و حاشا الجناب الإلهي من التقييد- و هو القائل بأن رحمته سبقت غضبه فلحق الغضب بالعدم فإن كان شيئا فهو تحت إحاطة الرحمة و قد قالت الأنبياء ع يوم القيامة إذا سئلوا في الشفاعة إن الله غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله و لن يغضب بعده مثله و هو أرجى حديث يعتمد عليه في هذا الباب فإن اليوم المشار إليه يوم القيامة و هو يوم قيام الناس من قبورهم لرب العالمين و فيه يكون الغضب من الله على أهل الغضب و أعطى حكم ذلك الغضب الأمر بدخول النار و حلول العذاب و الانتقام من المشركين و غيرهم من القوم الذين يخرجون بالشفاعة و الذين يخرجهم الرحمن كما ورد في الحديث و يدخلهم الجنة إذا لم يكونوا من أهل النار- الذين هم من أهلها فعم الأمر بدخول النار كل من دخل فيها من أهلها و من غير أهلها لذلك الغضب الإلهي الذي لم يغضب مثله بعده أبدا فلو تسرمد العذاب عليهم لكان ذلك من غضب أعظم من غضب الأمر بدخول النار و قد قالت الأنبياء ع إن الله لا يغضب

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۵۵

بعده مثل ذلك فلا بد من حكم الرحمة على الجميع و يكفي من الشارع التعريف بقوله- و أما أهل النار الذين هم من أهلها و لم يقل من أهل العذاب و لا يلزم من كان من أهل النار الذين يعمرونها أن يكونوا معذبين بها فإن أهلها و عمارها مالك و خزنتها و هم ملائكة و ما فيها من الحشرات و الحيات و غير ذلك من الحيوانات تبعث يوم القيامة و لا واحد منهم يكون النار عليهم عذابا كذلك من يبقى فيها لا يموتون فيها و لا يحيون و قد قام الدليل السمعي أن الله يقول يا عبادي على وجه العموم و أضاف إلى نفسه و ما أضاف قط إلى نفسه إلا من سبقت له الرحمة فلا يؤبد لهم العذاب و إن دخلوا النار و ذلك أنه قال يا عبادي لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم اجتمعوا على أتقى قلب رجل منكم- ما زاد ذلك على ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم اجتمعوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد منكم مسألته ما نقص في ملكي شيئا الحديث و لا يشك أنه ما من أحد إلا و هو يكره ما يؤلمه طبعا فما من أحد إلا و قد سأل الله أن لا يؤلمه و أن يعطيه اللذة في الأشياء و السؤال قد يكون قولا و قد يكون حالا كبكاء الصغير الرضيع و إن لم يعقل عنده وجود الألم الحسي بالوجع أو الألم النفسي بمخالفة الغرض إذا منع من الثدي و قد أخذت المسألة حقها و الأحوال التي ترد على قلوب الرجال لا تحصى كثرة و قد أعطيناك منها في هذا الباب أنموذجا انتهى.

و اعلم أن البرهان و الكشف متطابقان على أن الفيض الوجودي و القول الرباني و الكلمة الوجودية نازل من الحق أحديا غير متفرق تفرقا خارجيا إلى الكرسي

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۵۶

ثم يتفرق فرقتين فرقة إلى عالم الدنيا و عالم الشهادة و فرقة إلى عالم الآخرة و عالم الغيب- و ذلك كنهر واحد عظيم يجري مجتمعا أجزاؤه على الاتصال ثم ينقسم إلى نهرين يجري أحدهما إلى جانب اليمين و هو أشرف الجانبين و أنورهما و أقواهما و الآخر إلى جانب الشمال و هو أخس الجانبين و أضعفهما و أظلمهما فالسعداء من الناس هم أصحاب اليمين و أهل الآخرة و الأشقياء هم أصحاب الشمال و أهل الدنيا و قد أشرنا سابقا إلى أن أهل الدنيا أهل النار لأن حقيقة جهنم و آلامها أنما هي ناشئة من الدنيا و شهواتها- و قد سبق أيضا أنها ليست بدار مستقلة في الوجود لأن الدار منحصرة في الدارين دار الأجسام الطبيعية الكائنة الفاسدة و دار الأجسام الروحانية الحية بحياة ذاتية و هي المتحدة مع الأرواح و أما الفرق بين دار الدنيا و دار الجحيم هو أن النفوس الشقية ما دامت موجودة بحياتها الطبيعية كانت الدنيا دار نعيمها و تنعمت بشهواتها كالدواب و الأنعام و إذا انتقلت عن هذه الحياة الطبيعية و انبعثت إلى الآخرة و كانت شديدة التعلق بالدنيا و لذاتها التي هي الآلام بالحقيقة و خيراتها التي هي شرور في الآخرة فانقلبت الدنيا نار جهنم في حقهم- و شهواتها حيات و عقارب متمكنة في صميم قلبهم و طعامها و شرابها حميما و زقوما لهم كل ذلك متصورة بصورها المطابقة لمعناها متطلعة على أفئدة أهلها فلم يزل يحترق قلوبهم و نفوسهم بنار الحسد و الغضب و التكبر و غيرها و جلودهم و أبدانهم بنار الطبيعة و الشهوة- و تلذعهم و تلسعهم حيات الهيئات السوء و عقاربها و هكذا إلى أن

يشاء الله فظهر أن الدار داران و الدنيا و الجحيم في حكم دار واحدة.

إذا تقرر هذا فنقول إن العرفاء و أهل التصوف اصطلح عندهم في التعبير عن نزول فيض الوجود عنه تعالى إلى هذا العالم و عالم الآخرة بتدلي القدمين منه تعالى على سبيل

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۵۷

التمثيل كما عبروا عن صفتي الجمال و الجلال و ملائكة العقل و النفس باليدين لله تعالى- لأنهما واسطتا جوده و عطائه و هذه الإطلاقات و الاصطلاحات منهم موافقة للكتاب و السنة كما هو عادتهم قال الشيخ العربي في الباب الرابع و السبعين و ثلاثمائة فتدلت إلى الكرسي القدمان- حتى انقسمت فيه الكلمة الروحانية فإن الكرسي نفسه به ظهرت فقسمت الكلمة لأنه الثاني بعد العرش المحيط من صور الأجسام الطاهرة في الأصل و الجوهر و هما شكلان في الجسم الكلي الطبيعي فتدلت إليه القدمان فاستقرت كل قدم في مكان يسمى المكان الواحد جهنما و الآخر جنة و ليس بعدهما مكان ينتقل إليه هاتان القدمان و هاتان لا تستمدان إلا من الأصل الذي ظهرتا منه و هو الرحمن المستوي على العرش فلا يعطيان إلا الرحمة فإن النهاية ترجع إلى البداية بالحكمة غير أن بين البداية و النهاية طريقا- و إلا ما كان بدوا و لا نهاية فكان سفر للأمر النازل بينهن و السفر مظنة التعب و الشقاء- فهذا هو سبب ظهور ما ظهر دنيا و آخره و برزخا من الشقاء و عند انتهاء الاستقرار تلقى عصى التيار و تقع الراحة في دار القرار.

فإن قلت فكان ينبغي عند الحلول في الدار الواحدة المسماة نارا أن توجد الراحة و ليس الأمر كذلك.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۵۸

قلنا صدقت و لكن فاتك نظر و ذلك أن المسافرين على نوعين مسافر يكون سفره مما هو فيه من الترفه من كونه مخدوما حاصلا له جميع أغراضه في محفة محمولة على أعناق الرجال محفوظا عن تغير الأهواء فهذا مثله في الوصول إلى المنزل مثل أهل الجنة في الجنة و مسافر يقطع الطريق على قدميه قليل الزاد ضعيف المئونه إذا وصل إلى المنزل- بقيت معه بقية التعب و المشقة زمانا حتى تذهب عنه ثم يجد الراحة فهذا مثل من يتعذب و يشقى في النار التي منزله ثم تعم الراحة التي وسعت كل شيء و مسافر بينهما ليست له رفاهية صاحب الجنة و لا تعذب صاحب النار التي منزله فهو بين راحة و تعب فهي الطائفة التي تخرج بشفاعة الشافعين و بإخراج أرحم الراحمين قال و هم على طبقات بقدر ما يبقى عنهم من الشقاء و التعب فيزول في النار شيئا فشيئا فإذا انتهت مدته خرج إلى الجنة و هو محل الراحة و آخر من بقي هم الذين ما عملوا خيرا قط إلا من جهة الإيمان و لا بإتيان مكارم الأخلاق غير أن العناية سبقت لهم أن يكونوا من أهل تلك الدار و بقي أهل هذه الدار الأخرى فيها فغلقت الأبواب و أطبقت النار و وقع الياس من الخروج- فحينئذ تعم الراحة أهلها لأنهم قد يئسوا من الخروج منها فإنهم كانوا يخافون الخروج منها لما رأوا إخراج أرحم الراحمين و هم الذين قد جعلهم الله على مزاج يصلح ساكن تلك الدار و تتضرر بالخروج منها كما بينا فلما يئسوا فرحوا فنعيمهم هذا القدر و هو أول نعيم يجدونه و حالهم فيها كما قدمناه بعد فراغ مدة الشقاء فيستعذبون العذاب فتزول الآلام و يبقى العذاب و لهذا سمي عذابا لأن المآل استعذابه لمن قام به كمن يستحلي للجرب من يحكه ثم قال فافهم نعيم كل دار تستعذبه إن شاء الله تعالى أ لا ترى صدق ما قلناه النار لا تزال متألمة لما فيها من النقص و عدم الامتلاء حتى يضع

الجبار قدمه فيها

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۵۹

و هي إحدى تينك القدمين المذكورتين في الكرسي و الأخرى التي مستقرها الجنة قوله تعالى **وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ** و الاسم الرب مع هؤلاء و الجبار مع الآخرين لأنها دار جلال و جبروت و هيبة و الجنة دار جمال و أنس و منزل إلهي لطيف فقدم الصدق إحدى قدمي الكرسي و هما قبضتان الواحدة للنار و لا يبالي و الآخرة للجنة و لا يبالي لأن مالهما إلى الرحمة فلذلك لا يبالي فيهما و لو كان الأمر كما يتوهمه من لا علم له من عدم المبالاة ما وقع الأمر بالجرائم و لا وصف نفسه بالغضب و لا كل البطش الشديد فهذا كله من المبالاة و الهم بالمأخوذ و قد قيل في أهل التقوى إن الجنة أعدت للمتقين و في أهل الشقاء و أعد لهم عذابا أليما فلو لا المبالاة ما ظهر هذا الحكم فللأمور أحكام و مواطن عرفها أهلها و لم يتعد بكل حكم موطنه فبالقدمين أغنى و أفقر و بهما أمات و أحيى- و بهما خلق الزوجين الذكر و الأنثى و لولاهما ما وقع في العالم شرك فلكل منهما دار يحكم فيها و أهل يحكم فيهم و العالم الرباني لا يزال يتأوب مع الله و يعامله في كل موطن بما يريد الحق أن يعامل به في ذلك الموطن و من لا يعلم ليس كذلك انتهى كلامه و قال القيصري في شرح الفصوص ما ملخصه اعلم أن المقامات الكلية الجامعة- لجميع العباد في الآخرة ثلاثة على الإجمال و هي الجنة و النار و الأعراف و لكل منها

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۶۰

اسم حاكم عليه يطلب بذاته أهل ذلك المقام لأنه رعاياه و عمارة ذلك المقام بهم- و الوعد شامل للكل إذ وعده تعالى في الحقيقة عبارة عن إيصال كل واحد منا إلى كماله المعين فكما أن الجنة موعود بها كذلك النار قال تعالى **وَ جاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَ شَهِيدٌ** فكما أن الجاذب إلى الجنة المناسبة الذاتية و السائق هو الرحمن الرحيم و ملائكة الرحمة فكذا الجاذب إلى النار المناسبة الذاتية و السائق هو العزيز القهار و الشيطان و ملائكة العذاب فعين الجحيم أيضا موعود لهم لا موعد بها و الوعيد هو العذاب الذي يتعلق بالاسم المنتقم و هو أيضا شامل للكل بوجه و يظهر أحكامه في خمس مواطن لأن أهل النار إما مشرك أو كافر أو منافق أو عاص من المؤمنين و هو ينقسم بالموحد العارف الغير- العامل و بالمحجوب و عند تسلط سلطان المنتقم عليهم يتعذبون بنيران الجحيم كما قال تعالى **أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها** فلما مر عليهم السنون و الأحقاب و اعتادوا بالنيران و نسوا نعيم الرضوان- قالوا **سَواءٌ عَلَيْنا أَ جَزِعْنا أَمْ صَبَرْنا ما لَنا مِنْ مَحِيصٍ** فعند ذلك تعلقت الرحمة بهم و رفع العذاب عنهم مع أن العذاب بالنسبة إلى العارف الذي دخل فيها بسبب

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۶۱

الأعمال السيئة عذب من وجه و إن كان عذابا من وجه آخر لأنه يشاهد المعذب في تعذيبه فيكون عذابه سببا لشهود الحق و هو أعلى نعيم له و بالنسبة إلى المحجوبين الغافلين عن اللذات الحقيقية أيضا عذب من وجه كما جاء في الحديث أن أهل النار يتلاعبون فيها بالنار و الملاعبة لا تنفك عن التلذذ و إن كان معذبا لعدم وجدانه ما آمن به من جنة

الأعمال التي هي الحور و القصور و بالنسبة إلى قوم يطلب استعدادهم البعد من الحق و القرب من النار و هو المعنى بجهنم أيضا عذب و إن كان في نفس الأمر عذابا كما يشاهد هنا- ممن يقطع سواعدهم و يرمى أنفسهم من القلاع مثل بعض الملاحدة و لقد شاهدت رجلا- سمر في أصول أصابع إحدى يديه مسامير غلظ كل منها كالقلم و كان يفتخر بذلك و لم يرض بإخراجه و بقي على حاله إلى أن مات و بالنسبة إلى المنافقين الذين لهم استعداد الكمال و استعداد النقص و إن كان أليما لإدراكهم الكمال و عدم إمكان الوصول إليه لهم- و لكن لما كان استعداد نقصهم أغلب رضوا بنقصانهم و زال عنهم تألمهم بعد انتقام المنتقم منهم بتعذيبهم و انقلب العذاب عذبا كما يشاهد ممن لا يرضى بأمر خسيس أولا ثم إذا وقع فيه و ابتلي و تكرر صدوره منه تألف به و اعتاد فصار يفتخر به بعد أن كان يستقبحه و بالنسبة إلى المشركين الذين يعبدون غير الله من الموجودات فينتقم منهم لكونهم حصروا الحق فيما عبدوه و جعلوا الإله المطلق مقيدا و أما من حيث إن معبودهم عين الوجود الحق

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۶۲

الظاهر في تلك الصور فما يعبدون إلا الله فرضي الله منهم من هذا الوجه فينقلب عذابهم عذبا في حقهم و بالنسبة إلى الكافرين أيضا و إن كان العذاب عظيما لكنهم لم يتعذبوا به لرضاهم بما هم فيه فإن استعدادهم يطلب ذلك كالأتوني يفتخر بما هو فيه و عظم عذابه بالنسبة إلى من يعرف أن وراء مرتبتهم مرتبة و أنواع العذاب غير مخلد على أهله من حيث إنه عذاب لانقطاعه بشفاعة الشافعين و آخر من يشفع هو أرحم الراحمين كما جاء في الحديث- لذلك ينبت الجرجير في قعر جهنم و بمقتضى سبقت رحمتي غضبي

فصل (۳۹) في استيضاح معرفة جهنم و مادتها و صورتها

قد سبق أن جهنم من سنخ الدنيا و أصلها و مادتها هي تعلق النفس بأمور الدنيا من حيث هي دنيا و صورتها هي صورة الهيئات المؤلمة و الأعدام و النقائص فإن الأعدام و النقائص و إن كانت من حيث هي أمور سلبية غير مؤثرة و لا معذبة إلا أن صورها الحضورية و حصولها الخارجية ضرب من الوجود للشيء الموصوف بها و هي من هذه الجهة شرور حقيقية حاصلة للشيء أ لا ترى أن تفرق الاتصال مع أنه أمر عدمي لأنه عبارة عن زوال الاتصال عما من شأنه الاتصال ففيه غاية الألم للحس اللامس به لأنه عدم محسوس مشهود للنفس

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۶۳

و إذا كان العدم موجودا كان شرا حقيقيا و يكون إدراكه اللمسي إدراك أمر مناف حاصل بنفسه للمدرك لأن العلم الشهودي هو بعينه نحو وجود المعلوم الخارجي و المعلوم بهذا العلم إذا كان عدما خارجيا كان ذلك العدم مع كونه عدما أمرا موجودا فيكون شرا حقيقيا ففيه غاية الألم و غاية الشرية فافهم هذا فإنه دقيق غامض و بهذا يندفع شبهة مشهورة و هي أن الألم شر مع كونه وجوديا لأنه إدراك المنافي و الإدراك أمر وجودي- فهذا ينافي قول الحكماء إن الشر الحقيقي مما لا ذات له في الخارج بل هو عدم ذات أو عدم كمال لذات و لا يكفي في الجواب أن الألم ليس شرا بالذات و أنما هو شر بالعرض- لأن البداهة و الوجدان يحكمان بأن الألم شر في نفسه لصاحبه مع قطع النظر عن كونه فاقدا لعضو أو اتصال أو غير ذلك من النقصانات إذا تقرر هذا فنقول إن صورة جهنم في الآخرة هي صورة الآلام التي

هي أعدام و نقائص حاصلة للنفس فالنفوس الشقية ما دامت على فطرة تدرك بها النقائص و الأعدام الموصوفة بها التي من شأن تلك النفوس أن تتصف بمقابلتها يكون لها آلام شديدة بحسبها فتلك الآلام فيها إلى أن يزول عنها إدراكها لتلك النقائص إما بتبدل فطرتها إلى فطرة أدنى و أخس من تلك الفطرة أو بزوال تلك النقائص و الأعدام بحصول مقابلاتها من جهة ارتفاع حال تلك النفوس و قوة كمالاتها- و اشتغالها بإدراك أمور عالية كانت تعتقدها من قبل و صارت ذاهلة عنها ممنوعة عن إدراكها- لانصراف توجهها عنها إلى تلك الشواغل الحسية فعلى التقديرين يزول العذاب و تحصل الراحة و الحاصل أن جهنم هي صورة الدنيا من حيث هي دنيا حالة في موضوع النفس يوم القيامة فتلك الصورة الجحيمية مشتملة على جميع ما في السماء و الأرض من حيث

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۶۴

نقائصها و شرورها لا من حيث كمالاتها و خيراتها فإنها من حيث كمالاتها و خيراتها هي من الجنة فالنفس ما دامت في هذا العالم يدرك الموجودات العالمية بهذه الحواس البدنية- و كلما يدرك بهذه الحواس تكون مخلوطة غير متميزة حقها من باطلها و صحيحها من فاسدها- فيرى الشمس و القمر و النجوم و السماء و الأرض على صورة مخلوطة مشتبهة فيزعم أن لها بقاء و ثباتا و أن ضوء الشمس و نور القمر و الكواكب بحسب الحقيقة على هذه الهيئة- و أنها ذاتية لتلك الأجرام قائمة بها لا بغيرها و أن السماء و الأرض كل منهما على هذه الهيئة- التي يدركها الحس من البقاء و الثبات و الارتفاع و الانخفاض و الوضع و الترتيب فإذا جاء يوم القيامة تبدلت هذه الأشياء غيرها و انفصل ما لها عما ليس لها و امتاز حقها من باطلها و نورها العرضي من ظلمتها الأصلية و خبيثها من الطيب كما قال تعالى **ما كانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلى‏ ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ** الآية فصورة جهنم عبارة عن الحقيقة الأصلية لهذا العالم متميزة عما هو خارج عنها من الخيرات و الكمالات فإذا قامت القيامة و استقر كل طائفة في دارها و رجع كل صورة إلى حقيقتها فيكون الحكم في أهل الجنة- بحسب ما يعطيه الأمر الإلهي في النشأة الآخرة و يكون الحكم في أهل النار بحسب ما يعطيه الأمر الإلهي في مادة هذا العالم الذي أودع الله في حركات الأفلاك و في الكواكب الثابتة و السبعة المطموسة أنوارها فهي كواكب لكنها مطموسة الأنوار في القيامة و كذا الشمس شمس لكنها منكسفة النور لأن أنوارها مستفادة من مبادئها الأصلية فهي بالحقيقة قائمة بتلك المبادي لا بهذه الأجرام.

قال في الباب الستين من الفتوحات يقرب حكم النار من حكم الدنيا فليس بعذاب خالص و لا بنعيم خالص و لهذا قال تعالى **لا يَمُوتُ فِيها وَ لا يَحْيى‏*** و سبب ذلك

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۶۵

أنه بقي ما أودع الله عليهم في الأفلاك و حركات الكواكب من الأمر الإلهي و تغير منه على قدر ما تغير من صور الأفلاك بالتبديل و من صور الكواكب بالطمس و الانتشار فاختلف حكمها بزيادة و نقص و غير ذلك.

و قال في الباب الستين في معرفة جهنم اعلم عصمنا الله و إياك أن جهنم من أعظم المخلوقات و هي سجن الله في الآخرة و سميت جهنم لبعد قعرها يقال بئر جهنام إذا كانت بعيده القعر و هي تحوي على حرور و زمهرير ففيها البرد على أقصى درجاته- و الحرور على أقصى درجاته و بين أعلاها و قعرها خمس و سبعون مائة من السنين- و اختلف

الناس فيها هل خلقت بعد أو لم تخلق و الخلاف مشهور فيها و كذلك اختلفوا في الجنة و أما عندنا و عند أصحابنا أهل الكشف و التعريف فهما مخلوقتان غير مخلوقتين و أما قولنا مخلوقتان فكرجل يبني دارا فأقام حيطانها كلها الحاوية عليها خاصة فيقال هي دار فإذا دخلتها لم تر إلا سورا دائرا على فضاء و ساحة ثم بعد ذلك ينشيء بيوتها على أغراض الساكنين فيها من بيوت و غرف و سرادق و مسالك و مخازن و ما ينبغي أن يكون فيها و هي دار حرورها هواء محرق لا جمر لها سوى بني آدم و الأحجار المتخذة آلهة و الجن لهبها قال تعالى **وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ** و قال **إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ** و قال **فَكُبْكِبُوا فِيها هُمْ وَ الْغاوُونَ وَ جُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ** و تحدث فيها الآلات بحدوث أعمال الجن و الإنس الذين يدخلونها و قد خلقها الله تعالى من صفة الغضب و جميع ما يخلق فيها من الآلام و المحن التي يجدها الداخلون فيها فمن صفة الغضب الإلهي و لا يكون ذلك إلا عند دخول الخلق فيها من الجن و الإنس متى دخلوها- و أما إذا لم يكن فيها أحد من أهلها فلا ألم في نفسها و لا في نفس ملائكتها بل هي و من فيها من زبانيتها في رحمة الله منغمسون ملتذون يسبحون لا يفترون لقول الله تعالى **وَ لا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَ مَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوى** فإن الغضب هاهنا هو عين الألم فمن لا معرفة له ممن يدعي طريقتنا و يريد أن يأخذ الأمر من التمثيل و المناسبة- فيقول إن جهنم مخلوقة من القهر الإلهي و إن اسم القاهر هو المتجلي لها و لو كان الأمر

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۶۶

كما قاله لشغلها ذلك بنفسها عما وجدت له من التسلط على الجبابرة و لم يمكن لها أن تقول هل من مزيد و لا أن تقول أكل بعضي بعضا فينزل الحق إليها برحمته التي وسعت كل شيء وسع لها المجال في الدعوى و التسلط على الجبابرة و المنكرين فالناس غالطون في شأن خلقها.

و من أعجب ما روينا عن رسول الله ص: أنه كان قاعدا مع أصحابه في المسجد- فسمعوا هده عظيمة فارتاعوا فقال ص أ تعرفون ما هذه الهدة قالوا الله و رسوله أعلم- قال حجر ألقي من أعلى جهنم منذ سبعين سنة الآن وصل إلى قعرها

فكان وصوله إلى قعرها و سقوطه فيها هذه الهدة فما فرغ من كلامه ص إلا و الصراخ في دار منافق من المنافقين قد مات و كان عمره سبعين سنة فقال رسول الله ص الله أكبر فعلم علماء الصحابة أن هذا الحجر هو ذلك المنافق و أنه منذ خلقه الله يهوي في جهنم و بلغ عمره سبعين سنة فلما مات حصل في قعرها قال الله تعالى **إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ** فكان سمعهم تلك الهدة التي أسمعهم الله ليعتبروا فانظر ما أعجب كلام النبوة- و ما ألطف تعريفه و ما أغرب كلامه انتهى كلامه

تذكرة كشفية:

لما علمت أن الجنة فوق السماء السابعة من حيث الرتبة- و هي بحسب الحقيقة و الذات في داخل حجب السماوات و الأرض- لأنها في العالم الملكوت و عالم الملكوت باطن الملك و علمت أن نشو الآخرة من الدنيا- فاعلم أن هذا العالم بمنزلة مطبخ ينضج فيه أطعمة أهل الجنة و يصلح مأكولاتهم بحرارة الحركات السماوية و أشعة الكواكب فإن أعمال بني آدم هي مواد أغذيتهم التي

الحكمة المتعالية فی الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۶۷

بها نشو نفوسهم و أبدانهم الأخروية فكلما كانت أعمالهم أتم اعتدالا و أكثر نضجا من جهة الرياضات الدنيوية و المتاعب البدنية في سبيل الله كانت أغذيتهم و فواكههم و أشربتهم النفسانية الأخروية أوفق و أتم صلوحا و أشد تقوية للحياة الباقية.

قال بعض أهل الكشف إن كرة الأثير و أشعة الشمس و الكواكب التي هي بمنزلة الجمرات تحت القدر كما يؤثر في المولدات و هذه نضج الفواكه و المعادن بحرارتها نضجا لما في ذلك من المنفعة كانت رحمة مع كونها نارا كذلك من عرف نشأة الآخرة- و موضع الجنة و النار و ما في فواكه الجنة من النضج الذي يقع به الالتذاذ لآكليه من أهل الجنان علم أين النار و أين الجنة و أن نضج فواكه الجنة سببها حرارة النار التي تحت مقعر أرض الجنة فتحدث النار حرارة في مقعر أرضها فيكون بها صلاح ما في الجنة من المأكولات و ما لا نضج إلا بالحرارة و هي لها كحرارة النار تحت القدر فإن مقعر أرض الجنة هو سقف النار و الشمس و القمر و النجوم كلها في النار و من أحكامها أنها أودع الله فيها ما كانت منافع حيوانات الدنيا و حيوانات الجنة التي هي نفوس أهل النجاة بأبدانهم- المناسبة لها في الأشكال و الصور فتفعل حرارة النار بالأشياء هناك علوا كما تفعل بالأشياء هاهنا سفلا و كما هو الأمر هاهنا كذلك ينتقل إلى هناك بالمعنى و إن اختلفت الصور- أ لا ترى أرض الجنة مسكا كما ورد في الخبر و هو حار بالطبع لما فيه من النار و أشجار الجنة مغروسة في تلك التربة المسكية كما يقتضي حال نبات هذه الدار الدنيا الزبل لما

الحكمة المتعالية فی الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۶۸

من الحرارة الطبيعية لأنه معفن و الحرارة يعطي التعفين في الأجسام القابلة للتعفن- و هذا القدر كاف في تقوى النار أعادنا الله منها في الدارين انتهى.

و هذا الكلام و إن كان مبناه على المقدمات الخطابية و التمثيلات إلا أنه إذا استقصى عاد برهانيا و لو لا مخافة الإطناب لأوضحناه على وجه الحكمة و سبيل البرهان و إياك أن تحمل كلامه على أن جهنم ليست إلا هذا العالم تحت الفلك الأقصى لما مر أن جهنم هي من النشأة الآخرة و إن كانت صورتها هي مال الدنيا و باطنها و حقيقتها و الذي ذهب إليه هذا المحقق من أن نضج فواكه الجنة و طبخ طعامها بحرارة هذا العالم و أشعة الكواكب سببه أن الإنسان إنما يتكون و ينمو و يتم خلقته و تكمل طبيعته باستحالات و انقلاب تطرأ على مادته لا يمكن ذلك إلا بحرارة غريزية محللة و تلك الحرارة مستفادة من حركات الأجرام الفلكية و أشعتها كما ثبت في مقامه.

ثم إن استكمال الإنسان بحسب كلتا قوتيه النظرية و العملية أنما يتم بالحركات البدنية و الفكرية و الحركة تحتاج إلى الحرارة و الحرارة و الحركة متصاحبتان لا ينفك إحداهما عن الأخرى و كما أن جميع الحركات في هذا العالم ينتهي إلى حركات الأفلاك سيما الفلك الأقصى فكذلك جميع الحرارات الغريزية و الأسطقسية تنتهي إلى أضواء الكواكب سيما ضوء الشمس كما يظهر عند التفتيش و الاعتبار و الاستقراء ثم لا يخفى عليك- أن كل مادة مصورة بصورة أدنى إذا انتقلت إلى أن تلبس بصورة أعلى فذلك أنما يكون بأن يحصل لها بصورتها الأولى شبه التعفن و الهضم و الانكسار كالحبة المدفونة في الأرض- فما لم تضعف صورتها الجمادية و لم يتعفن باستيلاء الحرارة عليها لم تقبل صورة

نباتية- و كذا القياس في انتقالات النطفة في أطوارها النباتية و الحيوانية و كذا الحكم في الترقيات الواقعة في النفس فإنها مسبوقة بانكسارات و انهضامات نفسانية منشؤها الحركات البدنية في النسك البدنية و الحركات الفكرية في النسك العقلية و الكل منوط بحركات الأفلاك

الحكمة المتعالية فی الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۶۹

و الكواكب بأضوائها فانكشف أن الكمالات العلمية و العملية للنفوس التي بها تحصل حياتها الأخروية و بها يتم نعيمها و غذاؤها و طعامها و شرابها في الجنة أنما يحصل بحرارة الطبيعية الدنيوية التي هي من جوهر نار الجحيم و سنخها كما مر غير مرة

فصل (۳۰) في تعيين محل الآلام و العقوبات في النار

لما علمت أن حقيقة جهنم حقيقة ممزوجة من الدنيا و الآخرة بحسب المادة و الصورة- فإن مادتها الأعدام و الشرور الدنيوية و صورتها حضورها عند النفس بصورة إدراكية مؤلمة من جهة تعلقها و التفاتها بالدنيا فاعلم أن محل العذاب و النقمة أيضا ليس أمرا بسيطا كالبدن فقط أو النفس الناطقة فقط أو النفس الحيوانية فقط أما البدن فالجوارح و الأعضاء ليست بموضع الآلام بل هي مما يستعذب جميع ما يرد عليها من أنواع العقوبات و الآلام لأنها قابلة للفصل و الوصل و الحرارة و البرودة و غيرها من الأضداد و الأعدام- فكل ما يرد على الجسم يكون صفة كمالية له و إذا زال اتصاله كان قد بطلت ذاته- و حدثت ذاتان أخريان متصلتان و ليس إذا طرأت عليه صفة مضادة للتي كان عليها بقيت

الحكمة المتعالية فی الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۷۰

الأولى مع الثانية ليكون آفة و ضررا له كما للجوهر النفساني فإن النفس جامعة لإدراك أحد الضدين مع الآخر الذي كان ملائما لها فيتضرر بالآخر كما إذا ورد على عضو من بدنها ما يضاد الكيفية المزاجية فتدرك بالأولى و هي المعتدلة التي بها قوتها اللمسية الثانية المضادة لها فيحصل الألم و لا يمكن مثل ذلك في الجسم و صورته السارية فيه فتأمل و ليس كل من دخل العذاب و العقوبة معذبا معاقبا بل ربما كان مستعذبا كالسدنة و الزبانية و كأهل السجون و الأتونات و كذلك قوى الجوارح حيث جعلها الله محلا للانتقام من النفس التي كانت تحكم عليها و تسخرها بأمر الله فالآلام تختلف عليها بما تراه في ملكها و موضع تصرفها خلاف ما تطلبه و تحبه من جهة ما ينتقل إليها المدركات من المشاعر و الحواس و أما النفس الناطقة أعني الروح الإلهي محل الحكمة و المعرفة و هي سعيدة في الدنيا و الآخرة لا حظ لها في الشقاء لأنها ليست من عالم الشقاء و الشر إلا أن الله ركبها هذا المركب الحيواني المسمى بالنفس الحيوانية فهي لها كالدابة و ليس للناطقة إلا المشي بها على الصراط المستقيم فإن أجابت النفس الحيوانية لها فهي المركب الذلول المرتاض و إن أبت فهي الدابة الجموح كلما أراد الراكب أن يردها إلى الطريق حرنت عليه و جمحت و أخذت يمينا و شمالا لا إفراطا و تفريطا لقوة رأسها و للراكب أن يروضها و يؤدبها حتى تتبدل ذاتها عما كانت و يصير طبعها موافقا لما أراد منها صاحبها و أما النفس الحيوانية فالمعاصي و إن نشأت بسببها إلا أنها لا ذنب لها و لا معصية لأن الأفعال

الحكمة المتعالية فی الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۷۱

الصادرة منها كالشهوة و الغضب و غيرها هي كمالات و متممات لها بها تسبح الله و تقدسه و ليست مما يقصد في أفعالها المخالفة لله و لا في تأتيها المعصية انتهاكا للشريعة و إنما تجري بحسب طبعها و كل ما يجري من الأفعال بحسب الطبع فهو تسبيح لله و تقديس كما علم سابقا- لكنها اتفق أنها على طبيعة لا توافق صاحبها و راكبها على ما يريد منها فإذن يجب عليك أن تتأمل في هذا المقام و تجد محل الآلام فاعلم أن محل الآلام كالممتزج من أمرين و هي النفس الآدمية المتصلة بالنفس الحيوانية قبل أن تصير عقلا بالفعل فهي كالبرزخ الجامع للطرفين- و المتوسط بينهما فهي محل صورة العقوبات من حيث كونها نفسا حيوانية و مدرك الآلام من حيث كونها ناطقة فإذا وقع العقاب يوما القيامة فإنما يقع على النفس الحيوانية لمخالفتها للنفس الناطقة في سلوك طريق الحق كما يضرب الدابة إذا جمحت و خرجت عن الطريق الذي يراد المشي عليه أ لا ترى الحدود الشرعية في الزنا و اللواط و السرقة و غيرها أنها محلها النفس الحيوانية و هي التي تحس بألم القتل و قطع اليد و ضرب الظهر فقامت الحدود بالجسم و قام الألم بالنفس الحساسة المتخيلة و أما النفس الناطقة أعني الجوهر العقلي المدرك للعقليات المحضة لا تبرح عن مكانها العالي الشريف فهي على شرفها في عالمها

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۷۲

و سعادتها الدائمة لأنها المنفوخة من روح الله و ليست هي موجودة في أكثر الناس و أما الحيوانية فلا يخلو منها إنسان سواء كان سعيدا و هي سليمة مطيعة ذلولة أو كان شقيا فهي عاصية جموحة فالمطيعة تنسرح يوم الآخرة في رياض الجنة و مراتعها و العاصية تعاقب و تعذب حتى تصير منقادة و أما الأعضاء و الجوارح فما عندها إلا النعيم الدائم في جهنم مثل ما هي الخزنة عليه من كونها مسبحة لله تمجده مطيعة دائما لما يقوم بها أو يقام عليها من الأفعال كما في الدنيا فيتخيل الإنسان أن العضو يتألم و يتأذى لإحساسه في نفسه بالألم و ليس كما توهمه إنما هو المتألم المتأذي بما يحمله إليه حاسة الجارحة من صورة ما يكرهه أ لا ترى المريض إذا نام و هو حي و الحس عنده موجود و الجرح الذي يتألم منه في يقظته حاصل في العضو و مع هذا لا يجد ألما لأن الواجد للألم قد صرف وجهه عن عالم الشهادة إلى عالم البرزخ فما عنده خبر فإذا استيقظ المريض و رجع إلى عالم الشهادة و نزل إلى منزل الحواس قامت به الأوجاع و الآلام فإن بقي في البرزخ على ما يكون عليه إما في رؤيا مفزعة و صورة مؤلمة فيتألم أو في رؤيا حسنة و صورة ملذة فيتنعم فينتقل معه النعيم أو الألم حيث انتقل و هكذا حاله في الآخرة فتنبه لما قلناه و تبصر بما نورناه

فصل (۳۱) في الإشارة إلى الزبانية و عددها

قال تعالى **عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ وَ ما جَعَلْنا أَصْحابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَ ما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا** الآية اعلم أن لله سبحانه ملائكة عمالة بإذنه في الأجسام كما أن له ملائكة علامة لا التفات لهم بغيره تعالى و لا شغل لهم في الأجسام و هم المشار إليهم بقوله.

فَالسَّابِقاتِ سَبْقاً و بقوله **فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً** إلى تلك الثواني و هي مدبرات الأمور في برازخ عالم الظلمات و أشباح عالم الطبيعة التي ظاهرها الدنيا و طبقاتها

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۷۳

و باطنها الجحيم و طبقاتها و إنما أوتيت بلفظ الفاء الدالة على الترتيب و التعقيب الوجودي لأن كلا منها تحت جوهر قدسي من المفارقات السابقة الوجود على النفسانيات المدبرة و الطبيعيات المحركة و هي كروحانيات العالم الكبير السماوي و العالم الصغير الإنساني و فيه أنموذج لما في العالم الكبير فهي في العالم الكبير العلوي أرواح الكواكب السيارة و أرواح الثوابت التي بجميعها اثنا عشر برجا و الجملة تسعة عشر مدبرا على الإجمال و لها تفاصيل لا تحصى بعضها تحت حيطة بعض و حكمه و كذا في العالم الصغير الإنساني تسعة عشر قوى هي رءوس سائر القوى و الطبائع المباشرة للتدبير- و التصرف في البرازخ السفلية الحيوانية و النباتية اثنتا عشر منها هي مبادىء الأفعال الحيوانية المدركة و المحركة فعشر منها للإدراكات الخمسة الظاهرة و الخمسة الباطنة و اثنتان للتحريك إحداهما للشهوة مبدأ الجذب للملائمات و الأخرى للغضب مبدأ الدفع للمنافرات و سبعة منها مبادي الأفعال النباتية ثلاثة منها الأصول في فعل التغذية و التنمية و التوليد و أربعة منها الفروع و السدنة الغاذية و أفعالها في الجذب و الإمساك و الهضم و الدفع فلكل من هذه التسعة عشر مدخلا في إثارة نار الجحيم التي هي ناشئة من ثوران حرارة جهنم الطبيعة و شهواتها التي هي نيرانات كامنة اليوم محجوبة عن نظر الخلائق و ستبرز يوم القيامة بحيث يراها الناس محرقة للوجود مذيبة للأبدان فظاعة نزاعة للشوى تدعو من أدبر و تولى و الإنسان ما دام كونه محبوسا في دنيا- بهذه المحابس الداخلية و الخارجية التي باطنها مملو بنار الجحيم مسجونا بسجن الطبيعة مقبوضا أسيرا في أيدي المدبرات العلوية التسعة عشر و المؤثرات السفلية التسعة عشر لا يمكنه العروج إلى دار الحيوان و الدخول في عالم الجنان و معدن الروح و الريحان فهو لا يزال معذب بعذاب الجحيم محترق بنار الحميم مقيد بالسلاسل

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۷۴

و الأغلال كالأسارى و العبيد و حاله كما أفصح الله عنه بقوله تعالى **خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهٰا سَبْعُونَ ذِرٰاعاً فَاسْلُكُوهُ** لعدم خلاص نفسه من حبس البدن و عدم استكمال ذاته بالعلم و العمل ليصير كالمجردين الأحرار حرا غير مأسور بأسر الشهوات و لا مقيد بقيد الهوى و التعلقات و لذلك وقع التعليل بترك العلم و العمل- في قوله تعالى **إِنَّهُ كٰانَ لاٰ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ الْعَظِيمِ وَ لاٰ يَحُضُّ عَلىٰ طَعٰامِ الْمِسْكِينِ** أي لأنه- فالأول إشارة إلى ترك العلم الإلهي و الثاني إلى ترك العمل الصالح فإذا انتقل روحه بموت الجسد من هذا العالم إلى عالم الآخرة التي هي في داخل حجب السماوات و الأرض كما مر ينتقل من السجن إلى السجين و من الهوى إلى الهاوية و كان هاهنا أيضا مسجونا محاطا بالجحيم و لكن لا يحس بألم السجن و عذاب الحبس **فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هٰاهُنٰا حَمِيمٌ وَ لاٰ طَعٰامٌ إِلاّٰ مِنْ غِسْلِينٍ لاٰ يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخٰاطِؤُنَ** فإذا كشف عنه الغطاء أحس بذلك و انتقل العذاب من باطنه في الدنيا إلى ظاهره في الآخرة فيؤديه المالك إلى أيدي هذه الزبانية التسعة عشر التي هي من نتائج تلك المدبرات الكلية فيتعذب بها كما يتعذب بها في الدنيا من حيث لا يشعرون و من كان على هدى من ربه مستويا على صراط مستقيم- صراط الله العزيز الحميد فيسلك سبيل الآخرة بنور الهداية و قدمي العلم و التقوى يصل إلى دار السلام و يسلم من هذه المهلكات المعذبات الزاجرات و يخلص من رق الدنيا و أسر الشهوات الآمرات للمنكرات **ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكٰاءُ مُتَشٰاكِسُونَ وَ رَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيٰانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ**

فصل (۳۲) في الإشارة إلى درجات السلوك إلى الله و الوصول إلى الجنة الحقيقية و ما بإزائها من دركات

البعد عن الله و السقوط في النار الحقيقية

قال بعض المحققين الخلق اتصف أولا بالوجود الخاص ثم بالعلم الخاص ثم بالإرادة ثم

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۷۵

بالقدرة الجزئيتين ثم بالفعل و حيث يكون المعاد عودا إلى الفطرة الأصلية و رجوعا إلى البداية في النهاية فلا بد أن تنتفي من السالك هذه الصفات على التدريج و الترتيب المعاكس للترتيب الأول الحدوثي فإن السالك إلى الله بقدم الإيمان و نور العرفان لا بد أن ينتفي منه أولا الفعل و هو مرتبة التقوى و الزهد في الدنيا قوله تعالى **لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ** و قوله **مٰا أَدْرِي مٰا يُفْعَلُ بِي وَ لاٰ بِكُمْ** ... **إِنِ الْحُكْمُ إِلاّٰ لِلّٰهِ*** ثم لا بد أن ينتفي منه الاختيار و لم يبق فيه إرادة إلا بإذن الله و رسوله بل تستهلك إرادته في إرادة الله و رسوله- **وَ مٰا كٰانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لاٰ مُؤْمِنَةٍ إِذٰا قَضَى اللّٰهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ** لأن جميع الأشياء صادرة منه على وفق قضائه و قدره على أبلغ وجه و أفضل نظام فإذا وصل إلى هذا المقام و تمكن فيه و استقام رضي بالقضاء و حصل له مقام الرضا و استراح من كل هم و غم و عذاب لأنه رأى الأشياء كلها في غاية الجودة و الحسن و التمام و رأى رحمة الله وسعت كل شيء بل رأى العارف في كل شيء وجه الحق الباقي و رأى غيره هالكا إذ لا غير- فرأى الحسن المطلق و الجمال المطلق متجليا عليه في كل شيء فيكون مبتهجا به ملتذا منه راضيا فإن من رأى صورة جملة العالم مكشوفة لديه حاضرة عنده حضورا علميا على أحسن ترتيب و خير نسق و نظام من جهة العلم بالله و صفاته و أفعاله و بالجملة علم الأشياء- من جهة العلم بأسبابها و مبادئها الآخذة من عند الله كما هو طريقة الصديقين الذين ينظرون بنور الحق إلى الأشياء يستشهدون به على كل شيء كما في قوله تعالى **أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** و كان قبل هذا الشهود يرى الأشياء كسائر الناس- بنور الحس أو بنور الفكرة المشوب بالظلمة المثير للغلط و الخطاء فصارت الأرض غير الأرض في حقه و أشرقت الأرض بنور ربها عنده و كذا السماوات و ما بينها فيكون في جنة

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۷۶

عرضها السماوات و الأرض على وجه عقلي منور و بهذا الوجه يسمى خازن الجنة الرضوان- أن السالك ما لم يبلغ إلى مقام الرضا لم يدخل الجنة و لا وصل إلى دار الكرامة و القرب- كما ورد

: من لم يرض بقضائي و لم يصبر على بلائي فليعبد ربا سوائي و ليخرج من أرضي و سمائي

و قال تعالى **وَ رِضْوٰانٌ مِنَ اللّٰهِ أَكْبَرُ** ثم بعد هذا المقام لا بد أن ينتفي عنه القدرة حتى لا يرى لنفسه حولا و لا قوة و قدرة مغايرة لقوة الحق و قدرته التي لا يخرج منها شيء من المقدورات و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم فيكون في مقام التوكل **وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللّٰهَ بٰالِغُ أَمْرِهِ** و هو مقام التفويض **وَ أُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللّٰهِ** ثم بعد ذلك لا بد أن ينتفي منه صفة العلم لاضمحلال علمه في علم الله الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض و لا في السماء لأن علمه تعالى بالأشياء عين ذاته- و العارف ينظر بنور ربه الذي هو علمه بذاته و بغيره إلى الأشياء و ليس له علم آخر به يعلم شيئا لقصر نظره على ملاحظة الحق و صفاته و آثاره من حيث هي آثاره فيستهلك علمه في علمه تعالى و هو مقام التسليم كما قال تعالى **وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً** و قوله **سَلاٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهٰا خٰالِدِينَ** و قوله

فَسَلاٰمٌ لَكَ مِنْ أَصْحٰابِ الْيَمِينِ ثم بعد ذلك لا بد أن ينتفي وجوده الذي به كان يوجد من قبل و يضمحل في وجود الحق الذي به يوجد كل شيء و يقوم حتى لا يكون له في نفسه عند نفسه وجود و هذا مقام أهل الوحدة و هو أجل المقامات و أجل الكرامات و هو مقام أهل الفناء في التوحيد- أولئك مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدٰاءِ وَ الصّٰالِحِينَ فهذا نهاية درجات السالكين- إلى الله تعالى بقدم الإيمان و نور العرفان و ليس وراء عباذان قرية و أما من لم يسلك سبيل أهل الوحدة و كانت أفعاله و أحواله على حسب إرادته و مقتضى طبعه فيكون كما أشار إليه بقوله تعالى وَ لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوٰاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمٰاوٰاتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ فيبصر لا محالة ممنوعا عما استدعاه هواه محجوبا عن مقتضى طبعه مشتهاه كما قال تعالى وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مٰا يَشْتَهُونَ فوقع في سخط الله و نار غضبه أَ فَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوٰانَ اللهِ كَمَنْ بٰاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ فيوصله الهواء إلى الهاوية محروما عن جميع ما يستلذه و يهواه قلبه فيقيد بالسلاسل و الأغلال- كما هو صفة العبيد و المماليك و يسلمه مالك نفسه إلى المهالك و لهذا يسمى خازن النار

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۷۷

بالمالك فيكون له بإزاء كل درجة من درجات أهل الحق دركة في الجحيم فله بإزاء درجة التوكل دركة الخذلان كما في قوله تعالى وَ إِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ و بإزاء درجة التسليم دركة الهوان قوله تعالى وَ مَنْ يُهِنِ اللهُ فَمٰا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ و بإزاء درجة القرب و الوصلة دركة الطرد و اللعنة أُولٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللاّٰعِنُونَ و كما أن انتفاء القدرة و العلم و الوجود في الطائفة الأولى أوجب لهم القدرة الغير المتناهية و العلم الذاتي اللدني و الوجود المخلد الأبدي كذلك في هذه الطائفة اقتضى استبدادهم بهذه الصفات عجزا غير متناه و جهلا كليا و هلاكا سرمديا و ذلك هو الخزي العظيم

فصل (۳۳) في شجرة طوبى و شجرة زقوم

قال تعالى طُوبىٰ لَهُمْ وَ حُسْنُ مَآبٍ و قال إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعٰامُ الْأَثِيمِ أي شجرة منها طعام الآثمين إِنَّهٰا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ يعني الطبيعة الدنيوية طَلْعُهٰا كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّيٰاطِينِ و الطلع عبارة عن مبدإ وجود الأشجار و منشإ حصول الأثمار و بروزها عن الأكمام و المراد منه هاهنا مبدأ الاعتقادات الباطلة و الأخلاق السيئة و هي رؤساء الصفات الشيطانية التي كل منها إذا رسخت في النفس و قويت صارت صورة جوهرية شيطانية- كما علمت من صيرورة الصفات الغالبة في النفس صورا جوهرية نفسانية من جنس تلك الصفات فتلك الصفات التي هي مبادىء تكون الشياطين هي الأهوية المغوية و الأماني المردية و الشهوات المذمومة لأنها مما يتغذى بها و يتقوى نفوس أهل الضلال و يمتلي بها بواطنهم و يكون منها نار الجحيم و العذاب الأليم كما قال سبحانه ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضّٰالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ فَمٰالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ أي يملئون بطونهم أي نفوسهم من الشهوات المذمومة و مواد الأمراض النفسانية الباعثة لفنون من العذاب- و أنواع من المحن و الآلام في الآخرة كمن أدى به نهمة من الحمى و الصداع و غيره من الأوجاع و الآلام.

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۷۸

و اعلم أن النفس الإنسانية إذا كملت في العلم و العمل صارت كشجرة طيبة متحملة لثمرات العلوم الحقيقية و فواكه المعارف اليقينية و كانت أصلها علوم ثابتة و فرعها نتائج- هي حقائق عالم الملكوت و معارف عالم اللاهوت هذا من حيث قوة العلم و الإدراك و أما من حيث قوة العمل و التأثير فهي تصير بحيث كلما تريده و يتمناه يحضر عندها بقوتها العملية القوية على إحضار الصور المطلوبة دفعة بلا مهلة لأن باطن الإنسان في الدنيا عين ظاهره في الآخرة كما مرت الإشارة إليه سابقا و الإنسان يتصور و يخترع هاهنا بقوته الخيالية كل ما يريده و يشتهيه فيحضر صورة مشتهيات كثيرة في باطنه بحسب التمثل الذهني إلا أن تلك الصور ليست موجودة و لا حاضرة عند حسه في العين بل عند خياله في الذهن- بوجود ضعيف غير متأكد و لأجل ذلك لا يلتذ منها لذة تحصل من المشتهيات العينية- و لانصراف النفس إلى الشواغل الحسية و أما عند القيامة فلكون النفس مجردة عن شواغل الدنيا و آثار الحواس و كون الباطن مكشوفا ظاهرا و العلم عينا و الغيب شهادة كانت اللذة على حسب الظهور و الوجود فتكون مفرطة لأنها نزلت تلك الصور منزلة الصورة الموجودة في العين و لن تفارق الآخرة الدنيا في هذا المعنى إلا من حيث كمال القوة و القدرة للنفس الإنسانية على تصوير الصور عند القوة الحاسة كما تشتهيه في الآخرة دون الدنيا إذ ليس لها

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۷۹

في الدنيا هذه القدرة لتوزع قواها و عدم جمعية همتها لاشتغالها بالخارجيات و شواغل الحسيات فالإنسان السعيد كلما يشتهيه في الآخرة حضر عنده دفعة و يكون شهوته سبب تخيله و تخيله سبب تمثل الصورة بين يديه و حضورها لديه كما قال تعالى **فِيهٰا مٰا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَ تَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَ أَنْتُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ** و هذه القدرة أوسع و أكمل من القدرة على إيجاد الشيء في الدنيا أي في خارج الحس فإن الموجود في الدنيا لا يوجد في مكانين و لا في مكان واحد يوجد اثنان للتزاحم و التضائق الواقعين في هذا العالم.

و أيضا النفس إذا اشتغلت بفعل الدنيا احتجبت و امتنعت عن فعل آخر فشغلها محسوس عن محسوس آخر و حجبتها لذة عن لذة أخرى و الملذ أيضا لا يقوى في الإلذاذ هاهنا لانغماره في المادة و امتزاجه بغيره و كذا القياس في حال الألم و المؤلم في الدنيا بالنسبة إلى حالهما في الآخرة فإذن الصور المحسوسة تتضاعف عند الإنسان بلا مزاحمة و لا تضايق و لا يستحيل هناك وجود صور غير متناهية دفعة إذ لا يجري فيه براهين امتناع الأمور الغير المتناهية مجتمعة.

و أيضا لا يشغل النفس بعض المحسوسات هناك عن بعض آخر لقوة النفس فتكون اللذة كثيرة غير محصورة و لكون الصور الملذة بلا مادة تكون اللذة بها شديدة مفرطة لخلوصها من الشوائب و المكدرات و الأضداد فإذا تقرر هذا نقول إن شجرة طوبى مثال للنفس السعيدة الكريمة

و قد روي في طريق أهل البيت ع: أن طوبى شجرة أصلها في دار علي بن أبي طالب ع و ليس مؤمن إلا و في داره غصن من أغصانها و ذلك قول الله تعالى- طُوبىٰ لَهُمْ وَ حُسْنُ مَآبٍ

فتأويل ذلك من جهة العلم أن المعارف الإلهية سيما ما يتعلق بأحوال الآخرة و ما يستقل بإدراكه العقول على طريقة الفكر الجثي أنما تقتبس من مشكاة نبوة خاتم الأنبياء ص و نور ولايته المندمج في رسالته المنتشر أضواؤه من ولاية أفضل أوصيائه في نفوس القابلين للهدى و الإيمان المستعدين للعلم و العرفان فإن أثمار العلوم الإلهية أنوار و المعارف الحقيقية أنما نشأت و انتشرت في قلوب عرفاء هذه الأمة

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۸۰

المرحومة من بذر ولايته و نجم هدايته كما أفصح عنه

قول النبي ص: أنا مدينة العلم و علي بابها

و نسبة ذاته المقدسة بالقياس إلى سائر الأولياء و العلماء بالولادة المعنوية كنسبة آدم أبي البشر إلى سائر الناس بالولادة الصورية و لذلك

ورد عن النبي ص أنه قال: يا علي أنا و أنت أبوا هذه الأمة

. و قال العارف المحقق في الفتوحات المكية إن شجرة طوبى أصل لجميع شجرات الجنات كآدم لما ظهر من البنين فإن الله لما غرسها بيده و سواها نفخ فيها من روحه و لما تولى الحق غرس شجرة طوبى بيده و نفخ فيها من روحه و زينها بثمرة الحلي و الحلل الذين فيها زينة للابسها فنحن أرضها كما جعل ما على الأرض زينة لها و أعطت في ثمرة الجنة كله من حقيقتها عين ما هي عليه كما أعطت النواة النخلة و ما تحمله النوى التي في ثمرها انتهى كلامه و قد استفيد منه أن شجرة طوبى يراد بها مبدأ أصول المعارف الحقيقية و الأخلاق الحسنة التي هي زينة و غذاء و لباس للنفوس القابلة كما أن ما على الأرض زينة و غذاء و لباس لها و لأهلها و ذلك لأن أرض تلك الشجرة إذا كانت نفوسنا و غارسها هو الله فحللها لا بد أن تكون من قبيل زينة العلوم و المعارف و محاسن الأخلاق و الملكات و هي أيضا غذاء و لباس فإن غذاء النفوس العلم و لباسها التقوى

فصل (٣٤) في كيفية تجدد الأحوال و الآثار على أهل الجنة و النار

أما أهل النار فلا شبهة في تجدد أحوالهم و تبدل جلودهم و استحالة أبدانهم

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج ۹، ص ۳۸۱

و تقلبها من صورة إلى صورة لقوله تعالى كُلَّمٰا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنٰاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهٰا- لِيَذُوقُوا الْعَذٰابَ و ذلك لأن طبائعهم من القوى الجسمانية المادية لما مر أن دار الجحيم من جنس هذه الدار و قد سبق أن أفاعيل القوى المادية و انفعالاتها متناهية فلا بد فيها من انقطاع و تبدل ثم لا بد في تبدل الأبدان و استحالة المواد من حركة دورية صادرة عن أجسام سماوية محيطة بأجسام ذوات جهات متباينة كائنة فاسدة فيكون الحكم في أهل النار- بحسب ما يعطيه الأمر الإلهي بما أودعه من القوة المحركة في الجرم الأقصى الجابرة إياه على حركاته و الكواكب الثابتة في سياحة الدراري السبعة المطموسة الأنوار كلها يوم الآخرة فهي كواكب لكنها ليست بثواقب و لا مضيئة و لها تأثيرات في خلق أهل النار- بفنون من العذاب و صنوف من العقاب بحسب ما يقتضيه سوابق أعمالهم و مبادىء أفعالهم- و اعتقاداتهم و نياتهم و لهذا حكم أهل المعرفة و الشهود بأن حكم النار و أهلها قريب من حكم الدنيا و أهلها و لهذا ليس لأهل النار الذين هم من أهلها بعد استيفاء مدة العذاب و انقضاء زمان العقاب نعيم خالص و لا عذاب خالص و حالهم بين الحياة و الممات كما قال تعالى لاٰ يَمُوتُ فِيهٰا وَ لاٰ يَحْيىٰ* و هذا بعينه حال أهل الدنيا فإن نعيم الدنيا ممزوجة بالمحنة و البلاء و حياتها مشوبة بالموت و السبب في ذلك أنه بقي فيهم ما أودع الله فيهم من آثار حركات الأفلاك و لم يقع لهم توفيق الخروج من حكم الطبيعة و تأثيرها- فلا جرم لم ينجو من عذاب النار و إن تغيرت منهم الصورة و تبدلت لهم

النشأة على قدر ما تغير و تبدل من صور الأفلاك و الكواكب من التبديل و الطمس و الانكدار كما قال تعالى- **فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهٰا زَفِيرٌ وَ شَهِيقٌ خٰالِدِينَ فِيهٰا مٰا دٰامَتِ السَّمٰاوٰاتُ وَ الْأَرْضُ**

الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة، ج۹، ص ۳۸۲

إِلاّٰ مٰا شٰاءَ رَبُّكَ و أما أصحاب الجنة فليس لهم هذا التبدل و الاستحالة و الكون و الفساد- لارتفاع نشأتهم عن نشأة الطبيعة و أحكامها فحركاتهم و أفاعيلهم نوع آخر ليس فيها نصب و لا تعب و لا في أعمالهم من لغوب لأن حركاتهم و أعمالهم ليست بدنية بل هي كخطرات الوهم و لحظات الضمير منا هاهنا حيث لا تعب و لا كلال و لا نصب و لا فتور يعتريها لأن السماوات و حركاتها مطوية في حقهم لأنهم من أصحاب اليمين و لهم مقام فيه يكون طي الزمان و المكان فزمانهم زمان يجتمع فيه الماضي و المستقبل من هذا الزمان و مكانهم مكان يحضر في خدمته جميع ما تسعه السماوات و الأرض و مع ذلك يكون جنة الأعمال و نعيمها من المحسوسات بلا شبهة إلا أنها و إن كانت محسوسة لكنها ليست طبيعية مادية بل صورها صور إدراكية وجودها العيني عين محسوسيتها و كل ما فيها نفساني الوجود مجرد عن نشأة الدنيا و الطبيعة و الهيولى المستحيلة الكائنة الفاسدة و مع ذلك يقع في عالم الجنان التجددات في تكوين الصور الجنانية لا من أسباب مادية بل جهات فاعلية نفسانية و شئونات إلهية بحكم كل يوم هو في شأن و قد ثبت أن أصل التغيرات في الآفاق أنما نشأت من عالم الأنفس و نشأة الجنان نشأة النفوس ففيها الأكوان النفسانية.

قال العارف المحقق في الفتوحات المكية في الباب السابع و الأربعين منها فلا تزال الآخرة دائمة التكوين فإنهم يقولون في الجنان للشيء الذي يريدونه كن فيكون- فلا يتمنون فيها أمرا و لا يخطر لهم خاطر في تكوين أمر إلا و يتكون بين أيديهم و كذلك أهل النار لا يخطر لهم خاطر خوفا من عذاب أكبر مما هم عليه إلا و يكون فيهم ذلك العذاب و هو خطور الخاطر فإن الدار الآخرة تقتضي تكوين الأشياء حسا- بمجرد حصول الخاطر و الهم و الإرادة و الشهوة كل ذلك محسوس و ليس ذلك في الدنيا- أعني الفعل بمجرد الهمة لكل أحد انتهى كلامه و من عرف كيفية قدرة الله في صنع الخيال و ما تجده النفس بل توجده بإذن الله من صور الأجرام العظيمة و الأفلاك الجسمية الساكنة و المتحركة و البلاد الكثيرة و خلائقها و أحوالها و صفاتها في طرفة عين هان عليه التصديق